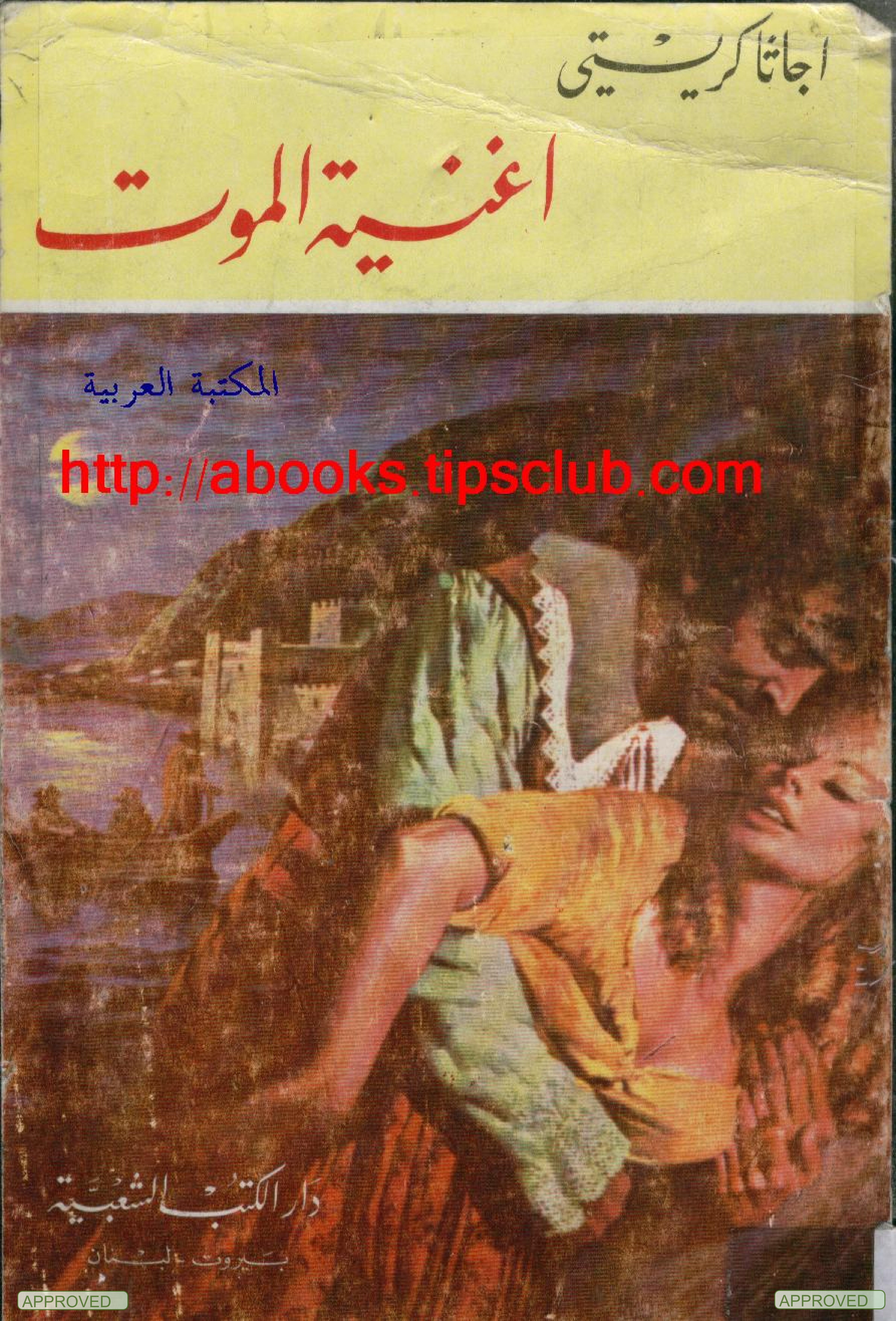

اجاثا كريستي
اغنية الموت
دار الكتب الشعبية
بيروت - لبنان

اجاثا كرِيستي

أغنية الموت

أو

عشرة عبيد صغار

دار الكتب الشعبية
بيروت - لبنان
ص.ب : ٣٨٧٤

- ١ -

اضطجع مستر وورجريف ، القاضي بالمعاش ، في مقعده باحدى عربات الدرجة الاولى بالقطار ، وراح ينفث سحبا من الدخان من سيجاره وهو يجري بعينيه ، على الانباء السياسية بجريدة التايمز .

ولكنه لم يلبث ، بعد لحظات ، ان وضع الجريدة فوق المقعد ، والقى نظرة الى النافذة ، وكان القطار يمر في هذه اللحظة باقليم سومرست . ونظر القاضي الى ساعته .. كان لا يزال امامه ساعتان قبل ان يصل الى نهاية رحلته .

وعندئذ، راح يستعرض في ذهنه الانباء التي نشرتها الجرائد بخصوص جزيرة الهندي ، وكانت قد تحدثت قبل كل شيء عن مليونير امريكي مولع بأسفار البحر وقالت انه اشترى هذه الجزيرة الصغيرة واقام فيها منزلا فخما على احدث طراز ، ولكن ، لسوء الحظ ، كانت الزوجة الثالثة لهذا الامريكي الثري لا تحب البحر ، فعرضت الجزيرة والبيت للبيع ، وقامت دعاية ضخمة في الجرائد في ذلك الوقت ، وعرف الناس ذات يوم ان الجزيرة اصبحت ملكا لرجل يدعى مستر اوين .

ولم تلبث الصحف الانجليزية ان راحت تنشر اعجب الاشاعات ، فقالت ان الانسة جابربيل ثارل ، ممثلة هوليود المشهورة ، هي التي اشترت الجزيرة في الواقع ، لكي تمضي بها بضعة شهور ، بعيدا عن الصحفيين الفضوليين . وقالت احدى هذه الصحف ان الجزيرة اشتراها زوجان لقضاء شهر العسل . وقيل ان احد هذين الزوجين هو اللورد ل... وقد رماه كيوبيد بسهم في قلبه . واكدت صحيفة ثالثة ان الجزيرة انما وقعت في ايدي البحرية الانجليزية لكي تقوم فيها بسلسلة من التجارب السرية .

صفوة القول ، كانت جزيرة الهندي في ذلك الوقت مصدرا للصحفيين الذين تقطعت بهم الانباء .

واخرج القاضي من جيبه رسالة مكتوبة بخط رقيق يتعذر قراءته ، ولكن كان فيها هنا وهناك كلمات في غاية الوضوح .

«الحبيب العزيز لاورنس

«لم تصلني اخبارك منذ سنوات طويلة .. تعال الى جزيرة الهندي .. انها مكان ساحر حقا .. هناك امور كثيرة احب ان أتحدث معك فيها .. عن الماضي .. ونستمتع بجمال الطبيعة .. ونجلس تحت اشعة الشمس الدافئة .. الساعة الثانية عشرة والدقيقة الاربعين المنطلق من محطة بادنجتون .. سألتقي بك في اوكبريدج ..

وكانت الرسالة تحمل التوقيع التالي .. «حبيبتك كونستانس كولمنجتون» .

***

حاول القاضي وورجريف ان يتذكر لقاءه الاخير بالليدي كونستانس كولمنجتون . كان ذلك اللقاء يرجع الى سبع او ثماني سنوات . وكانت المراة الشابة مرتحلة عندئذ الى ايطاليا لقضاء فترة الصيف ، وقيل فيما بعد انها استأنفت الرحلة حتى سوريا لكي تستمتع بالصيف مع الطبيعة والبدو .

وخطر للقاضي ان كونستانس كولمنجتون جديرة بأن تشتري جزيرة ، وان تحيط نفسها بجو من الاسرار والغموض .

وهز القاضي وورجريف راسه ازاء منطق رايه هذا ، وترك حركة القطار تهدهده ، ولم يلبث ان استغرق في النوم .

***

جلست فيرا كلايتون في احدى عربات الدرجة الثالثة مع خمسة من المسافرين ، والقت براسها الى الخلف . ما اشد الحر في هذا القطار !.. وما اجمل الطقس على شاطىء البحر !.. كان هذا الامر صدفة سعيدة لم تكن الفتاة تتوقعها حقا ، فانك عندما تلتمس وظيفة في اشهر الصيف عادة يكلفونك بملاحظة حفنة من الاطفال .. ووظائف السكرتارية تغدو نادرة

في ذلك الوقت .. ومكتب العمل لم يعطها غير امل ضئيل .

ولكن جاءتها اخيرا الرسالة التالية :

«تلقيت اسمك من مكتب العمل النسوي واوصاني بك ، وقد فهمت ان المديرة تعرفك معرفة شخصية ،وانا مستعدة لان امنحك المرتب الذي تطالبين به ، وارجو ان تبدئي العمل في الثامن من اغسطس . استقلي قطار الساعة الثانية عشرة والدقيقة الاربعين من محطة بارنجتون ، وستجدين من ينتظرك في محطة اوكسبريدج .

«تجدين طيه خمسة جنيهات ، نفقات الرحلة .

المخلصة : اونا نانسي اوين» .

وكان العنوان المكتوب في اعلا الرسالة هو : جزيرة الهندي . ستيكهافن بديفون .

***

جزيرة الهندي !.. لقد اسهبت الجرائد في الحديث عن هذه الجزيرة، وسرت اشاعات مختلفة عن هذه البقعة من الارض التي تحوطها المياه من كل جانب ، ولا ريب انه لا توجد ذرة من الحقيقة في كل هذه الشائعات ، وعلى كل حال ، فان البيت الذي شيده ذلك الامريكي الثري كان مبنيا على أحدث طراز .

وكانت مس فيرا كلايتون قد تعبت جدا من التدريس في الشهور الثلاثة الاخيرة ففكرت تقول : ان وظيفة مدرسة العاب رياضية في مدرسة من مدارس الدرجة الثالثة ليست وظيفة براقة .. لو استطيع فقط ان اجد وظيفة في مدرسة محترمة !

ثم عادت تقول وهي منقبضة القلب : يجب ان اعتبر نفسي سعيدة على كل حال ، فان الناس لا تحب ان تلتحق بخدمتها فتاة حوكمت .. حتى ولو كان القضاء قد برأ ساحتها .

لقد هنأها قاضي التحقيق لسرعة خاطرها وشجاعتها ، وكان التحقيق، على العموم ، في صالحها . وقد اظهرت مدام هاملتون طيبة كبيرة نحوها، ولكن هوجو وحده .. ولكنها لم تشأ ان تفكر في هوجو .

وفجأة ، وعلى الرغم من جو الغرفة الخانق ، اقشعرت وندمت لانها ذاهبة الى شاطىء البحر ، فقد ارتسمت في ذهنها صورة ، في وضوح

تام . رات راس سيريل تصعد وتهبط على سطح البحر .. تصعد وتهبط..
وهي نفسها سابحة ممتازة كانت تقترب منه وتشق الامواج بكل سهولـة
وهي مقتنعة في نفس الوقت بأنها ستصل بعد فوات الاوان .

البحر .. واعماقه الحارة اللازوردية .. والصباحيات التي قضتهـا
مستلقاة فوق الرمل .. وهوجو .. هوجو الذي اعترف لها بحبه .

لا يجب ان تفكر في هوجو بعد اليوم .

وفتحت عينيها والقت نظرة عابسة الى المسافر الجالس امامها ، وهو
رجل طويل القامة ، مليح الوجه ، له عينان صافيتان متقاربتـان وفم
متعجرف تقريبا قاسي السمات . وقالت تحدث نفسها : اراهن ان هذا
الرجل قد طاف العالم وراى اشياء كثيرة الاهمية .

* * *

القى فيليب لومبارد نظرة سريعة الى الفتاة الجالسة ثم قال يحـدث
نفسه : جميلة جدا .. ولكن يبدو من هيئتها انها مدرسة .. انها امراة
معتدلة القامة ، مرفوعة الراس ، جديرة بأن تدافع عن نفسها .. سواء
في الحب او في الحرب .. اود لو ان أتعرف بها .

وقطب جبينه .. كلا . لا فائدة في ان يفكر في مثل هذه الامـور
الاعمال اولا .. يجب ان يركز كل ذهنه في عمله .

ولكن ما هو هذا العمل على كل حال ؟.. ان ذلك اليهودي القصـير
ابدى الكثير من الغموض حقا . لقد قال له في غير اكتـراث ، كما لو ان
مائة جنيه مبلغ يستهان به : «لك ان تقبل او ان ترفض ...» مائـة
جنيه !.. في حين انه كان خاوي الوفاض . ومع ذلـك فقد ادرك ان
اليهودي القصير لم يصدقه ، والمشكلة مع اليهود هو اننا لا نستطيع ان
نخدعهم في الناحية المالية بالذات .. لكأنهم يقرأون افكارنا .

وكان قد سأله في غير اكتراث : ألا يمكنك ان تقدم لي معلومات اكثر؟

ولكن مستر اسحق موريس هز راسه في قوة وقال : كلا يا كابتـن
لومبارد . ان عميلي يعتقد انك رجل شهم واقع في مأزق ، وقد صرح لي
ان اعطيك مائة جنيه على ان تمضي في نظير ذلك الى ستيكلهافن بديفون .
واقرب محطة اليها هي اوكسبريدج ، وهناك ستجد في انتظارك زورقـا
بخاريا سيمضي بك الى جزيرة الهندي حيث تكون تحت تصرف عميلي .

سأله لومبارد فجأة : وكم يوما سأقضي هناك ؟

ـ اسبوع على الاكثر .

وقال الكابتن لومبارد وهو يشد شاربه : من المفهوم طبعا انه لا يمكن ان يطلب مني الاقدام على عمل غير مشروع .

والقى لومبارد ، وهو ينطق بهذه العبارة ، نظرة سريعة الى محدثه . وارتسمت ابتسامة صغيرة على شفتي اليهودي المكتنزتين وقال بلهجة الجد :

ـ طبعا . اذا طلب منك الاقدام على عمل غير مشروع فان لك مطلق الحرية في الرفض .

لعنة الله على هذا اليهودي المعسول القول . لقد ابتسم ، ولا ريب انه يعرف ان لومبارد قد أقدم في الماضي على اعمال كثيرة لا يقرها القانون ، ولقد اوشك ان يقع مرة او مرتين ولكنه استطاع النجاة ، وما كان ليتردد كثيرا في الاقدام على اي شيء .

ولكن فيم الانزعاج مسبقا ؟.. انه ينوي ان يستمتع بوقته في جزيرة الهندي .

* * *

وفي احدى العربات ، جلست اميلي برنت ، معتدلة القامة ، كعادتها ، على الرغم من انها قد بلغت الخامسة والستين من عمرها ، كانت لا تقر الاهمال او التهاون ، فقد كان ابوها الكولونيل من المدرسة القديمة ، وكان صارما في كل ما له صلة بالزمن والهندام.

اما الجيل الجديد فكان لا يعنى بهندامه ولا بأي شيء اخر .

كانت جالسة وقد احيطت بها هالة من الاعتدال والمبادىء الصارمة ، في عربة من عربات الدرجة الثالثة ازدحمت بالمسافرين ، وقد تغلبت على افتقارها الى الراحة وعلى الحر ، فان الناس في ايامنا هذه ، يتضايقون من اي شيء ، فلا بد لهم من المخدر قبل خلع الضرس او من اقراص منومة اذا عز عليهم النوم ، ويسترخون في مقاعدهم وفوق وسائدهم .

وزمت مس برنت شفتيها وودت لو ان تلقن هؤلاء الناس درسا .

واستعادت في ذهنها اجازتها في السنة الماضية . سيختلف الامر هذه السنة ، ففي جزيرة الهندي ..

وقرات في ذهنها مرةاخرى الرسالة التي جاءتها والتي حفظتها عن ظهر قلب : «عزيزتي مس برنت» ،

يطيب لي ان اعتقد انك ما زلت تتذكرينني ، فقد قضينا معا شهر اغسطس منذ سنوات ، في بنسيون ببلهافن، ورأينا اننا نتفق في كثير من الامور .

وانا الان اقوم بتأسيس بنسيون في جزيرة كبيرة باقليم ديفون .

وقد رايت ، انني لكي افلح في هذا المشروع ، لا بد من ان اجمع بين مطبخ بسيط ممتاز وامراة ظريفة من الجيل القديم... اف للعري وللجراموفونات في منتصف الليل !.. ويسرني لو ان تستطيعي الحضور لقضاء اجازتك في جزيرة الهندي بصفة مجانية كضيفة لي ، فهل يوافقك بداية شهر اغسطس ؟ ما رايك في اليوم الثامن منه ؟

مع خالص تمنياتي .

«أ. ف.»

ولكن ما اسمها ؟.. ان التوقيع غير واضح . واذ فقدت اميلي برنت صبرها قالت :

– ان اناسا كثيرين يوقعون بطريقة يتعذر بها قراءة اسمائهم .

واستعرضت في ذهنها الاشخاص الذين قضت اجازتها بينهم في بلهافن ، حيث قضت الصيف لعامين متتابعين .. مدام .. ما اسمها ؟.. كانت هناك ابنة كاهن .. وتلك المدعوة مس ادلتون .. او مس اورمن كلا، كانت تدعى اوليفر طبعا ، نعم ، هذا هو اسمها.

جزيرة الهندي .. لقد تكلمت عنها الجرائد .. بخصوص ممثلة سينما .. او لعل ذلك كان بخصوص مليونير امريكي .

ومهما يكن فان الجزيرة لا تساوي الكثير ، لانها لا تروق للكثيرين .. بيد ان فكرة اقامتها في جزيرة بدت لها فكرة رومانسية .. ولكن ما ان يستقر بالمرء المقام بها حتى يرى مساوئها ويسره ان يتخلص منها .

واختتمت مس برنت افكارها قائلة : مهما يكن فان اجازتي هذه السنة لن تكلفني شيئا .

ذلك ان دخلها انخفض بكثير ولم تغل اكثر اسهمها ربحا يذكر . ولكن ليتها تتذكر مسز او مس اوليفر هذه !

* * *

انحنى الجنرال ماك ارثر فوق نافذة مقصورته ، كان القطار يدخل محطة اكستر ، حيث لا بد له ان يستقل قطارا اخر . ان هذه القطارات

الريفية اللعينة تتقدم ببطء شديد مع ان جزيرة الهندي ليست بعيدة .

لم يكن يعرف من هو مستر اوين هذا ... ولكن طبقا للظواهر فلا بد ان يكون صديقا لسبوف جاردنر او جوني داير .

«سيكون بعض زملائك القدامى بيننا.. وسيسرهم ان يلتقوا بك وان تتبادلوا الحديث عن الايام الخوالي» .

والواقع انه لم يكن يطلب اكثر من استعادة الماضي مع الاصدقاء القدامى . فقد خيل له في الايام الاخيرة ان اصدقاءه قد قاطعوه ونبذوه. كل هذا بسبب تلك الشائعات السخيفة . كان الامر شاقا ، وكان يرجع الى ثلاثين سنة ، ولم يعرف ارميتاج ان يمسك لسانه ، ولكن ما الذي كان يعرفه ذلك الثرثار ؟.. اوه .. ولكن فيما الانزعاج ؟..

ان المرء يتصور امورا كثيرة ، ويخيل له ان الاخرين ينظرون اليه شذرا .

مهما يكن فسوف يروق له ان يرى جزيرة الهندي هذه التي اسهبت الجرائد في الحديث عنها . لعل هناك شيء صادق في هذه الضجة التي سرت والتي تقول ان البحرية البريطانية قد استولت عليها .

لا ريب ان ذلك الشاب المر روبسون ، المليونير الامريكي قد بنى فيها بيتا فخما كلفه آلاف الجنيهات الانجليزية .. وهو ترف عظيم حقا .

اكستر !.. لا بد له من الانتظار ساعة اخرى .. وعيل صبره ، وكان يود لو ان يستمر ..

* * *

كان الدكتور ارمسترونج يقود سيارته خلال وادي سالسبوري ، واحس بالاعياء .. فان للمجد ثمنه . لقد جاء عليه وقت كان يجلس فيه في عيادته بكل هدوء بشارع هاري ، وهو مرتد ثيابه ، تحيط به أحدث الآلات والاجهزة الطبية وقطع الاثاث الفخمة .. كان ينتظر طوال النهار نجاح مجهوده او فشله .

حسنا . لقد انتصر ، وابتسم له الحظ ، وساعدته اللباقة والكياسة. وغني عن البيان ان نقول انه كان يعرف مهنته حق المعرفة .. ولكن لم تكن المعرفة بكافية لكي ينجح ، اذ لا بد من الفرصة كذلك . وقد واتته الفرصة .. التشخيص الصحيح وامتنان مريضتين .. وهما مريضتان ثريتان من نساء المجتمع .. وقد تسببتا في شهرته .

«يجب ان تمضي لاستشارة ارمسترونج . انه طبيب شاب ، ولكنه كفء جدا . لقد اختلفت بام الى اطباء كثيرين ، سنين طويلة ، ولكنه هو وحده عرف داءها على الفور ..» وكان لهذا القول فعل السحر .

وقد اصبح الدكتور ارمسترونج الان طبيبا معروفا ، وعرف رواجا كبيرا بحيث لم يكن ليجد دقيقة واحدة يخلو فيها الى نفسه . كانت ايامه كلها مملوءة . ولهذا سره ان يغادر لندن في صباح ذلك اليوم من ايام اغسطس ، وأن يمضي لقضاء بضعة ايام في جزيرة بشاطىء ديفون.

ولكنها ليست اجازة بمعنى القول ، فان الخطاب الذي جاءه كان يتكلم في غموض . ولكن لم يكن هناك اي غموض في الشيك الذي كان مرفقا به .. اتعاب خيالية . لا ريب ان آل اوين هؤلاء قوم اثرياء . ويبدو ان الزوج كان منزعجا بخصوص صحة زوجته ، واراد ان يتثبت من طبيعة المرض الذي تشكو منه دون ان تشك في شيء ، فانها ترفض ان تذهب الى اي طبيب ، وأعصابها ..

الاعصاب ! هز الطبيب حاجبيه . يا للنساء واعصابهن ! ومهما يكن فانه لا يصح له ان يشكو من الناحية التجارية ، فان نصف النساء اللاتي يأتين لاستشارته لا يشكون الا من الملل . ولكنه كان يحرص على الا يصارحهن بذلك ، وكان يزعم دائما انهن مصابات بمرض ما . لقد اوشك ان يسقط .. واصبح حطاما بشريا ، ولكنه تمالك نفسه تحت الصدمة ، وفي يوم وليلة كف عن الشراب ونجا بأعجوبة .

وسمع بوقا يدوي خلفه في صوت اصم ، ومرقت بجواره سيارة كبيرة من طراز سوبر دالمان وهي تندفع بسرعة مائة وثلاثين كيلومترا في الساعة . وأوشك ان ينقلب بسيارته في الخندق الذي يمتد بطول الطريق ... شاب اخر من هؤلاء الشبان المجانين الذين ينهبون الارض نهبا .. لم يكن الطبيب يشعر بأي ميل من نحوهم . وقد نجا الان بمعجزة .

* * *

انطلق توني مارستون كالقنبلة في قرية بير الصغيرة وهو يقول :

ـ تبا لهذه السيارات التي تزحم الطريق وتحول بينك وبين الانطلاق كما تريد . والشيء الذي يثير الغيظ هو ان اصحابها يلتزمون منتصف الطريق، وقد اصبح من المتعذر قيادة سيارة في انجلترا . ما اجمل طرقات فرنسا ، فان في استطاعة المرء ان ينطلق فيها حقا .

هل يجب ان يتوقف هنا لكي يتناول مرطبا او ان يتابع طريقـــه ؟ ان امامه متسعا من الوقت ، فلم يعد هناك غير مائة كتلومترا . سوف يطلب كأسا من الجعة او قدحا من الليمونادة بالزنجبيل .. يا له من جو خانق !

سوف يلهو مع الاخرين كما يحلو له في تلك الجزيرة لو استمر هـذا الجو الجميل ، ولكن من هم هؤلاء الاخرون ؟.. القى انتوني مارستون على نفسه هذا السؤال ، وأجاب عليه في نفس الوقت فقال لا ريب انهم بعض محدثي النعمة ، وان آل بارجر لا مثيل لهم حقا في الوقوع على مثل هؤلاء القوم ، ولا ريب ان المسكين اصبح مفلسا تماما لكي يبلغ هذه المرحلة !

ولكن ليته يجد لديهم مشروبات معتقة ، فان مثل هذا الامر مشكوك فيه مع الاغنياء الجدد . ومما يؤسف له ان الشائعات التي تدور حـول شراء الممثلة جابرييل ثارل لهذه الجزيرة كاذبة ولا تستند الى اي اساس من الصحة ، فقد كان يؤثر ان ينضم الى حلقة المعجبين بالممثلة الجميلة ، ولكن لعله يلتقي في الجزيرة ببعض الفتيات الجميلات .

واذ خرج من الحانة ، تمطى ثم القى نظرة الى السماء الزرقاء ، وركب سيارته .

وتأمله نساء كثيرات . كانت قامته الطويلة وشعره المجعد ووجهـه الملوح وعيناه الزرقاوان قد اثارت اعجابهن .

وضغط على مفتاح الحركة ، فانطلقت السيارة على الفور . ووقـف الاهالي على جانبي الطريق بدافع الحرص والحذر ، وراح الصبية يتابعون العربة الفخمة في ذهول .

***

كان مستر بلور يسافر في القطار البطيء القادم من بليموث ، وكـان يشاركه في مقصورته رجل مسن له عينان مغمصتان ، ويبدو من مظهره انه بحار ، وكان في ذلك الوقت نائما.

وكان مستر بلور يكتب في عناية كبيرة في دفتر صغير وهو يقـول محدثا نفسه : ان القائمة هذه المرة كاملة . اميلي برنت وفيرا كلايتـون والدكتور ارمسترونج ، وانتوني مارستون والقاضي العجـوز وفيليب لومبارد والجنرال ماك ارثر والخادم وزوجته ، مستر ومسز روجرز .

وأطبق مفكرته ودسها في جيبه ، ثم القى نظرة الى الركن الذي يرقد فيه زميله في السفر وقال في صوت منخفض : انني اخطـأت واضفت

واحدا زيادة .

وفكر لحظة ثم قال: سيكون العمل سهلا جدا ، ولا يمكن ان اخطىء ، وارجو الا ينم مظهري عن شيء .

ونهض وراح يفحص نفسه في مرآة المقصورة ، وعكست المرآة صورة رجل حربي المظهر ، بوجه جامد خال من اي تعبير ، وعينين رماديتين وشفتين يعلوهما شارب صغير .

وقال يحدث نفسه : الحق انمن يراني يحسبني ميجورا.. آه ، كلا.. انني نسيت الجنرال .. ان هذا الرجل المتزمت لن يلبث ان يكشف امري .

واستطرد يناجي نفسه قائلا : ان افريقيا الجنوبية هي مجال اختصاصي ، ولا يمكن ان يكون اي من هؤلاء الاشخاص قد ذهب اليها . وحيث انني قرات كل شيء عن هذه المنطقة فانني استطيع ان اتحدث عنها كما لو انني اعرفها حقا .

ولحسن الحظ ان هناك انواعا كثيرة من المستعمرين ، وكرجل اصاب ثروة في افريقيا الجنوبية ، كان مستر بلور يتباهى بأنه يستطيع ان يتغلغل بسهولة في اي مجتمع .

جزيرة الهندي .. تذكر انه اقام فيها بعض الوقت وهو صبي ، وهي عبارة عن صخرة كبيرة تثير الاشمئزاز ، وتحط عليها طيور النورس ، وتقع على بعد الف وخمسمائة متر تقريبا من الشاطىء . وقد اكتسبت اسمها هذا لانها تشبه رأس رجل يبدو كما لو كان من الهنود . وانها لفكرة غريبة حقا ان يشيد احد بيتا فوقها . وانه لمن المزعج ان يعيش المرء في جزيرة حين تهب العاصفة . ولكن اصحاب الملايين لهم نزوات عجيبة .

واستيقظ الرجل المسن وهو يقول : لا يمكن ان يتوقع الانسان شيئا وهو في البحر .. لا يمكن اطلاقا .

قال مستر بلور في شيء من العزاء : هذا صحيح ، فلا يمكن ان يدري احد ما ينتظره .

وسعل البحار في صوت ضعيف وقال : هناك عاصفة على الابواب .

اجابه مستر بلور : كلا . كلا يا صاحبي ، ان الجو جميل .

غضب الرجل المسن وقال : اقول لك ان العاصفة على الابواب . انني احس بها .

قال بلور مسالما : لعلك على حق .

وتوقف القطار فنهض الرجل قائلا : انني سأهبط هنا .

وراح يعالج الباب لكي يفتحه . وهب مستر بلور لمساعدته . ورفع البحار يده في شيء من الوقار وقال قبل ان يهبط على الرصيف : استغفر وصل لربك فان يوم الحساب يقترب .

وهبط الى الرصيف اخيرا ورفع عينيه نحو مستر بلور وقال له في وقار : انني اخاطبك انت ايها الرجل . استغفر الى ربك وصل له فان يوم الحساب قريب جدا .

وتربع مستر بلور فوق مقعده وقال يحدث نفسه : انه الى يوم الحساب اقرب مني بكل تأكيد .

وكان مخطئا في ظنه هذا .

- ٢ -

وقفت جماعة صغيرة مترددة امام محطة اوكبريدج ، وخلفها بعض الحمالين محملين بالحقائب والامتعة . ونادى احدهم قائلا : جيم !

واقترب منهم سائق سيارة اجرة وسألهم بلهجة اهالي الدينون :

ــ هل تذهبون الى جزيرة الهندي ؟

رد عليه اربعة اصوات بالايجاب ، وتبادلوا النظر فيما بينهم .

وتحول سائق سيارة الاجرة الى القاضي وورجريف بعد ذلك اذ رآه اكبر الجماعة سنا وخاطبه قائلا :

ــ هنا سيارتان يا سيدي ، ويجب ان تنتظر احداهما قطار الركاب القادم من اكستر ، بعد خمس دقائق او ست .. فهناك مسافر اخر سيأتي به ، ولعل احدكم يرضى ان ينتظر قليلا حتى لا يزحم الاخرون بعضهم البعض .

اسرعت فيرا كلايتون تقول ، شاعرة بوظيفتها الجديدة كسكرتيرة :

ــ سأنتظر انا اذا اردتم .

ونظرت الى الثلاثة الاخرين ، وفي نظرتها ولهجتها رنة خفيفة آمرة تنم عن نوع العمل الذي تقوم به ، فقد استخدمت نفس اللهجة التي تستخدمها في اصدار اوامرها لتلاميذها اثناء لعب التنس .

وقالت مس برنت في حدة : شكرا .

ثم خفضت رأسها وركبت سيارة الاجرة ، وكان السائق قد فتح لها الباب . وتبعها القاضي ، اما لومبارد فقد جازف قائلا :

ــ سأنتظر مع الانسة ..

اكملت فيرا قائلة : كلايتون .

- اما انا فاسمي لومبارد .. فيليب لومبارد .

وحمل الحمالون سيارة الاجرة بالحقائب التي كانوا يحملونها . وفي داخل السيارة قال القاضي في حذر : ان الجو جميل اليوم .

اجابت مس برنت : هذا صحيح .

وقالت تحدث نفسها انه رجل محترم جدا ، يختلف كل الاختلاف عن هؤلاء المدعوين الذين نلتقي بهم في البنسيونات على شاطىء البحر . الواضح ان مستر ومسز اوين يعرفان اناسا من المجتمع .

وسألها القاضي وورجريف : هل تعرفين هذه الناحية من انجلترا ؟

- سبق ان ذهبت الى كورنواي وثوركاي ، ولكن هذه اول مرة ازور فيها اقليم ديفون .

قال القاضي : وانا كذلك .

وانطلقت سيارة الاجرة .

وقال سائق سيارة الاجرة الثانية يسأل الاثنين اللذين بقيا : الا تريدان الانتظار داخل السيارة ؟

اجابت فيرا في صوت قاطع : ابدا.

وابتسم الكابتن لومبارد وقال : ان هذا المكان المشمس يروق لي كثيرا ، الا اذا كنت تفضلين ان ننتظر داخل المحطة ؟

- آه . كلا . انني مسرورة جدا اذ لا ارى نفسي امام تلك العربات الخانقة .

قال : ان السفر في السكة الحديد في مثل هذا الحر لمحنة كبيرة .

واردفت فيرا تقول : ارجو ان يستمر الجو على هذا فان الصيف في انجلترا يدخر لنا مفاجآت كثيرة .

والقى لومبارد عندئذ سؤالا غريبا اذ قال : هل تعرفين هذه الناحية من انجلترا جيدا يا انسة ؟..

- كلا . انني قدمت اليها لاول مرة .

ثم اردفت تقول كما لو كانت قد قررت منذ البداية ان تحدد موقفها من آل اوين :

- بل انني لم ار مخدومتي حتى الان .

- مخدومتك ؟

- نعم ، فأنا سكرتيرة مدام اوين .

- آه . انني فهمت .

وتغير موقفه على الفور وقال في جراة اكبر : هذا امر غير متوقع .
ضحكت فيرا وقالت : ولماذا ؟.. انني لا اظن ذلك . لا ريب ان السكرتيرة الخاصة لمدام اوين مرضت فجأة فأبرقت الى احد مكاتب العمل لتبحث عن سكرتيرة اخرى ، وكان ان ارسلوني انا .
ـ آه . هكذا تقع الامور اذن . وماذا يحدث اذا لم ترق لك الوظيفة بعد ان تستقيم لك الاقامة في البيت .
ضحكت فيرا من جديد وقالت : اوه . انها وظيفة مؤقتة ، اثناء الاجازة . ان لدي وظيفة ثابتة في مدرسة للبنات والحقيقة انني اتلهف لرؤية جزيرة الهندي منذ ان راحت الجرائد تتحدث عنها . اهي جميلة الى هذا الحد ؟
اجاب لومبارد : لا ادري ، فأنا نفسي لم ارها بعد .
ـ حقا ؟ لا ريب ان آل اوين تحمسوا . ولكن من هؤلاء الناس ؟
فكر لومبارد لحظة . لقد اصبح الموقف دقيقا . هل يجب ان يزعم بأنه سبق ان رآهم ام لا ؟ واسرع بتغيير مجرى الحديث فقال :
ـ آه .. يوجد دبور على ذراعك . كلا .. لا تتحركي .
ولكي يقنعها هش الحشرة بيده وقال : انه طار .
ـ شكراً لك يا سيدي . ان الدبابير كثيرة هذا الصيف .
ـ لا ريب ان السبب في كثرتهم هي الحرارة ، هل تعرفين من ننتظر هنا ؟
ـ ليست لدي اية فكرة .
وسمع صوت القطار وهو يقترب . وقال لومبارد : ها هو القطار قادم.

***

هبط من القطار رجل طويل القامة ، عسكري المظهر ، شعره قصير يخوطه المشيب وله شارب صغير يعنى به عناية كبيرة .
وكان خلفه حمال يرزح تحت ثقل حقيبة متينة من الجلد ، واشار الرجل الى فيرا ولومبارد ، فتقدمت فيرا في هدوء طبيعي وقالت :
ـ انا سكرتيرة مدام اوين ، سوف نستقل هذه السيارة .
ثم اردفت تقول : اقدم لك مستر لومبارد .
وقيم الوافد الجديد بعينيه المكدودتين بحكم السن الكابتن لومبارد .
وقال يحدث نفسه :

ـ انه شاب وسيم . ولكن فيه شيئا لا يروق لي .

وجلس الثلاثة في سيارة الاجرة ، وما هي الا لحظة حتى انطلقت بهم في شوارع مدينة اوكبريدج الصغيرة الهاجعة ، ثم انعطفت بعد ذلك الى الطريق الكبير المؤدي الى بليموث ، وبعد نحو الف وخمسمائة متر دلفت في متاهة من الطرق الريفية الخضراء الوعرة .

وقال الجنرال ماك ارثر : انني اجهل كل شيء عن اقليم ديفون ، فان بيتي الصغير يقع في الشرق في حدود اقليم دورست .

وقالت فيرا : ان هذا الريف جميل ، وهذه التلال الخضراء والارض الحمراء تسر الناظرين حقا .

وقال لومبارد في لهجة الناقد : هذه الاراضي تبدو لي منخفضة جدا واني أوثر الاراضي الفسيحة حيث يمتد البصر الى مدى بعيد .

قال الجنرال ماك ارثر : أفهم من هذا انك طفت ببلاد كثيرة .

هز لومبارد كتفيه في غير اكتراث وقال : اوه . انني تنقلت في كل بقاع العالم تقريبا .

وقال يحدث نفسه : ان هذا العسكري العجوز سيسألني بكل تأكيد هل كنت في سن تسمح لي بحمل البندقية اثناء الحرب العالمية . ان هؤلاء العسكريين لا يفكرون في شيء غير الحرب .

ولكن الجنرال ماك ارثر لم يذكر اية اشارة عن الحرب .

وبعد ان ارتقوا التل المنحدر هبطوا الى قرية ستيكلهافن ، وهي قرية صغيرة بها بضعة بيوت واكشاك للصيد على الساحل .

ووقفوا يتأملون ، لاول مرة جزيرة الهندي ، وقد بدت امامهم ، جنوبي البحر ووقعت عليها اشعة الشمس الغاربة .

وهتفت فيرا مشدوهة : ولكننا ما زلنا بعيدين جدا عنها .

كانت قد تصورتها مختلفة جدا وقريبة جدا من الساحل ، في وسطها بيت ابيض جميل ، ولكن لم تقع عيناها على اي مبنى وانما رأت امامها صخرة ضخمة تشبه رأس رجل من قبائل الهنود . وبدا شكلها كئيبا . وسرت في بدنها رعشة .

وامام حانة القرية الصغيرة جلس ثلاثة اشخاص هم القاضي الكهل بظهره المحدودب ومس برنت بقامتها المعتدلة ورجل اخر متين الجسم تقدم نحو الجماعة الجديدة وقال يقدم نفسه :

ـ رأينا ان ننتظركم هنا وبهذا نستطيع ان نقوم برحلة واحدة . اسمحوا لي ان اقدم نفسي . اسمي دافيس وقد ولدت في الناتال بافريقيا

الجنوبية .. ها .. ها ..

وقهقهته المرحة جعلت القاضي ينظر اليه في شيء من الاستياء . وعاد دافيس يقول في لهجة المضياف الكريم :

ـ هل يريد احدكم ان يتناول كأسا صغيرا قبل ان نبحر ؟

ولكن لم يقبل احد اقتراحه فاستدار ورفع اصبعه وقال :

ـ فلنمض اذن .. فلا ريب ان مضيفينا في انتظارنا .

وكان في استطاعته ان يلحظ شيئا من الضيق على وجوه المدعوين الاخرين ، فقد بدا ان عبارته الاخيرة قد شلت افكارهم .

وردا على اشارة من دافيس تقدم رجل كان ينتظر بجوار الجدار واقترب منهم . وكانت خطواته الرشيقة تدل على انه بحار . كان ملوح الوجه ، داكن العينين ، حالم النظرة . وقال في هدوء بلهجة اهالي اقليم ديفون :

ـ سيداتي ، سادتي ... هل تريدون الانتقال الى الجزيرة الان حالا ؟ ان الزورق على استعداد . يجب ان يأتي رجلان آخران بالسيارة ، ولكن مستر اوين اصدر الي امره بألا انتظرهما لانه يمكن ان يأتيا في اية لحظة .

نهض القوم وتبعوا البحار عبر جسر يقف امامه زورق بخاري . وقالت اميلي برنت :

ـ انه زورق جميل .

قال البحار في اقناع : وهو متين وسريع يا سيدتي ، وسيصل بكم الى الجزيرة بأسرع ما يمكن .

وقال القاضي وورجريف في صوت قاطع : ولكننا كثيرون .

ـ انه يمكن ان يحمل ضعف عددكم يا سيدي .

تدخل فيليب لومبارد عندئذ وقال في صوت رقيق : اوه ، سوف يمر كل شيء على ما يرام . ان الجو جميل .. والبحر هادىء .

وتركت مس برنت الرجل يساعدها في الانتقال الى الزورق دون حماس كبير . وتبعها الاخرون . وحتى ذلك الوقت لم يجر اي حديث بين افراد الجماعة . وبدا ان كلا منهم كان يفحص الاخر . وعندما هم الزورق بمغادرة المرسى توقف البحار والخطاف في يده ، فعلى الطريق المنحدر اقبلت سيارة كبيرة يجلس امام عجلة القيادة منها شاب مشط شعره الى الخلف وبدا تحت اشعة الشمس الغاربة كما لو كان الها وبطلا خرج من جوف احدى اساطير الشمال .

وضغط على مفتاح سيارته فانبعث منها هدير هائل تردد صداه بين

صخور الخليج . وبدا انتوني مارستون في هذه اللحظة الغريبة فـــوق مستوى البشر ، وقد بقي هذا الانطباع مطبوعا في ذهن الجميع .

جلس فريد فاراكوت بجوار المحرك وراح يفكر في الجماعة الغريبـة التي تجلس في زورقه . لم يكن اي منهم من هؤلاء الضيوف الذين كـــان يتوقع ان يمضي بهم الى مستر اوين . كان يتوقع ان يرى اناسا أكثـــر اناقة ونساء في ثياب جميلة ورجالا يلبسون ثياب اليخت ويبدو عليهـــم الثراء والجاه .

ولكن هؤلاء كانوا بعيدي الشبه عن ضيوف مستـــر المر روبسون ، وارتسمت ابتسامة ساخرة وهو يستعيد ذكرياته . لقد كان المليونير يقدم حفلات عظيمة كانت الشمبانيا تسيل فيها انهارا .

ولكن لا ريب ان مستر اوين هذا رجل يختلف عنه . وقد استغرب فريد لانه لم ير مستر اوين حتى اليوم . ولم ير زوجته كذلك ، فلم يذهب اي منهما الى القرية . كان مستر موريس يقوم بكل الطلبات ويسدد كل الفواتير ، وكانت التعليمات واضحة جدا والدفع عاجل ، ولكن هذا لـــم يمنع أن الاختلاف كان غريبا . كانت الجرائد تشك في ان هنـــاك سرا ، وكان فاراكوت معهم في هذا الراي .

ولكن ، لعل الجزيرة ملك للانسة جابرييل ثارل على كل حال . ومع ذلك فان هذه النظرية كانت تكذبها سحنة هؤلاء الركاب ، فلم يكن يبدو على اي منهم انه يدور في محيط نجمة السينما .

وراح يدربهم في ذهنه في برود .

فتاة عانس ساخطة .. كان يعرف هذا النوع جيدا ، وكان علـــى استعداد لان يراهن انها امراة شرسة . والرجل العسكري تدل هيئتـــه عليه .. ثم هذه الفتاة الجميلة .. ليس فيها شيء غير عادي ، وليس فيها ما يدل على انها من كواكب هوليود ، وذلك الرجل الضخم المرح كان يفتقر الى آداب السلوك ، ولعله تاجر اعتزل العمل .. خيل لفريد فاراكوت ان هذا هو كل شيء . اما الشاب الاخر ، النحيف ، ذو العين الحادة والذي يبدو عليه انه يتضور جوعا فان امره عجيب ، ربما هو الوحيد الذي يعمل في الحقل السينمائي . صفوة القول ، انه لم ير في كل هؤلاء الا شخصا واحدا يروق له ، وهو ذلك الزائر الذي اقبل في تلك السيارة ، ويا لها من سيارة . ان احدا لم ير مثيلا لها ابدا في ستيكلهافن ، ولا ريب انها كلفته مبلغا باهظا . ان مثل هذا الشاب ولد وفي فمه ملعقة من فضة ، ولو ان الاخرين كانوا يشبهونه لما استغرب فاراكوت .

الحق ان امرهم كان غريبا .. كان غريبا جدا .

ودار الزورق البخاري بالصخرة محدثا دوامة كبيرة . وظهر البيت عندئذ . وكانت الناحية الجنوبية من الجزيرة مختلفة تماما وتهبط في منحدر نحو البحر .-اما المبنى نفسه فكان منخفضا ومربعا ومشيدا على الطراز العصري ، بنوافذ مقوسة تطل على الجنوب وتتلقى اشعة الشمس كلها .

كان بيتا جميلا يتجاوب مع كل ما يمكن ان يحلم به المرء .

واوقف فريد فاراكوت محركه ، ومضى الزورق في بطء نحو خليج صغير بين الصخور ، وقال فيليب لومبارد في لهجة جافة :

ـ لا ريب ان الرسو هنا متعذر اثناء العواصف .

اجاب فاراكوت في مرح : لا يجب ان نفكر في الاقتراب من الجزيرة اذا ما بدأت العاصفة .. احيانا تبقى المواصلات بين الجزيرة والساحل مقطوعة لمدة اسبوع او اكثر .

واحتك جانب الزورق بالصخور . ووثب فريد فاراكوت الى الشاطىء . وساعد الركاب ، مع لومبارد ، في الهبوط . وربط فاراكوت زورقه في حلقة مثبتة في الصخور ثم قاد الجماعة نحو سلم منحوت هو الاخر ، في الصخور .

وصاح الجنرال ماك ارثر يقول : آه . هذا جميل .

ومع ذلك فانه أحس في قرارة نفسه بالقلق والانزعاج . وفكر يقول : يا له من مكان فظيع لا يمكن الاقامة فيه .

ووجد المدعوون انفسهم في اعلا السلم ، في شرفة فسيحة . وعادت اليهم شجاعتهم . وامام الباب الكبير المفتوح راوا رئيس الخدم يقف في انتظارهم . وكانت سحنته شريفة ، تبدو عليه امارات الجد بحيث اطمأنوا اليه . اما البيت نفسه فكان مدهشا ، والمنظر الذي تطل عليه الشرفة يتجاوز كل التوقعات .

وتقدم الخادم ، وانحنى انحناءة خفيفة . وكان نحيفا ، أشيب الشعر ، وقور المظهر .

ـ سيداتي ، سادتي .. هلا تفضلتم بالدخول ؟

وكانت تنتظرهم في البهو الفسيح مشروبات كثيرة ، مختلفة الانواع .

وأمام منظر الزجاجات استعاد انتوني مارستون هدوءه وبشاشته ، فان هذه الطبقة الغريبة لم تكن تتفق ابدا مع ميوله . كيف يخطر لبادجر هذا ان يرسله الى هذه الجزيرة ؟ .. ولكن الشراب كان جيدا على كل حال ،

والثلج متوافر .

ولكن ماذا يقول ذلك الخادم ؟

ـ آه ، اضطر مستر اوين الى ان يتأخر ولن يتمكن من الحضور قبل الغد ، وان رئيس الخدم يضع نفسه تحت تصرف المدعوين ، هل يريدون الذهاب الى غرفهم ؟ سوف يكون الطعام معدا في الساعة الثامنة .

***

تبعت فيرا مدام روجرز الى اعلا السلم . وفتحت الخادمة بابا في اخر الفرفة ، ودخلت الفتاة غرفة نوم جميلة ، تطل احدى نوافذها على البحر ، والاخرى على الناحية الشرقية . واطلقت فيرا كلايتون صيحة تدل على الفرح .

وقالت لها مدام روجرز :

ـ ارجو الا ينقصك شيء .

القت فيرا حولها نظرة . كانت حقائبها موجودة وقد افرغت مما فيها، وفي ركن من الفرفة كان هناك باب مفتوح يفضي الى غرفة استحمام ، بلاطها ازرق فاتح . وقالت :

ـ كلا . لست بحاجة الى شيء . اشكرك .

ـ اذا اردت شيئا فما عليك الا ان تضغطي على الجرس يا انسة .

كانت مدام روجرز تتكلم في صوت رتيب عادي فيه لمسة من فضول . ونظرت فيرا الى هذه المراة ذات البشرة الشاحبة نظرة فاحصة . كانت شبحا حقيقيا ، مظهرها سليم تماما ، بشعرها المشوط الى الخلف وثوبها الاسود . وكانت عيناها الشاحبتان المتحركتان لا تنفكان تنظران ذات اليمين وذات اليسار . وقالت فيرا تحدث نفسها : يخيل لي ان مدام روجرز خائفة من ظلها .

وكان هذا حقا ، فقد كانت تبدو فريسة خوف مميت .

وسرت رعشة في بدن الفتاة وتساءلت مم تخاف هذه المراة التعسة ؟ وقالت في رفق :

ـ انا السكرتيرة الجديدة لمدام اوين . لا ريب انك على علم بذلك ؟

اجابتها مدام روجرز : كلا . انني لا اعرف شيئا . سلمت لي قائمة باسماء السادة والسيدات لكي اعد لكل منهم غرفته .

سألتها فيرا : الم تحدثك مدام اوين عني ؟

ـ انني لم ار مدام اوين بعد . اننا لم نأت هنا الا منذ يومين .

فكرت فيرا : ما اغرب آل اوين هؤلاء !

ثم قالت في صوت مسموع : هل الخدم كثيرون ؟

ـ لا يوجد غيري انا وروجرز يا انسة .

قطبت فيرا حاجبيها . ثمـــان من المدعويـــن في البيت . اي عشرة اشخاص بما في ذلك مستر ومدام اوين وخادمين اثنين فقط للاشراف على خدمتهم !

واردفت مدام روجرز : انني طاهية ممتازة ، وروجرز قدير في اعمال البيت ، ولكنني لم اكن أتوقع مثل هذا العدد من الضيوف .

ـ وكيف ستتصرفين ؟

ـ اطمئني يا انسة ، سأعرف كيف ادبر امري . اما اذا ارادت مسز اوين اقامة حفلات فلا ريب انها ستأتي بخدم اخرين للمساعدة .

قالت فيرا : ارجو ذلك من اجلك .

وانصرفت مدام روجرز في هدوء ودون ان يصدر منها صوت .

ومضت فيرا الى النافذة وجلست على الحاجز . بدا لها كل شيء في هذا البيت غريبا وشاذا .. غياب الخدم ، ومدام روجرز التي تبدو كشبح من الاشباح ، والمدعوين .. كان هؤلاء الاخرون أشد غرابة من الباقي وغير متجانسين على الاطلاق .

وفكرت تقول : مهما يكن فقد كنت اود ان ارى مستر ومسز اوين ، وان اكون لنفسي رايا بخصوصهما .

ونهضت ، وراحت تمشي في غرفتها وهي فريسة للانفعال .

كانت غرفة نوم كل ما فيها حديث .. الديكور والسجاد ، والجدران مدهونة بطلاء باهت والمرآة الكبيرة تحيط بها المصابيح الكهربائية . وفوق المدفأة قطعة ضخمة من الرخام تبدو تحفة جميلة وتمثل دبا في وسطه منبه ، ولصق الحائط ، فوق المدفأة اطار من المعدن البراق فيه قطعة من الرق مسجل عليها اغنية من اغاني الاطفال .

ووقفت فيرا امام المدفأة وراحت تقرا مقاطع الاغنية التي طالما سمعتها وهي طفلة صغيرة :

عشرة اطفال هنود مضوا لتناول العشاء .

اختنق احدهم فلم يبق منهم الا تسعة .

***

تسعة اطفال هنود ظلوا سهارى حتى وقت متأخر من الليل ،
ونسي احدهم ان يصحو فأصبحوا ثمانية .

***

ثمانية اطفال هنود سافروا الى اقليم ديفون
صمم احدهم على البقاء هناك فأصبحوا سبعة

***

سبعة اطفال هنود راحوا يكسرون الخشب بالبلطة
شطر احدهم نفسه قسمين فلم يبق منهم الا ستة

***

ستة اطفال هنود اخذوا يلعبون حول خلية نحل
لسع دبور احدهم فلم يبق منهم غير خمسة

***

خمسة اطفال هنود ذهبوا لدراسة القانون
صار احدهم محاميا فلم يبق منهم الا اربعة

***

اربعة اطفال هنود ركبوا متن البحر
ابتلع سمك القرش واحدا منهم فلم يبق الا ثلاثة

***

ثلاثة اطفال هنود ذهبوا الى حديقة الحيوانات
قتل الدب احدهم فأصبحوا اثنين

***

طفلان من الهنود جلسا تحت اشعة الشمس
اصيب احدهما بضربة شمس فلم يبق غير واحد

***

طفل هندي الفى نفسه وحيدا
فشنق نفسه ولم يبق منهم احد

***

لم يسع فيرا الا ان تبتسم طبعا .. أليست موجودة في جزيرة الهندي ؟

ومضت فجلست بجوار النافذة لكي تتأمل منظر البحر .

ما اوسع المحيط ! لم تكن ترى من مكانها هذا اية قطعة من اليابسة. وانما كانت ترى مساحة كبيرة من الماء الازرق الذي يتموج تحت اشعة شمس الغروب .

البحر هادىء اليوم .. ولكنه قاس في اغلب الاحيان .. البحر الذي يطويك في هاويته .. وتغرق .. تغرق .. تغرق .

كلا . انها لا تريد ان تتذكر .. لا تريد ان تفكر في هذا الامر بعد الان . فكل ذلك قد طواه الماضي .

هبط الدكتور ارمسترونج من الزورق الى جزيرة الهندي في نفس اللحظة التي غابت فيها الشمس خلف الافق . كان قد ثرثر مع النوتي اثناء الطريق . وحاول ان يعرف منه شيئا عن صاحبي الجزيرة ، ولكن اما ان فاراكوت لم يكن يعرف شيئا او انه لم يكن على استعداد للكلام .

واضطر الدكتور ارمسترونج الى الحديث عندئذ عن الجو والصيد .

كانت رحلته الطويلة في السيارة قد ارهقته واتعبت عينيه ، فقد كان منطلقا نحو الغرب ، وكانت اشعة الشمس تبرق في وجهه طوال فترة بعد الظهر .

ولكن البحر والهدوء الشامل سوف يبددان تعبه . كان يود لو ان يأخذ اجازة طويلة طبعا ولكنه لم يكن يستطيع ان يمنح نفسه هذا الترف . ولم يكن ذلك بسبب المال ، وانما كان يهمه الاحتفاظ بعملائه قبل كل شيء،

فان الناس سرعان ما ينسى بعضهم البعض في هذه الايام ، خاصة وانه ، الان وقد وطد مركزه ، لا بد له من ان يعمل دون انقطاع .

وفكر ، سأحاول الليلة ان أوهم نفسي بأنني لن أعجل بالعودة الى لندن ، وبأنني فرغت من شارع هاري وكل ما يتعلق به .

وكلمة هندي فيها قوة سحرية ، وتعيد الى الاذهان كل انواع اللهو والمرح . واذا ما هبط اليها المرء فقد كل صلة له ببقية العالم ، فان الجزيرة وحدها عالم بأسره .. عالم قد لا يعود منه المرء .. واردف يقول :

ـ سأحاول ، ولو مرة واحدة ، ان اترك خلفي كل مشاكلي اليومية .

وابتسم ، وراح يبني مشاريع مدهشة للمستقبل .

وكان لا يزال يبتسم وهو يرقى الدرجات المنحوتة في الصخور .

وفي مقعد بالشرفة ، كان يجلس رجل مسن بدا منظره مألوفا للدكتور ارمسترونج .. اين راى هذا الوجه الشبيه بوجه الضفدعة ، وهذا العنق الذي يشبه عنق السلحفاة ، وهذا الظهر المحدودب وهاتين العينين الشاحبتين الماكرتين ؟.. آه ، نعم ، انه القاضي وورجريف الكهل . لقد ادلى ارمسترونج بشهادته امامه مرة . وكان الكهل يبدو دائما كسولا ولكنه كان داهية في كل ما له علاقة بالقانون ، وكان له نفوذ كبير على المحلفين ، ويقال انه كان يحملهم على تغيير قرارهم طبقا لارادته . وقد جعلهم يصدرون احكاما بالاعدام في حالات كثيرة .. صفوة القول انه كان قاضيا شرسا يرسل الناس الى المشنقة بسهولة كبيرة .

وانه لمكان عجيب للقاء به ، في هذه الجزيرة ، بعيدا عن بقية العالم .

قال القاضي وورجريف يحدث نفسه : ارمسترونج !.. انني اتذكر انني رأيته على منصة الشهود .. رجل محترم وحريص .. ولكن كل الاطباء واطباء شارع هاري اسوأ من الجميع .

وعاد ذهنه الميال الى السوء الى الحديث الذي تبادله اخيرا في نفس هذا الشارع مع احد هؤلاء الاطباء المعسولين . وقال في صوت مرتفع :

ـ ان المشروبات في البهو .

قال الدكتور ارمسترونج : سأذهب لتحية صاحب القصر وزوجته .

اطبق مستر وورجريف جفنيه ، فزاده ذلك شبها بثعبان وقال :

ـ غبي !

اجفل الطبيب وقال : لماذا ؟

اجابه القاضي : ليس للبيت صاحب ولا صاحبة ، والموقف من اشد

المواقف غرابة ، ولا افهم شيئا .

حدق الدكتور ارمسترونج فيه لحظة طويلة ، واذ خيل له انه أخلد الى النعاس اذا به يسأل فجأة :

ـ هل تعرف كونستانس كولمنجتون ؟

ـ ايه ؟.. كلا . لا اظن ذلك .

ـ لا اهمية . انها امرأة مضحكة على كل حال وخطها يتعذر قراءته . واني اتساءل اذا لم اكن قد اخطأت العنوان .

هز الدكتور ارمسترونج رأسه ، وتابع طريقه حتى البيت .

وفكر القاضي وورجريف لحظة في حماقة كونستانس كولمنجتون . كانت في هذا اشبه ببنات جنسها .

وانتقلت افكاره الى السيدتين اللتين جاءتا الى الجزيرة معه .. العانس ذات الشفتين المزمومتين والمرأة الشابة . لم يشعر نحو هذه الاخيرة بميل كبير . وقال في نفسه انها واحدة من هؤلاء الفتيات الوقحات اللاتي لا يتملكهن الاضطراب ابدا . آه . ولكنهن ثلاث من النسوة ، اذا اضاف اليهما زوجة روجرز . وان هذه الاخيرة لمخلوقة غريبة الاطوار ، يبدو عليها الخوف . انها هي وزوجها لا غبار عليهما ، ويبدو انهما يعرفان مهنتهما جيدا .

وفي هذه اللحظة بالذات ظهر روجرز بالشرفة فناداه القاضي وقال له :

ـ هل تعرف اذا كانت الليدي كونستانس كولمنجتون ستأتي الليلة .

نظر روجرز اليه بعينين متسعتين وقال : كلا يا سيدي لا اظن ان احدا سيأتي .

رفع القاضي حاجبيه واكتفى بأن دمدم قائلا : هذه المسألة مريبة !

***

كان انتوني مارستون واقفا تحت الدش يغتسل في نشوة ويحرك اعضاءه التي جمدتها رحلته الطويلة في السيارة . وكانت تدور برأسه افكار قلة لانه كان رجلا حساسا يحب الحركة .

وكان يفكر : يجب ان استقر على راي .

وتوقفت افكاره عند هذا الحد .

الماء الساخن المدهش .. والاعضاء المرهقة لفرط التعب .. سوف

يحلق ذقنه ثم يتناول شرابا .. ثم العشاء بعد ذلك .

* * *

كان مستر بلور يعقد رباط ياقته . وكان هذا العمل يضايقه كل المضايقة . ولكن اهو ذو هيبة ووقار قبل كل شيء ؟.. نعم .

لم يبد احد ودا كبيرا نحوه .. وانه لأمر غريب ان يتبادل هؤلاء الناس النظرات .. كما لو كانوا يعلمون .

ولكن عليه هو ان يكون فوق الظروف ، ولا بد له من ان يقوم بالمهمة التي قبلها . ورفع عينيه ونظر الى الاغنية الموضوعة في الاطار فوق المدفأة.

انها لفكرة طيبة ان علقت هذه الاغنية في هذا المكان .

وفكر يقول : اتذكر انني زرت هذه الجزيرة وانا طفل ، وما كنت اعتقد انني سأعود اليها مكلفا بمثل هذه المهمة . ولكن لحسن الحظ اننا لا نعرف المستقبل .

* * *

راح الجنرال ماك ارثر يرغي ويزبد بينه وبين نفسه . فقد بدات هذه القصة تثقل عليه ، ولم يكن يتوقع مثل هذا الاستقبال .

كان يود لو ان يهتدي الى حجة لكي ينصرف ويتخلص من هذا الامر . ولكن الزورق البخاري عاد الى القرية ، وكان لا بد له من البقاء في الجزيرة ، ثم ان المدعو لومبارد كان رجلا غريب الاطوار ، لم يكن صريحا ابدا ، وانه لعلى استعداد لان يقسم بأن هذا الرجل ليس صادقا ابدا .

* * *

عندما دق الجرس ايذانا بموعد العشاء خرج فيليب لومبارد من غرفته وتقدم نحو السلم في خطوات رشيقة صامتة كخطوات الفهد .. كان فيه شيء من المكر ، وكانت هيئته تعيد الى الذهن هيئة الفريسة التي يحلو للمرء ان ينظر اليها . وكان يبتسم في قرارة نفسه .

ـ اسبوع ؟.. آه .. سوف ينتهز الفرصة ويستمتع بوقته .



وكانت اميلي برنت تجلس في غرفتها وقد ارتدت ثوبا من الحرير الاسود ، وراحت تقرأ في الانجيل في انتظار موعد العشاء .

«وسيلقي بالكفار في الهوة التي حفروها بأنفسهم ، وستطأ اقدامهم الفخ الذي نصبوه ، وسيكشف الرب عن نفسه يوم الحساب ، وسيقع الاشرار في الشراك التي نصبوها بأنفسهم ويلقي بهم في النار» .

وزمت شفتيها واطبقت الكتاب المقدس . ونهضت . وعلقت على صدرها حلية من المرو وهبطت لتناول العشاء .

- ٣ -

كان العشاء على وشك الانتهاء ، وكان الطعام شهيا والشراب معتقا ، وقام روجرز بالخدمة على اكمل وجه .

وكان المدعوون جميعا قد تخلوا عن قلقهم وجزعهم، وانطلقت السنتهم. وكان مستر وورجريف القاضي قد تأثر من النبيذ الجيد فراح يتكلم ويرسل النكتة وراء النكتة في سخرية لاذعة ، واخذ الدكتور ارمسترونج وانتوني مارستون يصغيان اليه بسرور . وراحت مس برنت تثرثر مع الجنرال ماك ارثر وقد اكتشف كل منهما في الاخر نقاطا مشتركة . اما مسز كلايتون فقد راحت تلقي على مستر دافيس اسئلة موضوعية عن افريقيا الجنوبية . وكان دافيس يعرف هذا الموضوع كل المعرفة ، وراح لومبارد يتابع حديثهما . ورفع عينيه مرة او مرتين وقد قطب جبينه ، واخذ ينقل بصره حول المائدة خلسة وينظر الى المدعوين الاخرين نظرة دارسة .

وفجأة ، صاح انتوني مارستون يقول : هذا عجيب !.. اعني هذه التماثيل الصغيرة .

فقد كانت هناك ، في وسط المائدة ، صينية عليها بضعة تماثيل من الخزف . وقال انتوني :

ـ انها تماثيل لهنود .. جزيرة الهنود ؟.. لا ريب ان الفكرة آتية من هنا ..

انحنت فيرا الى الامام وقالت : هذا صحيح ، وانه لأمر يدعو الى الطرب . كم عددهم !.. عشرة ؟

ـ نعم . انهم عشرة .

صاحت فيرا : ان منظرهم يثير الضحك . انهم الهنود العشرة الذين

تتكلم عنهم الاغنية .. انها مكتوبة في رقعة من الرق داخل اطار فوق المدفأة ، بغرفتي .

قال لومبارد : وهي موجودة في غرفتي انا ايضا .

- وفي غرفتي كذلك .

- وكذلك في غرفتي انا .

واجمع الجميع على ذلك . وقالت فيرا : فكرة غير عادية .

قال القاضي وورجريف متذمرا : بل قولي أنها فكرة صبيانية .

القت اميلي برنت نظرة الى فيرا كلايتون . وردت هذه الاخيرة على نظرتها بايماءة خفيفة من رأسها ثم نهضتا معا .

وفي الصالون ، تناهت اليهما ، من النوافذ الكبيرة المفتوحة ، صوت الامواج وهي تتكسر على الصخور . وقالت اميلي برنت :

- انني احب ان أسمع هدير البحر .

قالت فيرا في لهجة جافة : اما انا فأبغض ذلك كل البغض .

تأملتها مس برنت في دهشة كبيرة ، واصطبغ وجه فيرا عندئذ وقالت وهي تغالب انفعالها :

- لن يكون الجو جميلا هنا اثناء العاصفة .

وافقتها اميلي برنت على رأيها وقالت : يجب ان يبقى البيت مغلقا اثناء الشتاء ، وعلى كل حال فان الخدم لن يقبلوا البقاء فيه .

تمتمت فيرا تقول : لا ريب ان من الصعب العثور على خدم يرضون البقاء هنا في اي فصل من فصول السنة .

قالت اميلي برنت : يجب ان تعتبر مسز اوليفر نفسها سعيدة بحصولها على هذين الخادمين ، فان المرأة طاهية ممتازة حقا .

وفكرت فيرا في نفسها : من العجيب ان الاشخاص المسنين يخلطون بين الاسماء في اغلب الاحيان .

ثم قالت في صوت واضح : ان مسز اوين محظوظة حقا .

وكانت اميلي برنت قد جاءت في حقيبتها اليدوية بقطعة من القماش لتطريزها فتوقفت الابرة في يدها وتحولت الى زميلتها وقالت :

- اوين ؟.. هل قلت مسز اوين .

- نعم .

- انني لم أسمع هذا الاسم قبل اليوم .

اتسعت عينا فيرا وقالت : ولكن ...

ولم تتم عبارتها ، فقد فتح الباب ، وأقبل الرجال الى الصالون . وكان

روجرز في اعقابهم ، وفي يده صينية عليها اقداح القهوة .
وتقدم القاضي وجلس بجوار اميلي برنت ، وجلس ارمسترونج بجوار فيرا . اما انتوني مارستون فقد سار الى النافذة المفتوحة . وراح بلـور يفحص تمثالا صغيرا وهو يتساءل ان كان يمثل امرأة .
واولى الجنرال ماك ارثر ظهره للمدفأة وراح يداعب شاربه الابيض . كان العشاء لذيذا ، وكان يهنىء نفسه لانه قبل الدعوة .
وراح لومبارد يقلب صفحات مجلة بانش ، وكانت موضوعة مع بعض المجلات الاخرى ، فوق طاولة صغيرة بجوار الجدار .
وقدم الخادم اقداح القهوة الى الجميع .
صفوة القول كان الجميع ، بعد ذلك العشاء الشهي اللذيذ سعداء ، مغتبطي من انفسهم ومن الحياة . وكانت عقارب الساعة تشير الـى التاسعة ، وساد في الصالون صمت .. صمت كله سعادة وسرور .
وفي وسط هذا الصمت ارتفع صوت ، لم يكن اي واحد منهـم يتوقعه .. صوت غريب قاطع . قال :
ـ سيداتي ، سادتي .. سكوت من فضلكم .
اجفل الجميع . وردد كل منهم البصر حوله ، يفحص جيرانه ، ويحدق في الجدران . من هذا الذي يتكلم ؟
واستطرد الصوت يقول في صوت واضح مسموع :
«اني اتهمكم بالجرائم التالية :
«ادوارد جورج مارستون ، انك تسببت في يوم ١٤ مارس سنـة ١٩٢٥ في موت لويزا ماري جليز .
«اميلي كاروسين برنت ، انك مسئولة عن موت بياتريس تايلور التـي ماتت في ٥ نوفمبر سنة ١٩٣١ .
«وليام هنري بلور ، انك تسببت في موت جيمس ستيفن لاندور في العاشر من اكتوبر سنة ١٩٢٨ .
« فيرا اليزابث كلايتون ، انك قتلت سيريل اوجيلفي هاملتون في يوم ١١ اغسطس سنة ١٩٣٢ .
«فيليب لومبارد ، انك تسببت في موت واحد وعشرين رجلا من احدى قبائل افريقيا الشرقية في شهر فبراير سنة ١٩٣٢ .
«جون جوردون ماك ارثر ، انك ارسلت عشيق زوجتك ارثر ريتشموند الى الموت بكل هدوء في ٤ يناير سنة ١٩١٧ .
«انتوني جيمس مارستون ، انك قتلت في ٤ نوفمبر الماضي جـون

ولوسي كومبس .

«توماس روجر وايتل روجرز ، انكما تركتما جنيفر برادي تموت في ٦ مايو سنة ١٩٢٩ .

«لاورنس وورجريف ، انك حكمت بالموت على ادوارد ستيون في العاشر من يونية سنة ١٩٣٠ .

«ايها المتهمون ، ألديكم ما تدافعون به عن انفسكم ؟»

وسكت الصوت .

وبعد لحظة من الصمت المطبق ارتفع صوت تحطيم اطباق ، فقد افلتت الصينية بما عليها من ادوات القهوة على الارض .

وفي نفس اللحظة سمعوا صيحة في البهو وصوت سقوط جسم .

وكان لومبارد اول من نهض ، فأسرع الى الباب وفتحه . وكانت مسز روجرز ممددة فوق الارض ، وقد تكومت حول نفسها .

ونادى لومبارد مارستون لكي يخف لمساعدته .

فأسرع اليه ، وحمل الرجلان المراة ونقلاها الى الصالون .

وتدخل الدكتور ارمسترونج عندئذ ، وقال بعد ان فحص المراة :

– ليس بها اي شيء ، مجرد اعياء بسيط . ستعود الى رشدها .

وقال لومبارد عندئذ يخاطب روجرز : اذهب وائت ببعض البراندي .

وخرج الخادم على الفور وقد اصفر لونه وارتعشت يداه ، وصاحت فيرا :

– ولكن من الذي تكلم منذ لحظة ؟.. ومن هو صاحب ذلك الصوت ؟.. انني اكاد اقسم .. اكاد اقسم .

وتمتم الجنرال ماك ارثر : ما الذي يدور هنا ؟.. ما هذه المزحة السخيفة ؟ وارتعشت يداه هو الاخر وتهدلت كتفاه ، وبدا كأنه شاخ عشر سنوات فجأة .

وراح بلور يجفف وجهه بمنديله .

اما القاضي وورجريف فقد ظل محتفظا بهدوئه هو ومس اميلي برنت . وكانت هذه الاخيرة جالسة معتدلة القامة وقد اضطرمت وجنتاها ، واحتفظ القاضي بهيئته العادية وراح يحك اذنه في رفق ولم يتحرك فيه غير عينيه ، فقد راح يدور ببصره في ارجاء الغرفة فاحصا منقبا .

واذ رأى لومبارد الدكتور ارمسترونج مهتما بالمراة تحول وقال ردا على سؤال مس كلايتون والجنرال ماك ارثر :

– كان الصوت يبدو صادرا من الغرفة التي نحن فيها .

صاحت فيرا : ولكن من الذي تكلم ؟.. من ؟.. لم يكن الذي تكلم واحدا منا على كل حال .

ودار لومبارد ببصره في ارجاء الغرفة كما فعل القاضي. وتوقفت عيناه عند النافذة المفتوحة ، وهز رأسه ، وفجأة ومضت عيناه ، وسار في خطوات سريعة الى باب بجوار المدفأة ، يؤدي الى الغرفة المجاورة ، وأمسك بالاكرة فجأة وفتح الباب . وما ان اجتاز العتبة حتى اطلق صيحة مرحة وقال :

ـ آه . انني وجدت .

وانضم اليه الاخرون على الفور . وبقيت مس برنت مكانها .

كانت هناك منضدة بجوار الحاجز الخشبي الذي يفصل الغرفة عن الصالون ، وعلى هذه المنضدة جراموفون من طراز قديم مجهز بسماعة قوية . وكان بالحاجز الخشبي نفسه بضعة ثقوب لكي يصل الصوت الى الصالون .

وثبت لومبارد الابرة فوق الاسطوانة ، وعلى الفور سمعا الصوت يقول : «انني اتهمكم بالجرائم التالية ..»

صاحت فيرا : أوقفه .. أوقفه بالله !.. هذا فظيع !

واطاعها لومبارد في حين أطلق الدكتور ارمسترونج تنهيدة تدل على الارتياح وقال : هذه مزحة سخيفة .

سأله القاضي وورجريف بهدوء : اذن فأنت تظن انها مزحة ؟..

نظر الطبيب اليه مليا ثم قال : وماذا تريد ان تكون غير ذلك ؟

داعب القاضي شفته العليا باصبعه في هدوء وقال : لست مستطيعا ابداء اي راي في الوقت الحالي .

وتدخل انتوني مارستون فقال : انكم نسيتم نقطة هامة . من الذي ادار الجراموفون بحق الشيطان ؟

تمتم وورجريف : هذا صحيح . علينا ان نتحرى هذه النقطة .

وعاد الى الصالون وتبعه الجميع .

وكان روجرز قد دخل لتوه وفي يده كأس من البراندي .

وكانت مس برنت منحنية فوق مسز روجرز وكانت تئن وتتأوه ، وتسلل روجرز بين المرائين بكل لباقة وهو يقول : سيدتي ، اسمحي لي ان اقول لها كلمة .. اتيل .. لا تنزعجي .. ان الامر مجرد مزحة سخيفة .. هل تسمعينني ؟.. لا تراعي .

كانت مسز روجرز تتنفس في صعوبة ، وراحت تدور بعينيها

المذعورتين في الوجوه المحدقة بها . وعاد زوجها يقول في اصرار :
ـ لا تنزعجي يا اتيل .. اطمئني .
وتحدث الدكتور ارمسترونج اليها فقال مشجعا : سوف تشعرين بتحسن بعد لحظة يا مسز روجرز .. ان الامر مجرد دعابة .
ـ هل اغمي علي يا سيدي ؟
ـ نعم يا مسز روجرز .
ـ ذلك الصوت .. ذلك الصوت الفظيع .. كما لو كان قاضيا .
واصفر لونها من جديد وشردت عيناها واسرع الدكتور يقول :
ـ اين البراندي ؟
وكان روجرز قد وضع الكأس على منضدة صغيرة فناوله للطبيب الذي انحنى فوق المراة الممددة .
ـ خذي يا سيدتي .. اشربي هذا .
شربت جرعة وسعلت . واصابها البراندي بخير كبير . وعاد اللون الى وجهها ، وقالت :
ـ انني احسن الان .. لقد اصابتني هذه المسألة بصدمة عنيفة .
قاطعها زوجها قائلا : طبعا .. وانا ايضا .. وقد وقعت الصينية مني . هذه اكاذيب شائنة ، واود لو ان أعرف ..
واخذه السعال بدوره ، وكان سعالا حادا كاد يقطع انفاسه . ونظر الى القاضي وورجريف الذي راح يسعل ولكن بصورة أخف .
وسأله القاضي : من الذي وضع هذه الاسطوانة على الجراموفون ؟ أهو انت يا روجرز ؟
قال روجرز محتجا : لم اكن اعرف امرها يا سيدي . أقسم لك انني لم اكن اعرف ، ولو انني عرفت لما ادرتها ابدا .
قال القاضي بصوت قاطع : انني اريد ان اصدقك طبعا ، ومع ذلك فانني احب ان تقدم لي بعض الايضاحات .
جفف رئيس الخدم جبينه بمنديله وقال بكل صراحة : انني انما اطعت الاوامر يا سيدي .
ـ اية اوامر ؟
ـ اوامر مستر اوين .
قال القاضي في اصرار : دعنا نوضح هذه النقطة قليلا . ما هي الاوامر التي اصدرها مستر اوين اليك ؟
ـ قال لي ان اضع اسطوانة على الجراموفون ، وقد وجدت هذه

الاسطوانة في الدرج ، وادارت زوجتي الجراموفـون بينما كنت اقـدم القهوة .

تمتم القاضي يقول : هذه القصة تبدو لي عجيبة .

ـ ولكنها الحقيقة مع ذلك يا سيدي ، واقسم بذلك امام الله . لـم اشك في امرها لحظة واحدة . كانت على الاسطوانة كتابة ، وقد ظننت انها مقطوعة موسيقية كغيرها من الاسطوانات .

نظر وورجريف الى لومبارد مستفهما وقال : هل تحمل هذه الاسطوانة عنوانا حقا ؟

هز لومبارد راسه وقال : هذا صحيح يا سيدي . ان عنوان هـذه الاسطوانة هو «اغنية البجعة» .

***

انفجر الجنرال ماك ارثر يقول محنقا : كل هذا غريب .. وفظيع .. هل يمكن القاء مثل هذه التهم الشنيعة .. يجب ان نتصل فورا بمستـر اوين هذا مهما يكن امره وان ..

قاطعته مس برنت تقول ساخطة : ولكن من هو مستر اوين ؟.. هذا هو ما نريد ان نعرفه بالذات .

تدخل القاضي وتكلم بتلك السلطة التي اكتسبها طوال حياته التـي قضاها في المحكمة فقال :

ـ يجب ان نوضح هذه النقطة بالذات قبل اي شيء اخر . يحسن بك ان تمضي بزوجتك الى فراشها يا روجرز ثم تعود بعد ذلك .

ـ حسنا يا سيدي .

وقال الدكتور ارمسترونج : سوف اساعدك يا روجرز .

واعتمدت المراة على الرجلين ، وغادرت الغرفة وهي تترنح .

وعندما خرجوا قال انتوني مارستون :

ـ لا ادري هل توافقوني على رأيي .. ولكني سأشرب شيئا .

قال لومبارد : وأنا ايضا .

وقال انتوني وهو يبتعد : سأحاول ان ابحث عن بعض الزجاجات .

وعاد بعد لحظة وهو يقول : ها هي ذي . انني وجدتها على صينية بجوار الباب ، كانت في انتظارنا .

والقى حمله في هدوء وملأ الكؤوس للجميع ، وطلب الجنرال ماك آرثر

والقاضي وورجريف قدرا اكبر من الشراب ، فقد احس كل منهما بانــه بحاجة الى شراب منعش ، اما اميلي برنت فقد كانت الوحيدة التي طلبت كوبا من الماء .

وعاد الدكتور ارمسترونج الى الصالون بعد قليل ، وقال :

ـ انني اعطيتها مهدئا . آه . هل تشربون ؟ انا ايضا اريد كأسا .

وملأ الرجال كئوسهم مرة اخرى . وجاء روجرز بعد لحظات . وتكفل القاضي وورجريف باستجوابه ، ولم يلبث ان تحول الصالون الى قاعـــة محكمة .

قال القاضي : اريد ان نعرف المعنى من كل هذا الان يا روجرز .. من هو مستر اوين ؟

اتسعت عينا روجرز وقال : ولكنه صاحب الجزيرة يا سيدي .

ـ نعم ، نعم . ولكن ماذا تعرف عن ذلك الرجل ؟

هز روجرز راسه وقال : لا استطيع ان اخبركم باي شيء يا سيدي ، لانني لم اره ابدا .

بدت الدهشة على الجميع ، وقال الجنرال ماك ارثر بدوره :

ـ لم نره ابدا ؟.. ما هذا الذي تقول .

ـ لم يمر علينا هنا ، انا وزوجتي غير اسبوع واحد يا سيدي . وقد التحقنا بالعمل عن طريق مكتب للعمل .. مكتب ريجينا بيليموث ، وقــد اتصل بنا كتابة .

هز بلور راسه وقال : انه مكتب معروف .

سأله وورجريف : امعك هذه الرسالة ؟

ـ رسالة الالتحاق بالعمل ؟. كلا يا سيدي . انني لم احتفظ بها .

ـ استمر في قصتك . التحقت بالعمل بواسطة رسالة اذن ؟

ـ نعم يا سيدي . وقد حدد لنا المكتب اليوم الذي يجب ان نأتي فيه ، وقد وجدنا هنا كل شيء على ما يرام ، كمية كبيرة من التموين . وقد راق لنا كل شيء ، ولم نجد شيئا نفعله فيما عدا ازالة التراب .

ـ وبعد ذلك ؟

ـ لا شيء يا سيدي . جاءتنا تعليمات اخرى بواسطة خطاب .. ان نعد الغرف لاستقبال بعض المدعوين ، ثم جاءنا الساعي بخطاب اخر مــن مستر اوين يقول لنا فيه ان عملا قد احتجزه هو وزوجته ، ويوصيني ان نبذل جهدنا اثناء غيابهما ، واعطانا في نفس الوقت التعليمات اللازمــة بخصوص العشاء وطلب منا ان نضع هذه الاسطوانة على الجراموفون اثناء

تناول القهوة .

ـ لا بد ان يكون هذا الخطاب معك بكل تأكيد ؟

ـ نعم يا سيدي . انه معي .

اخرج روجرز الخطاب من جيبه فأخذه القاضي منه ولم يلبث ان قال:

ـ آه . انه يحمل عنوان فندق ريتز ، وهو مكتوب على الالة الكاتبة .

وعلى الفور كان بلور بجواره وقال له : هل تسمح بأن القي عليه نظرة ؟

واخذه من يد القاضي ، وجرى عليه بعينيه ثم قال :

ـ انه مكتوب على آلة كاتبة ماركة كورونيش .. جديدة تماما ، وليس بها اي عيب ، على ورق تجاري عادي .. اننا لم نتقدم خطوة واحدة ، وقد نجد عليه آثار بصمات ، وان كنت اشك في ذلك .

كان وورجريف ينظر اليه في اهتمام مفاجىء ، وكان انتوني واقفا بجوار بلور ، ينظر من فوق كتفه ، فقال :

ـ ان مضيفنا له اسماء غريبة .. أوليك نورمان اوين ..

أجفل القاضي وقال : مستر مارستون .. انني أشكرك كثيرا ، فقد لفت نظري الى نقطة لها معناها .

والقى نظرة الى الجماعة التي التفت حوله ، واقلع عنقه كالسلحفاة عندما تغضب ، وقال :

ـ جاءت اللحظة لكي نجمع كل ما لدينا من معلومات ، ومن الخير ان يذكر كل منا ما يعرفه عن صاحب هذا البيت .

واستطرد يقول بعد لحظة صمت : اننا جميعا مدعووه ومن رايي ان من المفيد ان يشرح كل منا الظروف التي جاءت به هنا .

وبعد لحظة صمت قالت اميلي برنت في لهجة حازمة : ان في هذه المسألة شيئا غامضا جاءتني رسالة تعذر علي ان اقرا توقيعها ،وبدا لي انها اتتني بها امرأة التقيت بها منذ سنتين او ثلاث على شاطىء البحر .. وخيل لي ان اسمها اوجدن او اوليفر . والواقع انني اعرف سيدة باسم اوليفر ، كما اعرف سيدة اخرى باسم مسز اوجدن ، ولكنني استطيع ان اؤكد انني لم التق ابدا بامرأة اسمها مسز اوين .

سألها القاضي عندئذ : هل احتفظت بهذا الخطاب ؟

ـ نعم . سأصعد لكي آتي به .

وخرجت ، وعادت بعد دقيقة ومعها الخطاب . وقال القاضي بعد ان قرأه :

ـ انني بدأت افهم .. وانت يا مس كلايتون .
وذكرت فيرا كيف التحقت بصفتها سكرتيرة لمسز اوين ، فقال القاضي :
ـ وانت يا مستر مارستون ؟
اجاب انتوني : جاءتني برقية من صديق لي يدعى بادجر بركلي ، وقد دهشت عندما استلمتها لانني كنت اعتقد انه في النرويج ، وطلب مني في هذه البرقية ان أسرع بالمجيء هنا .
هز القاضي المسن رأسه وقال : وما انباؤك انت يا دكتور ارمسترونج؟
ـ انني استدعيت هنا بداعي العمل .
ـ حسنا . الم تكن على اية علاقة بأسرة اوين ؟
ـ كلا . ذكر لي مستر اوين في خطابه اسم احد زملائي .
اومأ القاضي وقال : وبهذا بدا لك الامر معقولا اكثر .. ولم تجد ما يكفي من الوقت طبعا لكي تتأكد من الامر ومن هذا الزميل .
ـ كلا .. كلا في الواقع .
وكان لومبارد ينظر الى بلور فاحصا منذ وقت فصاح :
ـ اسمعوا .. لقد اثارتني فكرة .
رفع القاضي يده وقال : دقيقة واحدة .
ـ ولكن ؟..
ـ لنتصرف بترتيب ونظام يا مستر لومبارد . اننا نبحث الان الاسباب التي استدعت وجودنا هنا الليلة . وانت يا جنرال ماك ارثر ؟
تمتم الجنرال وهو يشد على طرفي شاربه : جاءني خطاب .. من ذلك المدعو اوين .. حدثني فيه عن اصدقاء قدامى قال انني سألتقي بهم ، ويعتذر لهذه الدعوة الغريبة شيئا ما .. ولكنني احتفظ بهذا الخطاب .
قال وورجريف : وانت يا مستر لومبارد ؟
ولم يكن ذهن لومبارد قد بقي جامدا ، فهل يتكلم بكل صراحة . واتخذ قراره فجأة وقال :
ـ نفس القصة كالآخرين . كانت الدعوة تشير الى بعض الاصدقاء المشتركين . وقد قبلتها على الفور . ولكنني مزقت الخطاب للاسف .
حول القاضي اهتمامه بعد ذلك الى مستر بلور . وراح يداعب شفته العليا بسبابته وقال في لهجة مهذبة :
ـ لقد مرت بنا محنة قاسية .. جاءنا صوت يبدو انه من وراء القبور ، ونادى كل منا باسمه تقريبا ، واتهمه بتهمة سوف نتكلم عنها فيما بعد .

ولكنني اهتم في هذه اللحظة بنقطة اقل اهمية ، فان بين الاسماء التي سمعناها جاء اسم ويليام هنري بلور ، ولكن ليس بيننا احد بهذا الاسم بقدر ما تعرف . غير اننا لم نسمع اسم دافيس ، فما هو ردك على هذا يا مستر دافيس .

ـ ولماذا اخفي الحقيقة عنكم اكثر من ذلك . ان اسمي ليس دافيس .

ـ انت ويليام هنري بلور اذن ؟

ـ نعم .

تدخل لومبارد وقال : ارجو ان تسمحوا لي بكلمة ، انك لم تأت هنا باسم مستعار فحسب يا مستر بلور ، ولكنني ضبطتك الليلة بالذات وانت متلبس بالكذب ، انك تزعم انك قادم من الناتال ، ولكنني أعرف افريقيا الجنوبية جيدا ، وانا مستعد بأن اقسم بأنك لم تضع قدمك فيها قط .

تحولت كل الانظار الى بلور .. انظار تنطق بالغضب والشك .

وتقدم انتوني مارستون منه وقد تقبضت يداه وقال :

ـ هل لك ان تفسر لنا موقفك ايها الوغد ؟

طرح بلور رأسه الى الخلف ، وشدد الضغط على فكيه ثم قال :

ـ انكم مخطئون في ظنونكم ايها السادة ، ان معي اوراقي الشخصية وأستطيع ان اطلعكم عليها . انني كنت أنتمي الى قوة البوليس فيما سبق، وادير الان مكتبا للابحاث والاستقصاءات في بليموث . وقد استدعيت هنا بصفة خاصة .

سأله وورجريف : ومن الذي استدعاك ؟

ـ مستر اوين نفسه ، وقد ارفق بخطابه مبلغا كبيرا وذكر لي التعليمات التي يجب ان أتبعها . كان عليّ أن أختلط بالمدعوين ، وقد ارسل لي قائمة بأسمائهم .. وطلب مني ان اراقب حركاتهم وتصرفاتهم .

ـ وما هو السبب الذي ذكره لك ؟

اجاب بلور في مرارة : مجوهرات مسز اوين . ولكنني لا اصدق ذلك الان ، بل انني اتساءل اذا كان هناك وجود لمسز اوين اصلا .

ومن جديد رفع القاضي سبابته الى شفته وقال : ان استنتاجاتك تبدو لي معقولة . أوليك نورمان اوين !.. وفي الخطاب المرسل لمس برنت يتعذر قراءة اللقب ، ولكن الحرفين الاولين من الاسمين واضحان تماما . اونا .. نانس . والملاحظ ان الحروف الاولى في كلتا الحالتين واحدة .. اوليك نورمان اوين .. اونا نانس اوين ، اي ان في كل مرة نجد ا.ن. اوين ، اي اننا نستطيع ان ننطق الاسم بشيء من الخيال بحيث يكون

انوين ، وهي كلمة معناها باللغة الانجليزية «المجهول» .

صاحت فيرا : ولكن هذا غريب .. هذا جنون !

اومأ القاضي براسه موافقا وقال : انك على حق يا انسة . انا واثق الان ان الذي دعانا الى هنا رجل معتوه .. ولا شك في انه مجنون .. بل انه مهووس بالجريمة .

- ٤ -

سادت لحظة من الصمت يشوبها الدهشة والفزع ثم عاد القاضي يقول :

ـ ننتقل بعد ذلك الى المرحلة الثانية من التحقيق ، وسأوضح الان معلوماتي الخاصة اي المعلومات التي نملكها .

واخرج خطابا من جيبه القاه فوق المائدة قائلا : من المفروض ان هذه الرسالة جاءتني من صديقة قديمة تدعى كونستانس كولمنجتون ، وهي صديقة لم ارها منذ سنوات طويلة لانها سافرت الى الشرق . وقد استخدم كاتب هذه الرسالة اسلوبها الغامض المشوش لكي يدعوني للانضمام اليها هنا . وهي تحدثني عن مضيفيها بعبارات مبهمة تماما . وارجو الملاحظة اننا نجد في هذه الرسالة نفس الطريقة التي نجدها في الخطابات الاخرى والتي نستخلص منها ان كاتبها الذي اجتذبنا هنا في هذه الجزيرة سواء كان رجلا او امراة يعرفنا تماما . او لعله جمع معلومات شاملة عن كل منا ، فهو على علم بعلاقتي الودية بالليدي كونستانس كولمنجنون ، ويعرف أسلوبها في الكتابة ، ويعرف زملاء الدكتور ارمسترونج وعناوينهم الحالية ، ويعرف الاسم المستعار لصديق مستر مارستون والطريقة التي يرسل بها برقياته عادة . ثم انه يعرف المكان الذي قضت فيه مس برنت اجازتها منذ سنتين ، وعادات الاشخاص الذين عاشرتهم ، كما ان لديه معلومات عن الاصدقاء القدامى للجنرال ماك ارثر .

وامسك عن الكلام لحظة ثم قال : وبهذا ترون ان مضيفنا يعرف الكثير عنا ، وهذا ما سمح له بأن يوجه لنا تلك الاتهامات بالذات .

وكان ان اثارت هذه الملاحظة سيلا من الاحتجاجات ، فقد صاح الجنرال ماك ارثر يقول :

ـ ان كل هذا ما هو الا عبارة عن اكاذيب .. ووشايات .

صاحت فيرا كلايتون تقول بدورها : هذه كذبة .. كذبة .. انني لم ارتكب ابدا اية جريمة ..

وقال انتوني مارستون متذمرا : انني اتساءل ما الذي يهدف اليه هذا المجنون .

ورفع القاضي يده فعاد الهدوء الى الغرفة ، وقال وهو ينتقي كلماته:

- انني اريد ان ادلي ببيان . ان صديقنا المجهول يتهمني بأنني ارسلت المدعو سيتون الى الموت . وانني اتذكر هذا السيتون تماما ، فقد مثل امامي متهما بقتل امرأة عجوز في يونية سنة ١٩٣٠ . وقد عرف محاميه كيف يدافع عنه ، وكان ان احدث اطيب الاثر في نفوس المحلفين . ولكن اتضح من اقوال الشهود انه لم يكن هناك اي شك في انه هو الذي ارتكب الجريمة . وقد ركزت في قرار الاتهام الذي قدمته الى المحلفين على هذه النقطة ، فأصدر المحلفون قرارهم بأنه مذنب . واذ حكمت على هذا الرجل بالاعدام فما كان ذلك الا تأييدا لهذا القرار . وقد استأنف المتهم الحكم ولكن محكمة الاستئناف أيدته ، واعدم الرجل . وانني أصرح امام الله انني في ضميري وفي اعماق نفسي مستريح ، وليس هناك ما الام عليه . واذا كنت قد حكمت على هذا القاتل بالاعدام فقد قمت بواجبي ولا اكثر .

جمع ارمسترونج ذكرياته .. قضية سيتون .. لقد اثار صدور الحكم عليه بالاعدام الدهشة في العالم اجمع . وقد تناول ارمسترونج العشاء في اليوم السابق لصدور الحكم مع الاستاذ ماتيوز . وكان المحامي واثقا كل الثقة في ان الحكم سيصدر لصالح المتهم ، ثم جرت الشائعات مجراها بعد ذلك ، وقيل ان القاضي وورجريف بذل قصارى جهده لادانة سيتون، وانه استطاع ان يؤلب عليه المحلفين بحيث اصدروا قرارهم بادانته . ولكن الاجراءات كانت قانونية تماما ، فقد كان القاضي الكهل يعرف القانون معرفة وافية وخيل للجميع انه اشبع انتقاما خاصا من المتهم .

تسارعت كل هذه الذكريات في ذهن الطبيب ، والقى السؤال التالي دون اي تفكير :

- هل كنت تعرف سيتون معرفة شخصية ؟.. اعني قبل القضية ؟

استقرت عينا القاضي على ارمسترونج بضع لحظات ثم قال في صوت جلي واضح :

- لم اعرف سيتون مطلقا قبل القضية .

ولكن الطبيب لم يسعه الا ان يفكر ويقول : هذا الكهل الوغد كاذب ، وانني واثق من ذلك .

قالت فيرا كلايتون في صوت متهدج : اريد 'ن اقول لكم شيئا ... بخصوص الغلام سيريل هاملتون الذي كنت اشرف على تربيته . كنا على شاطىء البحر ، وكان ممنوعا من السباحة الى مسافة كبيرة . وفي ذات يوم انتهز فرصة عدم انتباهي اليه وتجاوز الحدود المسموح له بها . وقد وثبت الى الماء على الفور لكي الحق به ، ولكنني وصلت بعد فوات الاوان. وكان ذلك فظيعا ، ولكنني لم اكن مخطئة . وفي التحقيق تحقق القاضي من براءتي ، وترفقت بي ام الطفل كثيرا ولم توجه الي اي لوم ، فلمـــاذا يعيد ذلك الرجل الى ذهني هذا الحادث الفظيع .. هذا ظلم .. ظلم ..

وانهارت الفتاة وقد اصابها الاعياء وطفقت تبكي .

وربت الجنرال ماك ارثر بيده على كتفها في شيء من العزاء وقال : لا تبكي يا ابنتي ولا تراعي .. اننا نعرف جميعا ان كل هذا كذب انه رجل مجنون .. مختل العقل . مكانه مستشفى المجاذيب .

واعتدل الجنرال وربع كتفيه وصاح يقول : من الخير الا نعلق اية اهمية على هذه الاكاذيب . ومع ذلك فانني اقول لكم الان انه لا صحة اطلاقـــا لهذه القصة حول .. حول الشاب ارثر ريتشموند . لقد كان ضابطا في فرقتي ، وقد ارسلته للاستطلاع ، فقتله العدو .. وهذا امر عادي تماما في اوقات الحرب .. اما الذي اثار حزني فهو هذا الايعاز المغرض حـول سلوك زوجتي .. اشد الزوجات اخلاصا ووفاء .

وجلس الجنرال ماك ارثر ، وراح يشد شاربه بيد مرتعشة ، فقـد كلفه هذا البيان الشاق جهدا كبيرا .

وقال لومبارد ضاحك العينين : بخصوص هؤلاء الاهالي ..

حثه مارستون قائلا : حسنا .

انفجر فيليب لومبارد ضاحكا وقال : هذه القصة صحيحـة تماما . انني تركتهم لمصيرهم .. كانت مسألة حياة او موت ، فقد ضللنا الطريق في الغابة ، وقد سرقت انا وزملائي ما بقي من الزاد وهربنا .

ابدى الجنرال ماك ارثر سخطه قائلا : كيـف هذا ؟.. هجـرت رجالك ؟.. وتركتهم يموتون جوعا ؟

اجاب لومبارد : طبعا . واظن ان ذلك لم يكن عملا جديرا مني ، ولكن حب البقاء عند الرجل اقوى من اي شيء . ثم ان الزنوج لا يخشـون الموت .. وهنا تختلف عقليتهم عنا نحن الاوربيون .

رفعت فيرا راسها وحدثت لومبارد وسألته : وتركتهم يموتون ؟

اجاب لومبارد : نعم . تركتهم يموتون .

والتقت نظرته المرحة بعيني الفتاة المذعورتين .

***

قال انتوني مارستون وهو بادي الحيرة :
ـ انني تذكرت .. جون ولوسي كومبس .. لا ريب انهما الطفلان اللذان صدمتهما بجوار كامبريدج .. يا للحظ السيء !
سأله القاضي وورجريف بحدة : بالنسبة لهما او بالنسبة لك ؟
ـ اذا اردت الحق فانني كنت اتكلم عن نفسي . ومهما يكن فانك على حق ، فقد كان حظهما سيئا . ولكن كان ذلك مجرد حادث ، فقد خرج الطفلان من بيتهما وهما يركضان . وسحب المسئولون الرخصة مني وحرموني من القيادة لمدة سنة . وقد ضايقني ذلك كل الضيق .
زجره الدكتور ارمسترونج بعنف قائلا : ان السرعة المفرطة غير مقبولة .. غير مقبولة اطلاقا . وان الحمقى الذين من امثالك يمثلون خطرا على الجمهور .
هز انتوني كتفيه وقال :
ـ ولكننا في عصر السرعة .. والطرقات الانجليزية مملوءة بالمطبات ، ولا يمكن السير فيها الا كالسلحفاة .
وبحث عن كأسه ، واخذه من فوق المائدة ، ومضى نحو البار وصب لنفسه بعض الويسكي والصودا ثم قال من فوق كتفه :
ـ عموما لم تكن الغلطة غلطتي . ولم يكن الامر الا مجرد حادث .

***

بلل الخادم روجرز شكتيه وراح يلوي يديه ، ثم تكلم في صوت حافل بالاعتبار والاحترام فقال :
ـ هل تسمحون لي ان اقول لكم شيئا ايها السادة ؟
اجابه لومبارد : اننا نصغي اليك يا روجرز .
تنحنح الخادم ومر بلسانه على شفتيه الجافتين مرة اخرى وقال :
ـ لقد ذكر الصوت منذ قليل اسمي واسم زوجتي وكذلك اسم مس برادي .. وليس فيما قال ذرة من الحقيقة يا سيدي . لقد بقيت انا وزوجتي في خدمة مس برادي حتى موتها . وكانت دائمة الشكوى من

صحتها . وفي الليلة التي زادت فيها حالتها خطورة كانت هناك عاصفة شديدة . وكان التليفون معطلا ولم نستطع الاتصال بالطبيب ، فذهبت عندئذ لكي آتي به سيرا على الاقدام . ولكنه جاء بعد فوات الاوان . اننا بذلنا كل ما في وسعنا لانقاذها وكنا مخلصين لها جدا . وسيقول لك الجميع ذلك يا سيدي . لم يحدث ان اشتكت منا ابدا .. ولم توجه لنا اي لوم .

تأمل لومبارد وجه الرجل المتوتر وشفتيه الجافتين ، والذعر البادي في عينيه . وتذكر عندئذ الصينية التي وقعت من بين يديه واحدثت ذلك الدوي الشديد . ولكنه تجنب الاشارة اليها مع ذلك .

وقال بلور بصوته المهني الحاد : ألم توصي لك بشيء بعد موتها ؟

اعتدل روجرز في وقفته وقال ساخطا : لقد أوصت لنا بمبلغ من المال نظير اخلاصنا وتفانينا في خدمتها .. ولم لا ؟

تدخل لومبارد عندئذ وقال : هلا حدثتنا عن نفسك يا مستر بلور ؟

ـ عن نفسي ؟

ـ نعم . فقد جاء اسمك بين القائمة .

اضطرم وجه بلور وقال : قضية لاندور .. كانت تدور حول السطو على بنك لندن التجاري .

تحرك القاضي وورجريف في مقعده وقال : انني اتذكر هذه القضية على الرغم من انها لم تعرض عليّ . لقد حكم على لاندور بناء على شهادتك يا بلور . وانت الذي توليت التحقيق بصفتك ضابط البوليس .

اجاب بلور : هو ذلك .

ـ وقد حكم على لاندور بالاشغال الشاقة المؤبدة ، ومات في سجن دارتمور ، فقد كانت صحته رقيقة .

قال بلور : كان ذلك الرجل لصا ، وهو الذي صرع الحارس الليلي . ولم يكن هناك اي شك في جرمه .

قال القاضي وورجريف في بطء : واظن انك حصلت على تهنئة لمهارتك في هذه المناسبة .

اجاب بلور : بل انني حصلت على ترقية بالذات .

ثم اردف يقول في لهجة خشنة : كل ما هناك انني اديت واجبي .

ضحك لومبارد ضحكة كبيرة وقال : اننا هنا مجموعة من الناس لا هم لها الا احترام القانون وحب الواجب باستثنائي انا . وانت يا دكتور حدثنا عن غلطتك الصغيرة .. هل يدور الامر حول عملية غير قانونية ؟

نظرت اميلي برنت الى لومبارد في اشمئزاز كبير ورجعت بمقعدها الى الخلف قليلا . وقال الدكتور ارمسترونج وهو رابط الجأش :

ـ أعترف انني لا افهم شيئا في هذه القصة . والاسم لا يعيد الى ذاكرتي اي شيء .. اكان جليس .. او جلوس ؟.. لا أتذكر حقا انني عالجت شخصا بهذا الاسم مات نتيجة علاجي بالذات . ان كل هذا بالنسبة لي سر غامض ، ولكن المسألة قديمة جدا طبعا ، ومن الجائز انها تدور حول عملية في المستشفى ، فان المرضى غالبا ما يأتون متأخرين جدا ، واذا مات احدهم تتهم الأسرة الجراح دائما .

وهز رأسه وأطلق تنهيدة كبيرة ، ولكنه كان يفكر في قرارة نفسه ويقول : كنت ثملا .. وهذا كل ما هناك . واجريت عملية جراحية لامرأة وانا سكران . وكانت أعصابي ثائرة ويداي ترتعشان ، وليس هناك اي شك في انني قتلتها . يا للمرأة المسكينة ! كانت العملية الجراحية سهلة جدا ، وكان من الممكن ان تنجح لو انني لم اكن مخمورا . ولكن لحسن الحظ ان هناك ما اتفق على تسميته بسر المهنة . كانت الممرضة تعرف الحقيقة ، ولكنها لزمت الصمت . كانت صدمة عنيفة بالنسبة لي . وقد تمالكت نفسي في الوقت المناسب . ولكن من الذي استطاع ان يعرف هذا الامر بحق الشيطان ؟

***

خيم بالصالون صمت عميق . ونظر الجميع الى اميلي برنت في حذر تقريبا . وادركت بعد لحظة ان الجميع ينتظرون منها ان تتكلم ، فرفعت حاجبيها فوق جبينها الضيق وقالت :

ـ هل تنتظرون ان اقول لكم انا الاخرى شيئا ؟.. ليس لدي ما اقول.

سألها القاضي : لا شيء ؟

ـ كلا . لا شيء .

وضغطت على شفتيها .

وداعب وورجريف وجهه باصابعه وقال في رفق : هل تنتظرين حتى تسنح الفرصة لكي تدافعي عن نفسك ؟

ـ ليس هذا موضوع نقاش ، فانني اتصرف دائما بما يمليه علي ضميري ، وليس هناك ما الام عليه .

ظهرت على جميع الوجوه خيبة امل شديدة . ولكن اميلي برنت لم

تكن لتهتم براي الغير ، وبقيت جامدة ، هادئة الاعصاب .

وسعل القاضي مرة او مرتين ثم قال : لقد تأجل التحقيق الى وقت اخر . والآن ، قل لي يا روجرز . هل هناك احد اخر في الجزيرة ، بخلافك انت وزوجتك ؟

ـ كلا يا سيدي .

ـ هل انت واثق ؟

ـ كل الثقة يا سيدي .

ـ انني لا اعرف شيئا عن نوايا مضيفنا المجهول بعد .. لماذا جمعنا في هذا البيت ؟ انني اشعر بأن هذا الشخص ، سواء كان رجلا ام امراة ، لا يتمتع بكل قواه العقلية .

واردف يقول بعد لحظة تفكير : ولكنه ، مع ذلك ، شخص لا يخلو من خطر . ونفعل خيرا اذا نحن غادرنا الجزيرة بأسرع ما يمكن . ما رأيكم في ان نرحل الليلة بالذات ؟

قال روجرز : ولكن لا توجد زوارق في الجزيرة .

ـ لا توجد زوارق !

ـ كلا يا سيدي .

ـ كيف الاتصال بالشاطىء اذن ؟

ـ ان فريد فاراكوت يأتي هنا صباح كل يوم يا سيدي ، في زورقه البخاري .. يأتي بالخبز واللبن والرسائل ، ويأخذ الطلبات للموردين .

قال القاضي وورجريف :

ـ اذا كان الامر كذلك فيجب ان نستقل جميعا زورق فاراكوت غدا .

ووافقه الجميع على رايه فيما عدا انتوني مارستون الذي قال :

ـ هذا نوع من الفرار يدل على الجبن ، ومن رايي اننا ، قبل ان نغادر الجزيرة ، يجب ان نبذل جهدنا لتفسير هذا الامر .. ان هذه المسألة اشبه برواية بوليسية مؤثرة جدا .

قال القاضي في لهجة حادة : انني لم اعد اهتم بالمؤثرات وقد بلغت هذه السن .

ضحك انتوني ساخرا وقال : ان الحياة قصيرة ، والمسائل الاجرامية تثير اهتمامي انا ، وانني أشرب نخب القتلة ..

ورفع كأسه الى شفتيه وافرغها مرة واحدة .

ولكن يبدو انه افرغها على عجل لانه اختنق ، وتوترت ملامحه واحمرت وجنتاه ، وحاول ان يأخذ نفسه ، ولكنه هوى من فوق مقعده ، وتدحرج

كاسه فوق السجادة .

- ٥ -

كانت الصدمة شديدة ، ولم يكن يتوقعها احد بحيث أصيب الجميع بالدهشة وظلوا مكانهم مذهولين ، ينظرون الى الجسد المنهار امامهم .

واخيرا هب الدكتور ارمسترونج من مقعده وجثا بجوار الشاب ، ورفع راسه ، وتمتم يقول غير مصدق :

ـ رباه !.. انه مات .

ولم يفهم الاخرون قوله في باديء الامر .

مات .. مات .. هذا الشاب الذي كان يتدفق قوة وصحة مات في طرفة عين ؟.. ولكن الانسان لا يموت هكذا فجأة ، وفي مثل هذه السن . ان مجرد احتساء شراب الويسكي لا يمكن ان يقتل رجلا له مثل هـــذه البنية .

وفحص الدكتور ارمسترونج وجه الميت وشم شفتيه الزرقاويـــن المتوترين ، ثم اخذ الكاس الذي شرب فيه مارستون .

وصاح الجنرال ماك ارثر : مات ؟ أيمكن ان يكون قد اختنق .

اجاب الطبيب : من المؤكد انه مات مختنقا .

وراح يشم الكأس من جديد . وبل اصبعه في القاع ثم رفعه الى طرف لسانه ، وتغيرت ملامحه على الفور .

وتكلم الجنرال ماك ارثر من جديد فقال : لم أر في حياتي رجلا يموت بمثل هذه السرعة ، من الاختناق .

وقالت اميلي برنت بصوتها الواضح : ان كلا منا عرضة للموت .

اعتدل الدكتور ارمسترونج وقال فجأة : كلا . ان الرجل لا يموت من مجرد الاختناق . ان موت مارستون ليس طبيعيا .

سالته فيرا في صوت خافت : هل كان هناك شيء .. في الويسكي ؟

اجاب ارمسترونج : نعم . لا استطيع ان أحدد نوع السم ، ولكن كل شيء يحمل على الظن بأنه هو السيانور ، وهو سم زعاف .

ساله القاضي : هل كان السم في كاسه ؟

ـ نعم .

مضى الطبيب الى المنضدة حيث توجد زجاجات الشراب . واخـــد

من بينها زجاجة الويسكي وشمها ، ثم ذاقها بلسانه ، وفعل نفس الشيء مع زجاجة الصودا ثم قال وهو يهز راسه :

– ليس في هاتين الزجاجتين ما يثير اي شك .

سأله لومبارد عندئذ : هل تظن انه هو الذي وضع السم في كأسه ؟

اجاب ارمسترونج دون اقتناع كبير : هذا ما يبدو .

وقال بلور : انتحار اذن ؟.. هذه قصة عجيبة .

وتمتمت فيرا تقول في بطء : ما كان ليخطر لي ابدا ان رجلا مرحا ، في عنفوان الحياة مثله يقدم على الانتحار . انه ، عندما هبط المنحدر بسيارته مساء اليوم بالذات بدا كأنه .. اوه ..

ولكن الجميع خمنوا ما يدور في ذهنها ، فان انتوني مارستون ، في زهرة شبابه وعنفوان رجولته بدا لهم كأنه مخلوق ابدي ، وهو الان جثة هامدة عند اقدامهم . وقال الدكتور مارستون :

– هل تواجهون نظرية اخرى غير نظرية الانتحار ؟

هز كل من الموجودين راسه في بطء . لم ير اي احد منهم حلا اخر ، فان الزجاجات سليمة لم يضع احد فيها شيئا ما . ورأوا جميعا مارستون وهو يصب لنفسه الشراب ، ومن هذا يتضح انه لو كان هناك سم في كأسه حقا ، فمعنى هذا انه هو الذي وضعه .

ولكن لماذا انتحر انتوني مارستون ؟

وقال بلور في تفكير : كل هذا يبدو لي غير معقول يا دكتور ، فان مستر مارستون لم يكن بالرجل الذي ينتحر هكذا .

اجاب ارمسترونج : انني اشاركك هذا الراي .

***

وبقيت الامور عند هذا الحد ، فماذا كان في مقدورهم ان يفعلوا ؟

وتعاون ارمسترونج مع لومبارد في حمل جثة مارستون الى غرفة نومه وغطياه بملاءة .

وعندما هبطا كان الجميع قد التفوا في دائرة وهم يرتجفون على الرغم من دفء الجو .

وقالت اميلي برنت اخيرا : من الاوفق ان نمضي للنوم ، فان الوقت قد تأخر .

والواقع ان الوقت كان قد تجاوز منتصف الليل . ولم تكن نصيحة

اما المدعي العام فقد افتقر الى اللباقة ، وأراد في بيانه الفخم أن يثبت الكثير في حين ان ماتيوز ، محامي الدفاع كان بارعا ، عرف كيف يستجوب الشهود بحيث جاء الدفاع في صالح سيتون .

وقد احسن سيتون نفسه التصرف واحدث هدوؤه اطيب الاثر في نفوس المحلفين ، واعتقد ماتيوز انه كسب المعركة .

كانت هذه القضية من القضايا التي استمتع بها اكبر استمتاع ، فقد تفوق ماتيوز بدفاعه حقا ، ولم يفلح ليلوين الذي تكلم بعده في ازالة الاثر الطيب الذي احدثه محامي الدفاع .

ثم لخص وورجريف بعد ذلك القضية واقوال شهود النفي وشهود الاثبات قبل ان ينسحب المحلفون للتداول .

وفي عناية كبيرة خلع القاضي طاقم اسنانه ووضعه في قدح من الماء ، وانطبقت شفتاه المتغضنتان في قوة مما اكسب فمه سمة قاسية .

وخفض جفنيه وابتسم في قرارة نفسه .

لقد افلح على الرغم من كل شيء في انهاء حياة سيتون .

وصعد الرجل الى فراشه وهو يلعن الروماتيزم الذي يعاني منه ، وادار مفتاح الكهرباء .

***

وقف روجرز في غرفة الطعام وهو فريسة للحيرة .

كان ينظر الى التماثيل الخزفية الموضوعة في وسط المائدة .

وتمتم يقول محدثا نفسه : هذا عجيب . اكاد اقسم انه كانت هناك عشرة تماثيل .

***

راح الجنرال ماك ارثر يتقلب في فراشه المرة بعد المرة .

كان النوم يجافيه دون اي شك . واستمر يرى في الظلام ملامح ارثر ريتشموند .

لقد احس نحو ارثر بتقدير صادق ، وبحب في نفس الوقت ، واغتبط وهو يرى الود الذي تبديه زوجته نحوه .

كانت هذه الاخيرة متقلبة الاطوار ، فكم من الشبان افتتنت بهم ونعتتهم

بأنهم مخبولون .. كانت هذه كلمتها الاثيرة .

ولكن ارثر ريتشموند لم يكن مخبولا ابدا بالنسبة لها ، فقد تآلفا على الفور بمجرد ان راى كلا منهما الاخر وراحا يتناقشـــان معا في المسرح والموسيقى . كانت تنكد عليه وتداعبه وتغضبه. ولم يرق لماك ارثر الاهتمام الاموي الذي تبديه زوجته لذلك الشاب .

ويا له من اهتمام اموي. اكان من الحماقة بحيث لم يفهم ان ريتشموند في الثامنة والعشرين وان ليزي في التاسعة والعشرين .

لقد احب ماك ارثر زوجته ، وفي هذه اللحظة بالذات كان يـــرى قسمات ليزي ووجهها الذي له شكـــل القلب . وعينيهـــا الرماديتين العميقتين . نعم . انه احبها ووضع فيها ثقة عمياء .

وهناك ، في الجبهة الفرنسية ، في وسط المعمعة ، كان يفكر فيهـــا ويتأمل في اغلب الاحيان صورتها ، وكان يحتفظ بها في جيبه .

وذات يوم ، اكتشف كل شيء .

حدث هذا كما يحدث في الروايات .. رسالة وضعت خطأ فـــي المظروف الخطأ . كانت ليزي قـــد كتبت رسالتين للرجلين ، ووضعت الرسالة الغرامية التي كتبتها لريتشموند في المظروف الخاص بزوجها ، وما زال ماك ارثر حتى الان ، وبعد مضي كل هذه السنوات الطويلة يتألم كلما تذكر هذه المسألة .

كانت علاقاتهما الآثمة ترجع الى وقت طويل . وكانت رسالتها تشهد بذلك ، فقد كانا يتلاقيان في اواخر الاسابيع .. وقد التقيا في اخـــر اجازة حصل عليها ريتشموند .

يا له من وغد !.. وبالابتسامة الخادعة .. وتصرفاته المهذبة نعم يـــا سيدي الجنرال ، يا له من كاذب ومرائي ، سارق للزوجات .

لقد غضب اشد الغضب ، ولكنه احتفظ بمشاعره لنفسه وبدا هادئـــا ولم يظهر شيئا مما يعتمل في اعماقه . حاول ان يحتفظ نحو ريتشموند بنفس موقفه السابق .

فهل أفلح في ذلك ؟ ربما . لم يشتبه ريتشموند في شيء على كـــل حال . ومزاجه المتغير كان يمكن تفسيره بسهولة فان أعصاب الرجال في الميدان كانت لا تتحمل اي شيء .

لا ريب ان هذا المدعو ارميتاج فهم نواياه عندما جاء اليوم المناسب . فقد ارسل ماك ارثر ريتشموند الى الموت برباطة جأش كبيرة .. ومـــا كانت لتعيده سالما الا معجزة . ولكن هذه المعجزة لم تقع . نعم ، انـــه

ارسل ريتشموند الى الموت وهو لا يندم على شيء . ولم يكن هناك اسهل من ذلك ، فان مثل هذه الاخطاء تقع كل يوم ، وحياة الرجال لا قيمة لها اثناء الحروب وسوف يكتفون بالقول فيما بعد بأن الجنرال ماك ارثر لم يكن متمالكا لاعصابه وانه ارتكب هفوة ضخمة وضحى بخير رجالـه . وسيكون هذا كل شيء .

ولكن الامر كان مختلفا كل الاختلاف عند ارميتاج ، فان هذا الشاب كانت له طريقة غريبة في النظر الى رئيسه ، ولا ريب انه كان يعرف انه ارسل ريتشموند لملاقاة الموت عمدا .

فهل تكلم ارميتاج بعد ان انتهت الحرب ؟

لم تكن ليزي على علم بأي شيء .. انها بكت عشيقها طبعا . ولكـن حزنها كان قد تبخر عندما عاد زوجها الى انجلترا . ولم يشر ابدا الـى خيانتها له . وعادت الحياة بينهما الى مجراها الاول .. ربما فيما عدا ان ليزي فقدت في عيني ماك ارثر طهارتها . وبعد ثلاث سنوات من الهدنـة ماتت على اثر نزلة شعبية حادة .

ولكن كل هذا يمت الان الى ماض بعيد . خمس عشرة سنة .

كان قد هجر الجيش واعتزل في اقليم ديفون ، واشتـرى البيت الصغير الذي كان يحلم به منذ وقت طويل .. الجيران ظرفاء ، والمنظـر جميل ، ومن وقت لآخر يخرج للصيد وللكنيسة .

اظهر له الجميع عطفا كبيرا .. على الاقل في البداية . وبعد ذلـك خامره احساس بغيض بأنهم يتكلمون خلف ظهره وانهم ينظرون اليـه شذرا كما لو انهم عرفوا شيئا كانت الانباء قد انتشرت .

ارميتاج ؟.. لعل ارميتاج هو الذي تكلم .

انه تجنب الجميع بعد ذلك وانزوى في برجه العالي ، فانه ليشق على المرء أن يرى نفسه محل اغتياب .

كانت هذه الحقائق تتلاشى وتمحى شيئا فشيئا ، واختفت ليزي في ماض بعيد ، وكذلك ريتشموند ، فما الذي يهمه الان ؟

ومع ذلك فقد قضى حياته في عزلة تقريبا . وبلغ به الامر الى انه راح يتحاشى رفقاء السلاح .

لو ان ارميتاج هو الذي تكلم فمعنى هذا انهم يعرفون كل شيء .

وها هو صوت جاء الليلة من وراء القبور وأعلن الحقيقة .

هل اتخذ موقفا مناسبا ؟.. هل ارتجفت شفته العليا ؟.. هل ابدى سخطا واشمئزازا بما فيه الكفاية ؟.. او خانته اعصابه وأدانه جرمه ؟..

اسئلة كلها شديدة الحرج .

لم يحمل اي احد من المدعوين هذا الاتهام محمل الجد طبعا ، فان الصوت نطق بتهم فظيعة بعيدة عن التصديق ؟ الم يعتب مثلا على تلك الفتاة الظريفة بأنها اغرقت طفلا ؟ هذا سخف طبعا .. لا شك انه مجنون يستمتع بالقاء التهم على الغير جزافا .

اميلي برنت !.. بنت اخ صديقه في الجيش توم برنت .. ان الصوت اتهمها هي الاخرى بارتكاب جريمة قتل . كان من الواضح لكل ذي عينين ان هذه التهمة كاذبة خصوصا وان المراة تقية ورعة وتختلف الى الكنيسة بانتظام .

يا لها من مسألة بغيضة .. جنون مطبق !

منذ قدومهم الى الجزيرة .. ولكن بهذه المناسبة ، منذ متى وهم هنا ؟.. انهم هبطوا اليها بعد ظهر اليوم نفسه ، ومع ذلك فقد بدا له ان الوقت طويل جدا .

وتساءل متى يمكنه ان يغادر جزيرة الهندي .

غدا بكل تأكيد .. عندما يأتي الزورق البخاري .

غريب !.. انه في هذه اللحظة بالذات لم يعد يريد مغادرة الجزيرة.. ولا يريد العودة الى بيته الصغير والى مشاكله ومتاعبه .. وجاءه من النافذة المفتوحة صوت الامواج وهي تتكسر على الصخور ، وقد زادت الان حدة عن ذي قبل ، ثم ان العاصفة توشك ان تهب .

وفكر الجنرال . اصوات رتيبة ومكان هادىء . ان مزية الجزيرة تكمن في استحالة المقيم بها ان يذهب الى مكان بعيد . انه جاء الى اخر الدنيا .

وفجاة ، راى انه لم يعد يريد مغادرة هذه الجزيرة .

***

استلقت فيرا كلايتون على فراشها وراحت تحدق في السقف ، وكانت قد خافت الظلام فلم تطفىء مصباحها .

وكانت تفكر في هوجو .. هوجو .. لماذا انت قريب مني الليلة هكذا ؟.. قريب جدا مني .

اين هو الان ؟.. لا ادري . لن اعرف ذلك ابدا . فجاة ، اختفى من حياتي .. فجاة .

ولكن ما الداعي لتقليب هذه الذكريات . ان هوجو يملأ كل افكارها . كانت تحلم به دائما .. ولن تنسه ابدا .

كورثواي ، والصخور السوداء والرمل الاصفر الربيع ، ومدام هاملتون الطيبة البدينة شيئا ما ، وسيريل الصغير الذي يلوي يديه دائما وهـــو يبكـي .

«أريد ان اسبح حتى الصخرة يا مس كلايتون . لماذا تمنعينني مــن الذهاب الى هناك ؟»

كل مرة ترفع عينيها كانت ترى هوجو وهو ينظر اليها .

ففي الليل ، عندما يأوي الصغير سيريل الى فراشه يرجوها هوجو ان تخرج معه قائلا :

ـ هلمي بنا نتمشى معا يا مس كلايتون .

ـ حسنا . كما تشاء .

وكانت نزهتهما العادية عند الشاطىء دائما .. ضوء القمر .. وهواء الاطلنطيك الدافىء .

وكان هوجو يطوقها من خصرها ويقول :

ـ انني احبك .. احبك يا فيرا .. لو تعلمين كم احبك .

كانت تعرف ذلك .. او على الاقل كان يخيل لها انها تعرف .

ـ انني لا اجرؤ ان اطلب يدك ، فلست أملك اية ثروة ، بل انني لا أملك الا ما يكاد يسد رمقي وحدي ، ومع ذلك ، فقد رحت اغذي الامل ثلاثة شهور في ان اكون ثريا .. فان سيريل لم يولد الا بعد وفاة ابيه بثـــلاث شهور . ولو انه كان طفلة ..

لو ان الطفل كان من الجنس الاخر لورث هوجو اللقب والثروة طبقـا للقانون الانجليزي . وقد اعترف لها بخيبته الكبيرة .

ـ الواقع انني لم اكن اتوقع هذا الامر كثيرا ، ولكنني أصبت بصدمة على كل حال ، وانت تعرفين ان كل شيء في الحياة يقوم على الحظ .. وان سيريل طفل جميل احبه كثيرا .

وكانت هذه هي الحقيقة الحقة ، فان هوجو كان يعبد سيريل ، وكان يلبي له كل رغباته . وكانت طيبته العادية لا تعرف اي حقد .

وكان سيريل الصغير ضعيف البنية .. لا يستطيع المقاومة ، ولــن يعيش طويلا ، كما تدل الظواهر . واذن ؟

ـ مس كلايتون .. لماذا تمنعينني من السباحة حتى الصخرة ؟

هذا السؤال الدائم المحنق المستمر .

ـ ولكن الصخرة بعيدة جدا يا صغيري سيريل .
ـ ولكن .. دعيني أجرب يا مس كلايتون .
وثبت فيرا من فراشها وأخذت من درج الطاولة ثلاثة اقراص من الاسبيرين ابتلعتها وهي تفكر . «ولو ان لدي منوما قويا لفرغت من هذه الحياة التعيسة .. أود لو ان اتناول جرعة قوية من الفيرونال .. او من اي شيء اخر .. ولكنني لا احب السيانور» .
وارتجفت عندما تذكرت وجه انتوني مارستون المتشنج .
وبينما هي تمر امام المدفأة نظرت الى الرقعة التي بها اغنية الاطفال الهنود وقرأت :
«عشرة اطفال مضوا لتناول العشاء .
اختنق أحدهم ولم يبق منهم الا تسعة» .
وقالت تحدث نفسها : هذا فظيع .. هذا هو ما حدث الليلة .
لماذا انتحر انتوني مارستون ؟
لم يكن في نية فيرا ان تنتحر ابدا .
كانت تطرح عن ذهنها فكرة موتها .. الموت .. انه خير للآخرين .

- ٦ -

كان الدكتور ارمسترونج يحلم .
كان الجو خانقا جدا في غرفة العمليات ، وكان وجهه يتفصد بالعرق ، ويداه نديتين لا تجيدان استخدام المشرط .
وكان المشرط حادا بصورة غريبة .
من السهولة بمكان ارتكاب جريمة قتل بمثل هذا السلاح الحاد . وفي هذه اللحظة بالذات كان يقتل مخلوقا بشريا .
وبدت له جثة ضحيته مختلفة . لم تكن تلك المراة البدينة الكسيحة ، وانما امراة اخرى نحيفة لم يكن يرى وجهها .
ولكن من هي تلك التي كان يجب ان يقتلها ؟..
انه لم يعد يذكر ، ومع ذلك فقد كان لا بد له من ان يعرف . ماذا لو ان يسأل الممرضة ؟..
ولكن هذه الاخيرة كانت تراقبه ، كلا ، لن يسألها شيئا ، فقد كان يرى الشك في عينيها .

ولكن من هذه المراة الممددة فوق مائدة العمليات ؟..

ولماذا اخفوا وجهها ؟..

لو يستطيع ان يراها فحسب !

آه . اخيرا .. لقد سحب المعاون المنديل من فوق وجهها .

اميلي برنت طبعا . ما اشد ما تبرق عيناها بالخبث . انها تحرك شفتيها فماذا تقول ؟.. ان كلا منا عرضة للموت وهو في اوج الحياة .

كان يقول للممرضة : كلا يا انسة . لا تغطي وجهها بالمنديل . يجب ان ارى وجهها وانا اعطيها المخدر . اين زجاجة الاثير ؟ انني جئت بها معي ، فماذا فعلت بها يا انسة ؟

ارجوك يا انسة .. ارفعي هذا المنديل .

آه !.. كنت أعرف تماما انه انتوني مارستون . ان وجهه أحمر ومتشنج . ولكنه ليس ميتا .. انه يضحك ساخرا . اقسم لك انه يهزل . بل انه يهز مائدة العمليات .

«ولكن حذار يا صاحبي حذار . امسكيه جيدا يا انسة .»

واستيقظ الدكتور ارمسترونج مفزوعا . كان الوقت صباحا والشمس تملأ الغرفة . وكان هناك شخص منحن فوقه ويهزه . كان روجرز الخادم، وقد انقلبت سحنته . وكان يناديه قائلا :

ـ دكتور .. دكتور .

فتح الطبيب عينيه على سعتهما وجلس فوق الفراش وهو يقول في حدة : ما الخبر ؟..

ـ زوجتي يا دكتور .. لا استطيع ايقاظها .. انني حاولت كثيرا ، ولا ريب ان هناك شيئا خطيرا .

وثب الدكتور ارمسترونج من الفراش وارتدى الروب دي شامبر وتبع روجرز ، وانحنى فوق الفراش الذي ترقد عليه مسز روجرز ، في هدوء، وأخذ يدها الباردة ، ورفع جفنها . وبعد بضع لحظات اعتدل وابتعد عن الفراش .

وتمتم روجرز يقول : هل .. هل هي ؟..

ومر بلسانه على شفتيه الجافتين .

اوما ارمسترونج براسه علامة الايجاب وقال : لقد انتهى كل شيء مع الاسف .

حدق الطبيب في الرجل الذي امامه في تفكير . ومضى كل منهما نحو الطاولة الصغيرة الموجودة بجوار الفراش ثم نحو طاولة الزينة ، وعادا

بعد ذلك بجوار المرأة الهامدة . وقال روجرز :
ـ اهو .. اهو قلبها يا دكتور ؟..
تردد الدكتور ارمسترونج بضع لحظات قبل ان يتكلم فقال :
ـ روجرز ، هل ، هل كانت تتمتع زوجتك بصحة جيدة ؟..
ـ كانت تشكو قليلا من الروماتيزم يا دكتور .
ـ هل استشارت طبيبا في الايام الاخيرة ؟..
اتسعت عينا روجرز وقال : طبيب ؟.. اننا لم نذهب إلى اي طبيب ، لا انا ولا زوجتي ، منذ سنوات .
ـ ليس هناك ما يحملك على الافتراض بأنها تشكو من قلبها اذن ؟
ـ هذا صحيح يا دكتور . انني لا اعرف شيئا .
سأله ارمسترونج : هل كانت تنعم بالنوم ؟..
تجنبت عينا الخادم نظرة الطبيب الثاقبة وراح يلوي يديه في ارتباك ثم قال : الواقع انها لم تكن تنعم بالنوم ابدا .
ـ هل كانت تتناول شرابا لكي يساعدها على النوم ؟..
بدت الدهشة على روجرز وقال : شرابا ؟.. لكي تنام ؟.. كلا ، بقدر ما اعلم .. بل انني واثق انها لم تكن تتناول شيئا .
عاد ارمسترونج الى مائدة الزينة حيث توجد قوارير كثيرة .. ماء لغسيل الشعر وكولونيا وجلسرين وسعجون اسنان ..
وفتح روجرز أدراج مائدة الزينة وأدراج الطاولة ، ولكنهما لم يكتشف اي اثر لمخدر سواء كان سائلا ام اقراصا .
وقال روجرز : انها لم تأخذ امس الا ما اعطيته انت لها يا دكتور .

***

وفي الساعة التاسعة ، عندما دق جرس الافطار ، كان جميع المدعوين على استعداد ، ولا ينتظرون الا هذا النداء .
كان الجنرال ماك ارثر والقاضي وورجريف يتمشيان في الشرفة ويتبادلان الحديث بخصوص الموقف السياسي .
وكانت فيرا كلايتون وفيليب لومبارد قد صعدا الى قمة الجزيرة ، خلف البيت ، وهناك وجدا ويليام هنري بلور واقفا ينظر الى الشاطىء .
وقال عندما رآهما : لا ارى الزورق . انني واقف منذ بعض الوقت ولكنني لم ار له اثرا .

وقالت فيرا وهي تبتسم : ان الاهالي ينامون الى الضحى في هـــذا الاقليم ، واليوم يبدأ متأخرا .

وكان فيليب لومبارد يتأمل الماء فقال فجأة : ما رأيكما في الجو ؟

رفع بلور عينيه الى السماء ثم قال : سيكون الجو جميلا اليوم على ما اعتقد .

اطلق لومبارد صفيرا من بين شفتيه ثم قال : ستهب العاصفة قبل هبوط الليل .

قال بلور : العاصفة ؟

وسمعوا صوت الجرس فقال لومبارد : ها هو جـرس الافطار . ان شهيتي مفتوحة اليوم .

وفيما هم يهبطون المنحدر قال بلور يخاطب لومبارد في شيء مـن القلق : انني ما زلت مندهشا . لماذا انتحر هذا الشاب مارستون ؟.. ان هذه المسألة اقضت مضجعي طوال الليل .

وكانت فيرا تمشي في المقدمة قليلا فأبطأ لومبارد الخطا وقال :

ـ الديك فكرة اخرى غير الانتحار ؟

ـ لا بد لي من ادلة ، ودافع اولا . اظن ان هذا الشاب المتغنـدر ثري جدا .

وخرجت اميلي برنت من النافذة الكبيرة واقبلت للقائهم وسألتهم :

ـ هل اتى الزورق ؟

اجابت فيرا : ليس بعد .

ودخلوا قاعة الطعام ، وعلى المائدة راوا طبقا كبيرا من البيض بالجمبون، وشايا وقهوة .

وكان روجرز قد فتح لهم الباب فأغلقه خلفهم . وقالت اميلي برنت :

ـ ان هذا الرجل يبدو مريضا هذا الصباح .

ووقف الدكتور ارمسترونج بجوار النافذة وتنحنح ثم قال :

ـ يجب ان نظهر شيئا من السماحة من اجل الخدمة هذا الصباح ، فان روجرز اضطر وحده ان يعد الافطار ، وبذل كل ما في وسعه . ان مسز روجرز .. لم تستطع ان تفعل شيئا هذا الصباح .

قالت اميلي برنت : مسكينة هذه المرأة .. ماذا دهاها ؟

تظاهر الدكتور ارمسترونج بأنه لم يسمع سؤالها وقال في هدوء :

ـ هلموا بنا الى المائدة قبل ان يبرد البيض . وسنناقش معا امـورا كثيرة فيما بعد .

وتبنى الجميع رايه . والتفوا حول المائـــدة ، وراحوا يتناولـــون افطارهم .

وباتفاق عام لم يشر اي منهم الى احداث جزيرة الهندي ، ولكنهـــم تحدثوا عن الاحداث التي تدور في العالم ، وعن الرياضة .

وعندما فرغوا من الطعام ارتد ارمسترونج بمقعده الى الخلف قليـــلا وتنحنح ليثير الانتباه اليه ثم قال :

ـ رايت ان من الاوفق ان ننتظر حتى نفرغ من الطعام قبل ان اطلعكم على هذا النبأ السيىء . ان مسز روجرز ماتت اثناء الليل وهي نائمة .

اجفل الجميع وانطلقت صيحاتهم ، وقالت فيرا :

ـ ولكن هذا فظيع .. ميتتان في الجزيرة منذ مجيئنا !

وضاقت عينا القاضي وورجريف وقال في صوت خافت وفي وضوح:

ـ آه . هذا امر غريب . هل تعرف سبب الموت ؟

هز ارمسترونج كتفيه وقال : من المستحيل ان أعرف من اول نظرة .

ـ هل ستقوم بالتشريح ؟

ـ لن استطيع ان اعطي تصريحا بالدفن قبل هذا الاجراء على كل حال، فانني لا اعرف اي شيء عن الحالة الصحية لمسز روجرز .

قالت فيرا: كانت تبدو عصبية جدا . وقد أصيبت بأزمة عنيفة امس. ومن رايي انها ماتت بسبب ازمة قلبية .

اجاب الطبيب في حدة : طبعا . لقد خذلها قلبها ، ولكن ما الـــذي تسبب في خذلانه ؟

ـ هذا هو السؤال .

افلتت كلمة من بين شفتي اميلي برنت فقد قالت :

ـ ضميرها .

تحول ارمسترونج اليها وقال : ماذا تعنين يا مس برنت ؟

اجابت هذه الاخيرة وقد زمت شفتيها : انك سمعت . اتهمها الصوت هي وزوجها بأنهما قتلا مخدومتهما الاخيرة ، وهي امراة مسنة .

ـ اذن فأنت تصدقين ذلك ؟

ـ نعم ، اظن ان التهمة ثابتة ، وقد راينا امس مسز روجرز تنهـــار وتفقد الوعي . انها لم تتحمل اكتشاف جريمتها .

هز الدكتور ارمسترونج راسه في استنكار وقال :

ـ ان نظريتك هذه قد تكون مقبولة ، ولكننا لا نستطيع قبولها مع ذلك بدون ان نعرف اذا كانت هذه المراة مصابة بالقلب حقا .

قالت اميلي برنت في هدوء شديد :
ـ اذا شئت ، يمكنك ان تقول ان موتها هذا عقاب الهي !
استنكر الجميع قولها ، وقال مستر بلور في شيء من الضيق :
ـ انك تبالغين شيئا ما يا مس برنت .
نظرت الفتاة العانس اليهم بعينين براقتين وقد رفعت ذقنها وقالت :
ـ هل ترون ان من المستحيل ان ينزل الله غضبه على القوم الآثمين ؟
حك القاضي ذقنه وتمتم في سخرية : ان التجربة علمتني ان العناية الالهية تعهد الينا نحن القائمون بمهمة معاقبة الاشرار ، ومهمتنا هذه تحف بها آلاف الصعوبات احيانا ولا يمكن ان تكون عاجلة .
هزت اميلي برنت كتفيها في حين قال بلور :
ـ ماذا اكلت وشربت امس عندما اوت الى فراشها ؟
اجاب ارمسترونج : لا شيء .
ـ هل تؤكد انها لم تتناول شيئا ؟.. ولا حتى قدحا من الشاي .
ـ ولكن روجرز يؤكد ان زوجته لم تتناول شيئا على الاطلاق .
اجاب بلور في لهجة غريبة بحيث ان الطبيب رماه بنظرة : طبعا . انه يستطيع ان يقول ما يريد .
قال فيليب لومبارد يخاطب بلور : أهذا رايك ؟
ـ ولم لا . اننا سمعنا جميعا هذا الاتهام مساء امس . قد تكون مزحة قذرة اتى بها مجنون ولكن من يدري . لنفترض لحظة ان التهمة صحيحة.. قتل روجرز وزوجته مخدومتهما وتصورا انهما في أمان ، وهنأ كل منهما الاخر على هذا الحظ السعيد .
قاطعته فيرا قائلة في صوت أجش : كلا ، لم يكن يبدو على مسز روجرز انها آمنة مطمئنة .
وساء بلور هذه المقاطعة ، فنظر الى الفتاة كما لو كان يقول : هذه هي النساء . واستطرد يقول :
ـ ربما . على كل حال لم يكن روجرز او زوجته يتوقعان اي خطر عندما ارتفع الصوت الغامض وفضح امرهما . ما الذي حدث عندئذ ؟.. انهارت المراة وفقدت الرشد . هل لاحظتم جزع زوجها وحرصه على الا يدعها وحدها عندما عادت الى الوعي . كان يدفعه الى ذلك شيء اخر غير اهتمام الزوج . خيل لي انه كالقط على جمر النار . كان يخشى ان تكشف سرهما .
«هذا ما وصلنا اليه اذن . ارتكب هذان الزوجان جريمة قتل وخرجا

منها دون اي ضرر . ولكن ماذا يحدث لو ان امرهما انكشف ؟ كل الاحتمالات تقول ان المراة لن تحتمل ولن تستطيع ان تكذب حتى النهاية ، وبذلك تصبح خطرا دائما على زوجها . اما هو فيدفعه الذكاء الى مواجهة الموقف ، ولكنه يظل على حذر من زوجته ، فانها اذا تكلمت يعرض نفسه لحبل المشنقة ، واذن .. ان الامر سهل جدا ، ما عليه الا ان يدس سما زعافا في قدح من الشاي فيطبق بذلك فم زوجته الى الابد .

سادت لحظة صمت ، ثم تكلم الجنرال ماك ارثر فقال : يشق علي ان اصدق ان يتصرف اي رجل هكذا مع زوجته .

قال بلور : عندما يرى الرجل ان حياته في خطر فلا سلطان للعاطفة .

وفي هذه اللحظة فتح الباب ودخل روجرز والقى نظرة ثم قال :

ـ هل استطيع ان اقدم لكم شيئا اخر ؟ ارجو المعذرة اذا لم يكن هناك ما يكفي من المحمرات ، ولكن لم يبق لدي غير قليل من الخبز ، وتموين اليوم لم يأت بعد .

تململ القاضي وورجريف في مقعده وقال : متى يأتي الزورق عادة ؟

ـ بين السابعة والثامنة يا سيدي . واحيانا بعد الساعة الثامنة . وانني اتساءل ما الذي حدث هذا الصباح لفريد فاراكوت . انه اذا ما مرض يرسل اخاه عادة .

وانتظر روجرز لحظة وفجأة خاطبه الجنرال ماك ارثر فقال له :

ـ آلمني ان سمعت النبأ المحزن بخصوص زوجتك يا روجرز . لقد ابلغنا الدكتور ارمسترونج بما حدث الان فقط .

احنى روجرز راسه وقال : وا اسفاه يا سيدي .. انني اشكرك .

ورفع طبق البيض الفارغ وخرج .

ومن جديد ساد الصمت .

وفي الخارج ، قال لومبارد وهو واقف بالشرفة : اما عن هذا الزورق البخاري ..

نظر بلور الى محدثه وهز راسه وقاطعه قائلا :

ـ انني اخمن ما يدور في ذهنك يا مستر لومبارد . وقد القيت على نفسي نفس السؤال . كان يجب ان يكون الزورق هنا منذ ساعتين على الاقل ، ولكنه لم يأت بعد ، فلماذا ؟

سأله لومبارد : وهل وجدت تفسيرا ؟

ـ اننا لسنا امام حادث عرضي وانما اظن ان كل هذا مدبر مسبقا .

قال لومبارد : انت ترى اذن ان الزورق لن يأتي .

وارتفع صوت خلفهما يقول في فروغ صبر : ان الزورق لن يأتي .

ادار بلور كتفيه المربعين قليلا ، ورأى الرجل الذي نطق بالعبارة الاخيرة وقال يخاطبه :

ـ اتشك انت ايضا يا جنرال في انه لن يأتي ؟

قال الجنرال ماك ارثر في لهجة قاطعة : لن يأتي طبعا . اننا جميعا نعتمد على هذا القارب لمغادرة الجزيرة . ولكن اذا اردتما رأيي فها هو .. اننا لن نغادر هذه الجزيرة . لن يخرج منها اي واحد منا . هذه هي النهاية . هل تفهمان ؟.. نهاية كل شيء .

واستدار وانصرف ، واجتاز الشرفة حتى المنحدر الذي يؤدي الى البحر ، في اخر الجزيرة ، حيث تتفكك الصخور المتزعزعة احيانا وتسقط في الماء . صاح بلور :

ـ هذا مجنون اخر . يخيل لي ان الجميع سيفقدون عقولهم .

قال فيليب لومبارد : ولكنك انت يا بلور لن تفقد عقلك .

انفجر مفتش البوليس السابق ضاحكا وقال : لا بد من ان تقع لي امور كثيرة لكي افقد عقلي ، واراهن انك انت الاخر لن تفقد عقلك .

قال لومبارد : انني أشعر في الوقت الحالي بأنني سليم بدنا وعقلا . شكرا لك .

خرج الدكتور ارمسترونج الى الشرفة ووقف مترددا لحظة . كان بلور ولومبارد يقفان على يساره ، وورجريف على يمينه ، وكان يمشي جيئة وذهابا وهو مطرق الرأس .

وبعد لحظة ، تحول ارمسترونج نحو القاضي ، ولكن في هذه اللحظة بالذات خرج روجرز من البيت مسرعا وقال :

ـ دكتور ، هل استطيع ان اقول لك كلمة من فضلك ؟..

استدار ارمسترونج ، وارتسمت عليه الدهشة وهو يرى نظرة الفزع في عيني الخادم . كان هذا الاخير اصفر اللون ، وكانت يداه ترتعشان .

كان التناقض بين تحفظه منذ قليل وانفعاله الحالي واضحا بحيث ان الطبيب بقي مذهولا .

وعاد روجرز يقول في اصرار : اريد ان اتحدث اليك حتما يا دكتور . ارجو ان تأتي الى الداخل .

عاد الطبيب على اعقابه ودخل البيت مع الخادم المذعور وقال :

ـ ما الخبر يا روجرز .. ولكن تمالك أعصابك .

بلع الرجل ريقه بكل صعوبة ثم قال فجأة :

ـ هنا يا سيدي .. تقع امور غريبة .. أمور لا افهمها .
ـ ماذا تعني يا روجرز ؟..
ـ سوف ترميني بالجنون يا سيدي ، وستقول لي ان هذا ليس شيئا. ولكن يجب ان نعرف كيف حدث هذا ؟..
ـ هلا قلت لي ما الذي يشغلك ؟.. انني لا احب التخمين .

وقال روجرز بشق النفس : انها هذه التماثيل الصغيرة يا سيدي .. تلك الموجودة وسط المائدة .. التماثيل الخزفية .. كان عددها عشرة ، وانني أقسم على ذلك .. كانت عشرة تماثيل .

قال ارمسترونج : هذا صحيح . كان عددها عشرة .

اقترب روجرز وقال : هذا هو ما يزعجني بالذات يا سيدي . عندما رفعت الاطباق امس عددتها ورأيت انها اصبحت تسعة ، وقد بدا لي الامر غريبا عندئذ ولكنني لم أعلق عليه اهمية كبيرة . ولكن الان يا سيدي ، هذا الصباح .. لم الحظ شيئا وانا اضع الاطباق للافطار .. فقد كنت شديد الاضطراب .

ـ ولكنني الان .. اتيت لكي أرفع الاطباق .. ارجو ان تعدها انت نفسك يا سيدي ، اذا كنت لا تصدقني .. ليس هناك غير ثمانية .. ثمانية تماثيل فقط يا سيدي . هذا امر غير مفهوم .. أليس كذلك .. ثمانية فقط !

ـ ٧ ـ

بعد ان فرغوا من الافطار طلبت اميلي برنت من فيرا كلايتون ان تمضي معها الى قمة الجزيرة ليترقبا قدوم الزورق .

كان الجو قد رطب ، وظهرت فوق البحر قمم صغيرة بيضاء ، ولم يكن هناك اي اثر لقوارب الصيد او للزورق البخاري ، بل ان قرية ستيكلهافن اختفت خلف الصخرة الحمراء الكبيرة التي تشرف على الخليج الصغير .

وقالت اميلي برنت : ومع ذلك فان الرجل الذي اتى بنا امس كان يبدو جادا ، وان من العجيب حقا ان يتأخر اليوم هكذا .

لم تجب فيرا لانها كانت تحاول ان تتغلب على خوفها المتزايد وكانت تفكر : يجب ان احتفظ بجأشي . انني لم اعد أعرف نفسي في هذه اللحظة

لان من عادتي الا يتملكني الخوف بسهولة .

وقالت بعد لحظة ، في صوت مسموع : انني متلهفة لرؤية هـذا الزورق ، فانني اريد ان أرحل من هنا .

قالت اميلي برنت في حدة : اننا جميعا نريد مغادرة هذه الجزيرة .

تنهدت فيرا وقالت : هذه المغامرة عجيبة ولا نفهم لها معنى .

قالت العانس : انني ابغض نفسي لانني وقعت في الفخ بهذه السهولة. والحقيقة ان الرسالة التي جاءتني كانت سخيفة ، وكان يجب ان افحصها عن كثب ، ولكنني ، في تلك اللحظة لم يكن لدي اي شك .

تمتمت فيرا : انني افهمك تماما .

وقالت اميلي : ان الانسان لا يتوخى الحذر بما فيه الكفاية .

وتنهدت فيرا من جديد وقالت : هل كنت تعنين حقا ما قلت اثنـاء طعام الافطار ؟..

ـ بخصوص اي شيء يا عزيزتي ؟

سألتها فيرا في صوت خافت : هل تعتقدين حقا ان روجرز وزوجته تركا الانسة العجوز تموت ؟..

نظرت اميلي برنت الى البحر مدة طويلة ثم قالت : انا شخصيا مقتنعة بهذا ، وانت ، ما رايك ؟..

ـ لا ادري ماذا اقول .

ـ كل شيء يبدو كأنه يؤيد نظريتي . اغماء مسز روجـرز في نفس اللحظة التي افلتت فيها الصينية من بين يدي زوجها ، ثم تفسـيرات روجرز .. كانت تبدو زائفة ! ليس لدي اي شك . انهما مذنبان !

عادت فيرا تقول : كانت هذه المرأة تبدو كما لو كانت تخاف مـن خيالها . لم ار رعبا ابدا كذلك الذي ارتسم على وجهها . لا ريب ان وخز الضمير ظل يلاحقها .

تمتمت مس برنت : انني اتذكر حكمة كانت معلقة في بيتنا تقول «ثق ان خطاياك سوف تلاحقك» . وهذه هي الحقيقة ، فان المرء لا يستطيـع الهرب من ضميره .

وكانت فيرا قد جلست فوق الصخرة فهبت واقفة وقالت :

ـ مس برنت ، في هذه الحالة ..

ـ حسنا ؟..

ـ ما رايك في الاتهامات الاخرى . هل كانت كلها كاذبة ؟.. اذا كان الصوت قد قال الصدق عن آل روجرز ..

وامسكت عن الكلام وهي لا تستطيع ان ترتب افكارها المشوشة . وعاد الهدوء الى جبين اميلي برنت وقالت :

ــ آه . انني افهم ما تعنين . لننظر مثلا الى التهم الموجهة الى مستر لومبارد .. انه يعترف بأنه تسبب في موت عشرين رجلا .

قالت فيرا : ولكنهم كانوا من الزنوج .

قالت اميلي برنت محنقة : ان الرجال جميعا اخوة سواء كانوا زنوجا او غير زنوج .

واستطردت تقول في تفكير : ان بعض الاتهامات مبالغ فيها طبعا وسخيفة ، مثال ذلك : العتاب الموجه الى القاضي וורجريف الذي لم يفعل اكثر من اداء واجبه ، كذلك حالة مفتش البوليس السابق .. وحالتي انا ايضا .

واردفت تقول بعد سكتة قصيرة : ونظرا للظروف آثرت ألا اقول شيئا امس ، فقد كان يتعذر عليّ ان اتكلم امام هؤلاء الرجال .

ــ حقا ؟

وارهفت فيرا السمع ، وروت مس برنت لها القصة التالية : كانت بياتريس تايلور تشتغل عندي ، ولم تكن فتاة محترمة ، ولكنني لم اكتشف ذلك الا فيما بعد ، وقد خيبت ظني فيها . كانت تسلك مسلكا حسنا ، وكانت نظيفة جدا وطيعة جدا . وارضتني كل الرضا في البداية . ولكن كل ذلك لم يكن الا تظاهرا . كانت فتاة مرائية فاسدة الاخلاق .. كانت مخلوقة فظيعة .. ومرت شهور طويلة قبل ان اكتشف انها تواجه متاعب .

حدقت مس فيرا فيها وقالت : وماذا حدث ؟..

ــ لم ابقها تحت سقف بيتي بعد ذلك ساعة واحدة طبعا ، ولن يلومني احد ابدا على انني اشجع الرذيلة .

قالت فيرا في صوت خافت وفي اصرار : وماذا حدث لها ؟..

اجابت مس برنت : لم تقنع تلك الساقطة بأنها اثمت مرة فأقدمت على اثم اخر اكبر .. وانتحرت .

تمتمت فيرا في هلع : انتحرت ؟..

ــ نعم . القت بنفسها في البحر .

نظرت فيرا الى العانس العجوز وهي ترتعش ، وسألتها قائلة : وماذا كان شعورك عندما عرفت ان اليأس قد دفع هذه الفتاة المسكينة الى الانتحار ؟ هل وجهت اللوم الى نفسك !..

قالت اميلي برنت مفتاظة : انا ؟.. ولماذا الوم نفسي ؟..

ـ ولكن اذا كانت صرامتك قد دفعت بهذه الفتاة الى الانتحار ..

قاطعتها العانس العجوز تقول في حدة : انها كانت ضحية خطيئتها هي بالذات ، فلو انها تصرفت كما تتصرف كل فتاة شريفة متواضعة لما حدث لها شيء من ذلك .

ولم تعد هذه الفتاة العانس تبدو سخيفة في عيني زميلتها . وفجأة.. رات فيرا في اميلي برنت وحشا مهولا من القسوة .

* * *

مرة اخرى غادر ارمسترونج غرفة الطعام وخرج الى الشرفة . ووجد القاضي وورجريف جالسا فوق مقعد ينظر الى البحر في هدوء ، في حين وقف بلور ولومبارد يدخن كل منهما غليونه في صمت .

وتردد الطبيب كما فعل اول مرة وفحصت عيناه مستر وورجريف . كان بحاجة الى نصيحة ، وكان يقدر منطق العجوز وذكاءه ، ولكنه لم يجرؤ على ان يوجه اليه الحديث . لم يكن هناك شك في ان القاضي يملك عقلا عجيبا ولكن سنه الكبيرة كانت تتكلم ضده . وادرك الدكتور ارمسترونج عندئذ انه بحاجة الى رجل نشيط .

قال : هل يمكن ان تكرس لي بضع دقائق يا لومبارد ؟

اجفل فيليب وقال : سمعا وطاعة يا دكتور .

غادر الرجلان الشرفة وهبطا معا المنحدر المؤدي الى البحر . وعندما ابتعدا عن الآذان المتطفلة بدأ ارمسترونج الحديث فقال :

ـ اريد ان استشيرك .

اجاب لومبارد وهو يدير عينيه دهشة : ولكن ليست لي اية معرفة طبية يا عزيزي .

ـ كلا . كلا . اطمئن . انني اعني موقفنا الحالي .

ـ آه .. ان الامر مختلف اذن .

ـ قل لي رايك فيه صراحة .

وبعد لحظة تفكير اجاب لومبارد : انه موقف مزعج اذا اردت رأيي ، واني اتساءل كيف المخرج منه ؟..

ـ وما رايك في موت هذه المراة ؟.. هل تقبل رواية الزوج ؟

أطلق لومبارد سحابة من الدخان في الهواء واعترض قائلا: ان تفسيراته

تبدو لي معقولة .. ذلك اذا لم يكن في الامر شيء اخر .
ـ هذا هو ما يثير حيرتي بالذات .

احس ارمسترونج بارتياح كبير وهو يرى انه يتكلم مع رجل رشيد . واستطرد لومبارد يقول :

ـ على الاقل ، اذا كان مستر روجرز وزوجته قد ارتكبا جريمة لكي يستفيدا منها بكل أمان . ولم لا على كل حال ؟ وهل تشك في انهما دسا السم للمرأة العجوز ؟

اجاب الطبيب في بطء : ربما دارت الامور بطريقة اسهل من هذا . انني سألت روجرز صباح اليوم من اي شيء كانت تشكو سيدته ، وتدعى مس برادي ، وفتح لي رده آفاقا واسعة . ولا داعي لان نضيع في اعتبارات طبية طويلة ، ويكفي ان تعلم ان نتريت الاميل يستخدم في حالات خاصة من آلام القلب ، فعندما تشتد الازمة لا بد من تحطيم انبوبة من هذا المحلول لكي يستنشقها المريض . ولكن اذا حدث ووضعت الانبوبة سهوا بعيدا عن الانف فان العواقب تكون وخيمة .

قال لومبارد : كان الامر سهلا جدا اذن . ان الاغراء كان قويا بما فيه الكفاية .

اجاب الطبيب : طبعا ، وليس هناك داع لاي اجراء مورط ، ولا حاجة بهما لدس كمية من السيانور او الزرنيخ ، فقد كان يكفيهما الا يتحركا . وقد أسرع روجرز في جوف الليل للبحث عن طبيب لكي لا يشك احد في امرهما .

قال فيليب لومبارد في قلق : وحتى اذا ارتاب احد في امرهما فما كان في وسعه اثبات ذلك . ان هذا يفسر امورا كثيرة .

سأله ارمسنرونج في شيء من الحيرة : معذرة ؟

ـ اعني الاحداث التي وقعت في الجزيرة . ان بعض الجرائم تفلت من عدالة الانسان ، ومثال ذلك مقتل مس برادي على يد آل روجرز .. ومثال اخر واعني به الجريمة التي ارتكبها القاضي وورجريف دون ان يتجاوز حدود القانون .

سأله ارمسترونج : هل تصدق هذه القصة ؟

قال لومبارد وعلى شفتيه ابتسامة : انني لم اشك فيها ابدا . ان وورجريف قتل ادوارد سيتون ، تماما ، كما لو كان قد طعنه بخنجر في قلبه . ولكنه كان من البراعة بحيث قتله وهو جالس في مقعد القضاة ، ولا يمكن ادانته طبقا للاساليب العادية .

اخترق وميض ذهن ارمسترونج .. جريمة في المستشفى .. جريمة في غرفة العمليات .. العدالة تبقى عاجـزة امام مثل هذه الاعمـال الاجرامية .

وتمتم لومبارد في تفكير : ومن هنا مستر اوين .. وجزيرة الهندي .

اطلق مستر ارمستروونج تنهيدة عميقة وقال : اننا نصل الى صميم الموضوع . لاي غرض جاء بنا مستر اوين هنا ؟

ـ هل لديك فكرة ما ؟

اسرع ارمستروونج بالرد فقال : لننتقل الى موت هذه المراة . ما هي النظريات التي تعرض لنا . ان زوجها يقتلها خوفا من ان تفشي سرهما . وهناك احتمال اخر ، وهو انها ربما فقدت جأشها ، وانها في ذروة يأسها وضعت حدا لحياتها بأن ابتلعت كمية كبيرة من الاقراص المنومة .

سأله لومبارد : هو انتحار اذن ؟

ـ ايدهشك هذا ؟

ـ لولا موت مارستون لوافقتك على هذه النظرية الثانية ، فان حالتي انتحار في ظرف اربع وعشرين ساعة يبدوان لي مصادفة مفتعلـة . واذا زعمت ان ذلك الشاب الارعن مارستون ، المجرد من الاخلاق والعاطفة انتحر طواعية لانه صدم طفلين فانه زعم مضحك ، ومن ناحية اخرى ، من اين له بالسم . ان السيانور ليس من هذه المواد التي يضعها الانسان في جيب سترته عندما يمضي الى حفلة سمر ، وانت تفهم هذه الناحية خيرا مني .

اجابه ارمستروونج : ان الرجل العاقل لا ينتقل وفي جيبه مثل هـذا السم ، ولا ريب ان شخصا ما جاء به الى الجزيرة لكي يتخلص من الحشرات الضارة .

قال لومبارد : البستاني ؟.. او صاحب البيت ؟.. انه ليس انتوني مارستون على كل حال . ان مسألة السيانور هذه تحتاج منا الى شيء من التفكير .. اما ان انتوني مارستون كان ينوي ان ينتحر عند مجيئه الـى هنا ، وبذلك يكون قد أعد عدته لذلك واما ..

سأله ارمستروونج : واما ؟..

ضحك لومبارد في سخرية وقال : ولماذا ترغمني على ان اقول ذلك . ان الكلمات على طرف لسانك .. واما ان يكون احد الاشخاص الموجودين هنا هو الذي دس السم لمارستون .

قال الدكتور ارمستروونج وهو يتنهد : ومسز روجرز ؟

اجاب لومبارد في بطء : كان في امكاني ان أصدق بصعوبة ان انتوني

مارستون انتحر لو لم تمت مسز روجرز . ومن ناحية اخرى ، كان في امكاني ان اصدق ان مسز روجرز انتحرت لو لم يمت مارستون . وما كنت لأبعد تلك النظرية التي تقوم على ان روجرز تخلص من زوجته لولا نهاية انتوني مارستون المفجعة . ان من الضروري ان نجد تفسيرا لاحدى هاتين الميتتين اللتين تتابعتا في مثل هذا الوقت القريب .

قال الدكتور ارمسترونج : ربما استطيع ان اساعدك في ازالة الغموض .

واعاد على سمع زميله المعلومات التي ذكرها له روجرز فيما يتعلق باختفاء التمثالين ، فقال لومبارد :

ـ نعم . ان التماثيل لهنود ، وكان موجودا منها عشرة مساء امس في وقت العشاء . وتقول انه لم يبق منها غير ثمانية .

قال الدكتور ارمسترونج يردد مقاطع الاغنية :

عشرة اطفال هنود مضوا لتناول العشاء .
اختنق احدهم فلم يبق منهم الا تسعة .
تسعة اطفال هنود ظلوا سهارى الى وقت متأخر من الليل .
ونسي احدهم ان يصحو فأصبحوا ثمانية .

تبادل الرجلان النظر . وضحك فيليب لومبارد ساخرا والقى بسيجارته بعيدا ثم قال :

ـ ان هاتين الميتتين واختفاء التمثالين يتطابقان بطريقة عجيبة بحيث يمكن ان يكون الامر مجرد مصادفة . اختنق انتوني مارستون بعد العشاء، ونسيت مسز روجرز ان تصحو ، لان احدا منعها من ذلك .

سأله ارمسترونج : واذن ؟

انتهز لومبارد الفرصة عندئذ وقال : هناك هندي من نوع اخر .. واعني به ذلك الذي يختفي في النفق .. سره الغامض .. مستر اوين.. المجنون المجهول .

قال ارمسترونج في ارتياح : آه . انك تشاركني رايي . ولكن ، هل ترى اين يؤدي بنا هذا الراي ؟.. ان روجرز يقسم انه ليس في الجزيرة احد غيره هو وزوجته وضيوف مستر اوين العشرة .

ـ ان روجرز مخطىء .. ما لم يكن يكذب .

هز ارمسترونج راسه وقال : من رايي ان روجرز لا يكذب ، فانه مذعور الى حد انه يكاد يفقد الرشد .

قال فيليب لومبارد عندئذ : لم يأت الزورق البخاري هذا الصباح .

وفي هذا توكيد للمؤامرة التي دبرها مستر اوين . ستبقى جزيرة الهندي معزولة عن العالم لكي تسمح لمستر اوين ان يفرغ من مهمته .

امتقع وجه ارمسترونج وقال : لا بد ان يكون هذا الرجل مجنونا .

اجاب لومبارد بهدوء : لقد نسي مستر اوين نقطة صغيرة .

ـ وما هي ؟

ـ هذه الجزيرة ما هي الا صخرة جرداء وسنفتشها بسهولة من اولها الى آخرها ، وسوف نكتشف مخبأ مستر اوين هذا .

قال الطبيب : يجب ان نكون على حذر ، فان هذا الرجل سيكون شديد الخطر .

انفجر لومبارد ضاحكا وقال : شديد الخطر . ومن الذي يخشى الذئب الكبير ؟.. انا الذي سأكون شديد الخطر عندما اضع يدي عليه .

وبعد سكتة قصيرة اردف يقول : من الاوفق ان نقنع بلور بأن يمد لنا يد المساعدة في هذه العملية . ستكون مساعدته لنا ثمينة في الساعة الحرجة ، ومن الاوفق الا تذكر شيئا من ذلك للنساء . اما الاخرون ، فان الجنرال الشيخ مخرف والقاضي وورجريف يحرص على الا يتحرك من مقعده . ويمكننا نحن الثلاثة ان نتكفل بالعمل .

- ٨ -

اقتنع بلور بسهولة وابدى موافقته على الفور وعرض حججه قائلا :

ـ ان ما ذكرتموه لي الان بخصوص التماثيل الخزفية يلقي ضوءا جديدا على هذه المسألة . ان هناك نوعا من الجنون مثلا ، وانني اتساءل اذا لم يكن في نية صاحبنا مستر اوين ان ينفذ جرائمه بطريق التوكيل .

سأله ارمسترونج : ماذا تعني ؟

ـ ان رأيي ان مارستون ملأه الخوف بعد الاستماع للاسطوانة وانتحر . اما روجرز فانه قتل زوجته تحت تأثير الخوف . وكل هذا جزء من المخطط الجهنمي الذي وضعه مستر اوين .

هز ارمسترونج راسه وعاد الى موضوع السيانور فقال بلور :

ـ انني نسيت هذه النقطة . ليس من الطبيعي طبعا ان يتنقل المرء وفي جيبه مثل هذا السم . ولكن قل لي كيف وصل السم الى الكأس ؟..

اجاب لومبارد : انني فكرت طويلا . ان مارستون شرب كؤوسا كثيرة

من الويسكي امس . ولكن انقضى بعض الوقت ما بين الكأس الاخيرة والتي قبلها .. وفي هذه الاثناء بقيت كأسه على احدى المناضد ، ولن اذكر شيئا، ولكن يبدو لي انه اخذ كأسه من فوق المنضدة الصغيرة الموجودة بجوار النافذة ، وكانت مفتوحة طوال الوقت ، وربما استطاع احد ان يدس السم في كأسه في هذه الاثناء .

قال بلور مذهولا : دون ان يراه اي واحد منا .

قال لومبارد : كانت اذهاننا مركزة على اشياء اخرى .

وقال ارمسترونج : هذا صحيح . كنا جميعا نتناقش في ذلك الوقت. وكنا نمشي في الغرفة محنقين نتبادل الراي وكل منا مشغول بحالته الخاصة . وهذا الاقتراح معقول طبعا .

هز بلور كتفيه وقال : لا ريب ان الامر قد وقع هكذا . لنبدأ بالعمل الان اذن . ولا داعي لان اسألكما هل مع احدهما مسدس . لو صح ذلك فان الامر يكون جميلا .

قال لومبارد وهو يجس جيبه : معي انا مسدس .

نظر بلور اليه وقد اتسعت عيناه وقال : وتحمله في جيبك هكذا دائما ؟..

ـ نعم ، فهذه عادة عندي . انني عشت في مناطق كانت حياة الرجل فيها في خطر دائم .

قال بلور : يطيب لي ان اعتقد انك لم تجد نفسك قبل اليوم في مكان خطر كهذا . ولو ان هناك مجنونا يختفي في هذه الجزيرة فلا شك انه مجهز بترسانة ..

اجفل ارمسترونج وقال :

ـ قد تكون مخطئا يا بلور ، فان بعض مهاويس الجريمة ما هم الا اناس هادئون جدا ومسالمون جدا في مظهرهم .

قال بلور : اما انا يا دكتور فلا اغذي نفسي بالاوهام فيما يتعلق بصاحبنا هذا .

وبدأ الرجال الثلاثة تفتيش الجزيرة .

وكان التفتيش من اسهل الامور ، فان شرق الجزيرة الغربي كان عبارة عن صخور شديدة الانحدار حتى البحر لا موضع فيها لمخبأ . اما باقي الجزيرة فكان عبارة عن اشجار وحشائش . وفتش الرجال الجزيرة من قمتها حتى الساحل ، وفحصوا كل شبر فيها بترتيب ونظام . ولم تثمر ابحاثهم عن شيء .

وفيما هم يقطعون شاطىء البحر بلغوا المكان الذي يجلس فيه الجنرال ماك ارثر حيث راح يتأمل المحيط .

كان المكان هادئا والامواج تأتي وتتكسر على الصخور في هدوء ، وكان الرجل يجلس معتدل القامة ، يحدق بعينيه في الافق البعيد . ولم يبد اي اهتمام باقتراب الرجال الثلاثة . وتضايق هؤلاء من تصرفه هذا ، وقال بلور يحدث نفسه :

ـ ان هذا الوضع ليس طبيعيا . يخيل لي انه ثائر الاعصاب .

وتنحنح ، وخاطبه قائلا : انك وجدت هنا مكانا هادئا لكي تستريح وتستجم يا سيدي الجنرال .

قطب الجنرال جبينه ورما بنظرة من فوق كتفه وقال :

ـ ان الوقت الباقي لي قليل.. قليل جدا.. ولا اريد ان يزعجني احد.

ـ ولكننا لن نزعجك يا سيدي الجنرال . اننا ندور بالجزيرة لكي نرى اذا لم يكن هناك من يختبىء فيها .

زاد عبوس الجنرال وقال : انك لا تفهم .. لا تفهم اطلاقا ..

ابتعد بلور وهو يقول للآخرين : لقد أصيب الرجل بمس من الجنون . ومن الاوفق الا نتحدث اليه .

قال الدكتور ارمسترونج في حيرة : ليتني اعرف الان اذا ..

***

فرغ الرجال الثلاثة من بحثهم ووقفوا في اعلا نقطة من الجزيرة ونظروا الى الساحل فلم يروا اثرا للزورق . وبدأت الرياح تهب .

وقال لومبارد : ان قوارب الصيد لم تخرج اليوم ، فان العاصفة على الابواب ، ومما يؤسف له اننا لا نستطيع ان نرى القرية من هنا ، والا لأرسلنا بعض الاشارات على الاقل .

قال بلور : ما رايكما في ان نشعل حريقا كبيرا .

قطب لومبارد جبينه وقال : لسوء الحظ ان مستر اوين توقع كل شيء .

ـ وكيف هذا؟..

ـ لا ادري . اننا ازاء دعابة مخيفة . لقد حرص مستر اوين على ان يعزلنا عن العالم في هذ الجزيرة ، ولن يحفل احد لاشاراتنا ، ولا ريب انه اخطر اهالي القرية بأن في الامر رهانا .

سأله بلور متشككا : هل تعتقد ان الاهالي يتقبلون هذه القصة ؟
ـ ان الحقيقة صعبة التصديق احيانا ، فلو انه قيل لهم ان الجزيرة يجب ان تظل معزولة حتى يفرغ مستر اوين هذا من جميع مدعويه ، فهل تظن انهم كانوا يصدقونه ؟
ابدى الدكتور ارمسترونج شكوكه فقال :
ـ انا نفسي اتساءل في بعض الاحيان اذا كنت لا احلم ، ومع ذلك ..
كشر لومبارد فكشف عن اسنانه البيضاء وقال :
ـ ومع ذلك فان كل شيء يدل على العكس .
ونظر بلور الى البحر ، عند اسفل الصخور ، فاحصا ، فهز ارمسترونج راسه وقال :
ـ ان المكان شديد الانحدار وليس به اية بقعة يستطيع ان يختبىء فيها انسان .
قال بلور : ربما كانت هناك ثغرة في الصخور . لو ان معنا قاربا لاستطعنا ان ندور بالجزيرة ..
قال لومبارد : لو ان معنا قاربا لكنا الان في الطريق نحو الشاطىء .
ـ هذا صحيح يا سيدي .
ـ ان هذا الجزء من الصخور ليس به غير مكان واحد يمكن ان يكون مخبأ ، وهو المكان الذي على اليمين ، من اسفل . واذا وجدت حبلا متينا، فانني استطيع ان اهبط واتحقق من ذلك .
قال بلور : ان الفكرة لا بأس بها ، وان كان الامر يبدو لي خطرا بعض الشيء . سأذهب لابحث عن حبل على كل حال .
ومضى الى القصر في خفة .
ورفع لومبارد عينيه نحو السماء . كانت السحب قد بدأت تتجمع ، واخذت الرياح تشتد شيئا فشيئا . وقال اخيرا وهو ينظر الى ارمسترونج :
ـ اراك صموتا يا دكتور ، ففيم تفكر ؟
ـ انني اتساءل الى اية درجة يبلغ جنون الجنرال ماك ارثر .

* * *

احست فيرا بالانفعال طوال الصباح ، وتجنبت صحبة اميلي برنت في شيء من الاشمئزاز .

وكانت العانس العجوز قد جاءت بمقعد امام البيت وجلست تطرز .
وكانت فيرا كلما فكرت فيها يخيل لها انها ترى وجه الغريقة المتقع وحول وجهها حشيش البحر .. وجها كان جميلا فيما سبق ، ولعله كان جميلا جدا واصبح الان لا يوحي الا بالعطف .
ومع ذلك فان اميلي برنت كانت هادئة ، وعكفت على التطريز وهي متسربلة في فضيلتها .
وكان القاضي وورجريف جالسا في الشرفة الكبيرة ، فوق مقعد من الخيزران وقد غاصت راسه في رقبته .
وبعد لحظة ، هبطت فيرا في خطوات بطيئة نحو البحر ، وبلغت طرف الجزيرة حيث يجلس رجل كهل ، يحدق بعينيه في الافق .
وتحرك الجنرال ماك ارثر عندما اقتربت منه وحول راسه نحوها ، ورات في عينيه عندئذ وميضا من الفضول والخوف . وانزعجت الفتاة اذ رات ذلك وخطرت بذهنها فكرة ، وقالت تحدث نفسها :
ـ هذا غريب . لكأنه يعرف .
وخاطبها الجنرال قائلا : آه . اهذه انت ؟.. هأنت اخيرا ..
جلست فوق الصخرة بجواره وقالت : هل يسرك ان تتأمل البحر هكذا ؟..
هز راسه في هدوء وقال : نعم . ان المكان جميل ، ويطيب لي ان انتظر هنا .
اسرعت تقول : تنتظر ؟.. ولكن ماذا تنتظر ؟
تمتم : النهاية . ولكنك تعرفين ذلك مثلي تماما ، أليس كذلك ؟ اننا ، جميعا ، ننتظر النهاية .
سألته في ذهول : ماذا تعني ؟..
اجاب الجنرال ماك ارثر في صمت عميق : لن يغادر اي واحد منا هذه الجزيرة . ان هذا امر مدبر . ولكن لماذا تتجاهلين ؟.. لعلك لا تفهمين ما هو الشعور بالارتياح .
ـ الشعور بالارتياح ؟..
ـ نعم ، طبعا . انك ما زلت في عنفوان الشباب ، ولم تبلغي بعد المرحلة التي بلغتها انا . ولكن سوف يأتي ذلك . سوف تشعرين بالارتياح عندما تأتي النهاية ، وتعرفين انك ستلقين الحمل عنك بعد قليل .
قالت في صوت اجش : انني ما زلت لا افهم .
وراحت تحرك اصابعها في انفعال وقد اخافتها فجأة فكرة وجودها

وحدها مع ذلك الرجل العسكري المسن الذي يبدو انه مكشوف البصيرة.
وقال في صوت حالم : كنت احب ليزلي .. كنت احبها كثيرا .
سألته الفتاة : كانت ليزلي زوجتك ؟..
ـ اجل . كانت زوجتي . كنت اعبدها ، وكنت فخورا بها . كانت جميلة جدا ، ومرحة جدا .
وبعد لحظة من الصمت استطرد يقول : نعم . كنت احب ليزلي، وهذا هو السبب فيما اقدمت عليه .
ـ ماذا تقول ؟..
هز الجنرال ماك ارثر في بطء وقال :
ـ ولماذا الانكار الان ما دمنا سنموت جميعا ؟.. انني ارسلت ريتشموند الى الموت .. كانت جريمة طبعا ، وهذا عجيب .. جريمة مع انني كنت معروفا بشدة احترامي للقانون . ولكنني في ذلك الوقت لم اكن ارى الامور كما اراها اليوم ، ولم اشعر بأي تبكيت او وخز من ضمير . كنت ابرر عملي بانه استحق ذلك تماما ولكنني فيما بعد ..
قالت تسأله في اصرار ، وفي صوت قاس : حسنا ؟
هز راسه في ضعف وقد بدا عليه القلق والحيرة وقال :
ـ لا ادري .. لا ادري .. ان الحياة بدت لي تحت صورة اخرى . وانني اجهل اذا كانت ليزلي خمنت الحقيقة . ولكنني لا اظن ذلك . انني لم اكتشف ابدا ما يدور في ذهنها .
قالت فيرا تكرر قوله : وحدك .. وحدك .
ورددت الصخور صدى صوتها .
واستطرد الجنرال ماك ارثر يقول :
ـ سوف تكونين انت ايضا سعيدة عندما تأتي النهاية .
نهضت فيرا وقالت في حدة : انني لا أفهم ما الذي توصي به ؟
ـ انني فاهم يا ابنتي .. انني فاهم .
ـ كلا يا جنرال .. انك لا تفهمني .. ابدا .
حول الجنرال ماك ارثر بصره الى البحر ولم يعد يشعر بوجود الفتاة الى جواره وقال في صوت حنون : ليزلي !

* * *

عندما عاد بلور من البيت ومعه حبل معقود حول ذراعه وجد

اميلي بعيدة عن الحكمة ، ومع ذلك فان كلا من الموجودين تردد ، وبدا كأنه يبحث عن عزاء في بقائه مع الاخرين ، غير ان القاضي وورجريف راى ان من الخير ان يقول :

ــ هذا صحيح . اننا جميعا بحاجة الى النوم .

قال روجرز : ولكنني لم أرفع الاطباق عن المائدة بعد .

قال لومبارد في لهجة آمرة : سوف تفعل هذا غدا صباحا .

وقال الدكتور ارمسترونج يسأل الخادم : هل تشعر زوجتك بتحسن يا روجرز ؟

ــ سأصعد لكي اراها يا سيدي .

وعاد بعد دقيقة وقال : انها غارقة في نوم هادىء يا سيدي .

قال الطبيب : حسنا . لا تزعجها اذن .

ــ كلا يا سيدي . سأرتب غرفة الطعام واغلق الابواب بالمفتاح ثم امضي لانام بعد ذلك .

واجتاز الردهة لكي يمضي الى غرفة الطعام .

ومضى كل من المدعوين الى غرفته على مضض .

ولو انهم كانوا في قصر عتيق له سلالم وأرضيات خشبية تصدر صريرا كلما وطأها احد ، أركانه مظلمة ، وسقوفه مائلة لملئوا رعبا ، ولكن البيت كان حديثا . ليست به اية اركان مظلمة ولا ألواح خشبية متحركة ، والنور الكهربائي يسطع من كل مكان به .. كان كل شيء فيه جديدا براقا .. لا يمكن ان يختبىء به احد . كان يفتقر تماما الى ذلك الجو الذي يطبق على البيوت القديمة المسكونة .

ومع ذلك فقد أحس الجميع فيه بخوف لم يستطيعوا له تفسيرا .

وتمنى كل منهم للآخر ليلة طيبة ثم دخل غرفته واغلق الباب خلفه بالمفتاح .

***

راح القاضي وورجريف ينضو عنه ثيابه لكي يستلقي في فراشه .

كان يفكر في أدوار سيتون .

وارتسمت صورة المتهم امامه في وضوح .. راى شعره الاشقر وعينيه الزرقاوين اللتين تحدقان فيك بصراحة . كانت هذه النقطة هي التي احدثت اثرها في نفوس هيئة المحلفين .

ارمستر ونج في نفس المكان الذي تركه فيه ، وكان ينظر الى اعماق البحر، فسأله وهو يلهث :

ـ اين مستر لومبارد ؟..

اجابه ارمستر ونج في صوت طبيعي : انه ذهب لكي يتحقق من احدى نظرياته ، وسيكون هنا بعد دقيقة . قل لي يا مستر بلور . انني شديد القلق .

ـ يخيل لي اننا جميعا شديدو القلق .

هز الطبيب يده في فروغ صبر وقال :

ـ طبعا ، طبعا . ولكنك لا تفهم ما أعنيه . انني شديد القلق بخصوص الجنرال .

ـ وماذا به يا سيدي ؟..

اجاب الدكتور ارمستر ونج مكشرا : اننا نبحث عن مجنون ، فما رايك في ماك ارثر ؟..

سأله بلور في ذهول : هل تعتقد ان نوايا قاتلة تحركه .

ـ كلا . لن أزعم هذا ، فأنا لست خبيرا في الامراض العقلية ، ولم اتبادل الحديث معه ، وبهذا لم تسنح لي الفرصة بأن أدرسه .

ـ انه رجل مخرف واوافقك على هذا . اما ان تشك في انه ..

قاطعه ارمستر ونج قائلا : لعلك على حق . ان القاتل يختفي في الجزيرة . آه . ها هو لومبارد يعود .

وربط الحبل حول وسط لومبارد في قوة . وقال الشاب : سأساعد نفسي بقدر ما استطيع . ولكن انتظر مني ان اهز الحبل على كل حال .

ومرت بالرجلين لحظات وهما يتابعان هبوط لومبارد . وقال بلور في لهجة عجيبة : انه خفيف كالقرد .

قال الطبيب : لا بد انه متمرن على تسلق الجبال .

وخيم الصمت بين الرجلين . وقال مفتش البوليس السابق اخيرا : انه رجل غريب الاطوار . هل تعرف رأيي ؟

ـ انني مصغ اليك .

ـ انه لا يوحي الي بالثقة .

سأله ارمستر ونج : ولماذا ؟..

زمجر بلور قائلا : لا استطيع القول بالضبط ، ولكنني اظن انه خليق بكل شيء .

ـ انت تعرف ان حياته كلها كانت عبارة عن مغامرات ومجازفات .

قال بلور : نعم . ولكنني اراهن انه لا يطيب له ان يعرف احد شيئا عن مغامراته هذه .

وامسك عن الكلام بضع لحظات ثم عاد يسأل الطبيب :

ـ أتراك احضرت مسدسك معك يا دكتور ؟

حدق ارمسترونج فيه وقال : انا ؟ كلا طبعا . وماذا افعل به ؟

ـ ولماذا جاء لومبارد بمسدسه ؟..

قال ارمسترونج : بحكم العادة بلا شك .

اهتز الحبل . ومرت بضع لحظات وبلور وارمسترونج يبذلان جهدهما حتى لا يفلت منهما . وعندما ارتخى اخيرا قال بلور :

ـ هناك عادة وعادة . ان يذهب مستر لومبارد الى البلاد المتوحشة ويأخذ معه مسدسه وموقده وكيس نومه وذخيرة من المسحوق الذي يقتل الحشرات فذلك امر طبيعي . اما ان يأتي بمسدسه في مثل هذا المكان فهذا عمل ليس هناك ما يبرره .

هز الدكتور ارمسترونج راسه وهو بادي الحيرة .

وانحنى كل منهما فوق الصخرة وراحا يتابعان تقدم زميلهما . وكان لومبارد قد فزغ من فحصه ، وبدت امارات الخيبة واضحة على جبينه . ولم يلبث ان صعد الى قمة الصخرة وراح يجفف جبينه الذي تفصد بالعرق وقال :

ـ حسنا . لكما ان تثقا الان انه ليس هناك اي مخبأ بالجزيرة . لم يبق الا ان نفتش البيت .

قاموا بتفتيش البيت بدون اية صعوبة . وبداوا بملحقاته ثم وجهوا اهتمامهم الى البيت نفسه ، ففحصوا الدور الارضي ، وكان البيت حديث البناء ، مصمما بطريقة بحيث لم يكن هناك اي مكان يصلح للاختباء . وفيما هم يصعدون الى الطابق العلوي حيث تقع غرف النوم راوا ان احدى نوافذ البسطة الخادم روجرز يحمل صينية عليها كؤوس الكوكتيل . وقال لومبارد :

ـ ان هذا الرجل ظاهرة عجيبة . انه يباشر عمله بكل هدوء ، كما لو ان شيئا لم يقع .

وقال ارمسترونج يمدح الخادم الامين : ان روجرز رجل فريد من نوعه وقل ان نجد خادما مثله .

وقال بلور : وكانت زوجته طاهية ممتازة هي الاخرى .

ودخلوا اول غرفة من غرف النوم .

وبعد خمس دقائق وجدوا انفسهم فوق البسطة . لم يكن هناك اي شخص مختبىء . بل لم يكن هناك مكان للاختباء على الاطلاق .

وقال بلور : آه .. ما هذا السلم الصغير ؟..

اجاب ارمسترونج : انه السلم الذي يؤدي الى غرفة الخدم .

قال بلور : لا ريب ان هناك مكان مخصص لتخزين المياه ايضا . هذا هو المكان الوحيد الباقي امامنا .

وفي هذه اللحظة بالذات سمع الرجال الثلاثة صوتا فوق رؤوسهم .. وكان عبارة عن اقدام تمشي متلصصة . وضغط ارمسترونــج على ذراع بلور ، ورفع لومبارد اصبعا محذرا وقال :

ـ صه . اسمعا .

وتكرر الصوت . كان هناك من يتحرك فوق في هدوء كبير . وتمتم ارمسترونج :

ـ انه في الغرفة في هذه اللحظة .. في الغرفة التي ترقد فيها مسز روجرز .

وقال بلور في صوت خافت : طبعا . ما كان في مقدوره ان يختار مخبأ افضل من هذا ، فما كان ليخطر لاحد ان يصعد اليه . ولكن لنصعد الان في سكون .

وصعدوا السلم بدون ضجة ، ووقفوا في البسطة الصغــيرة ، امام غرفة الخدم ، واصاخوا السمع . نعم .. كان هناك شخص في الغرفة . وتناهى اليهم من الداخل صرير خفيف .

وهمس بلور قائلا : هلموا بنا .

وفتح الباب على مصراعيه واندفع داخلا وخلفه الرجلان الاخران . ولكنهم توقفوا على الفور ، فقد رأوا روجرز امامهم ، ويداه محملتان بالثياب .

وكان بلور اول من استرد جأشه فقال :

ـ معذرة يا روجرز . اننا سمعنا صوتا في هذه الغرفة ، وحسبنا . وامسك عن الكلام ، فقال روجرز :

ـ ارجو المعذرة ايها السادة . كنت اجمع حوائجي . واظن انكم لــن تمانعوا في ان ارقد في الغرفة الصغيرة الشاغرة في الدور العلوي .

وكان يوجه الحديث الى الدكتور ارمسترونج ، فأجابه :

ـ هذا امر طبيعي . يمكنك ان تنتقل اليها يا روجرز .

تحاشى روجرز النظر الى الجثة المسجاة فوق الفراش وقال :

ـ اشكرك كثيرا يا سيدي .

وخرج الخادم من الغرفة ، حاملا ثيابه وهبط الى الدور الاول .

ومضى الدكتور ارمسترونج نحو الفراش ورفع الملاءة وفحص وجه الميتة الهادىء . كان الخوف قد تلاشى وأمحي من وجهها وحلت محله امارات هدوء العدم . وقال :

ـ مما يؤسف له انني لم آت معي بأدواتي ، فقد كنت أود ان اعرف نوع السم الذي تسبب في وفاتها .

ثم قال يحث زميليه : لنفرغ من عملنا ايها السادة . يخيل لي اننا لن نجد شيئا .

وبذل بلور جهدا كبيرا لكي يفتح باب حجرة صغيرة في أعلا السلم وقال :

ـ ان هذا الرجل يتنقل كالشبح . فقد رأيناه منذ دقيقتين في الشرفة ، ولم يسمعه اي واحد منا وهو يصعد السلم .

قال لومبارد : لعل هذا هو السبب في اننا تصورنا ان هناك رجلا غريبا يتحرك في هذه الغرفة .

واختفى بلور في غرفة صغيرة مظلمة ، واخرج لومبارد مصباحه الكهربي ، وتبعه .

وبعد خمس دقائق عاد الرجال الثلاثة الى البسطة الصغيرة يعلوهم الغبار وخيوط العنكبوت . وارتسمت على وجوههم امارات الخيبة الشديدة .

فلم يكن بالجزيرة غير ثمانية اشخاص ، ولم يكن يختبىء بها احد .

- ٩ -

قال لومبارد في بطء :

ـ وهكذا لم نجد احدا . اننا بنينا مأساة مذهلة من الخرافات والخيال . وكل هذا بسبب شخصين اتفق ان ماتا في وقت واحد .

قال ارمسترونج في صوت خطير : ومع ذلك فقد كانت استنتاجاتنا سليمة . عجبا !.. انني طبيب ، وافهم عندما يكون الامر انتحارا . لم يكن انتوني مارستون بالذي ينتحر طواعية .

ساله لومبارد : الا يمكن ان تكون وفاته قد وقعت عرضا .

قال بلور : انه ليكون امرا عجيبا عندئذ ، وبخصوص المرأة .
- مسز روجرز ؟
- نعم . ان موتها يمكن ان يكون قد وقع عرضا .
قال لومبارد : عرضا ؟.. وكيف ذلك ؟
بدا بلور متضايقا بعض الشيء ، كان وجهه الاحمر بلون الطوب قد تحول الى لون داكن ، وتمتم يقول :
- ولكنك اعطيتها دواء يا دكتور .
- دواء ؟.. ماذا تقصد ؟
- انت نفسك قلت مساء امس انك ستعطيها شيئا يساعدها على النوم .
- آه ، نعم . منوم غير ضار .
- ماذا كان هذا المنوم ؟
- انني اعطيتها جرعة صغيرة من التريونال ، وهو دواء لا خطر منه على الاطلاق .
ازداد اضطرام وجه بلور وقال : ولكن ، الا يمكن ان تكون قد اعطيتها جرعة كبيرة منه ؟
صاح الطبيب محنقا : ماذا تقول ؟
ولكن بلور لم يتأثر وقال في هدوء : من الممكن ان تكون اخطأت طبعا . ان مثل هذه الاخطاء تقع من وقت لآخر .
قال الدكتور في لهجة قاطعة : انني لم ارتكب اي خطأ ، وان هذا الايحاء لفظيع !
وأردف يقول في لهجة لاذعة وقد احمر وجهه لفرط الغضب :
- اتهمني صراحة بأنني اعطيت هذه المرأة جرعة قاتلة من التريونال !
تدخل فيليب لومبارد وقال يهدىء الرجلين :
- فليتمالك كل منكما نفسه ، ولا داعي لان يتهم بعضنا البعض .
قال بلور عابسا : انما احاول فقط ان أعرف اذا لم يكن الدكتور ارمسترونج قد اخطأ .
كشف الطبيب عن اسنانه في ابتسامة غير متكلفة وقال في غير مرح :
- ان الطبيب لا يمكن ان يسمح لنفسه بارتكاب مثل هذه الاخطاء الكبيرة يا صديقي .
قال بلور وهو يزن كلماته : انها ما كانت لتكون الغلطة الاولى على كل حال اذا صدقنا تلك الاسطوانة .

شحب وجه ارمسترونج . وتحول لومبارد الى بلور وقال غاضبا :

- ما معنى هذا الموقف التهجمي ؟ اننا جميعا في الهم سواء ، ويجب ان نساند بعضنا البعض . في مقدورنا نحن ايضا ان نستجوبك انت عن تلك الشهادة الكاذبة التي تكلم عنها صاحب الاسطوانة .

تقدم بلور خطوة وقد توترت قبضتاه ، وأجاب في صوت خشن :

- دعك من قصة الشهادة الكاذبة ، فهي ليست الا فرية . ومهما تكلمت انت فانك لن تمنعني عن الكلام يا مستر لومبارد . بل انني بحاجة الى بعض التفسيرات منك انت بالذات .

- مني انا ؟

- نعم . أود ان تقول لي لماذا تحمل معك مسدسا ، في حين انك اتيت هنا بصفتك مدعوا فحسب .

- انك فضولي جدا يا مستر بلور .

- هذا حقي يا مستر لومبارد .

وفجأة قال هذا الاخير : انك لست من الغباء كما يبدو عليك .

- هذا جائز . ولكن اجبني بخصوص هذا المسدس .

ابتسم لومبارد وقال : انني أتيت به معي لانني كنت أتوقع ان اقع على وكر من اللصوص .

قال بلور متشككا : ولكنك لم تقل لنا هذا امس ، لقد خدعتنا .

اجاب لومبارد : نعم ، نوعا ما .

- حسنا . قل لنا الحقيقة الان .

- قلت لكم امس انني مدعو هنا كجميع الاخرين . وليس هذا صحيحا، فالحقيقة ان رجلا يهوديا اسمه موريس اتصل بي وعرض عليّ مائة جنيه لكي آتي هنا وأفتح عيني . بل انه اردف يقول انني مشهور بأنني داهية في المواقف العصيبة .

قال بلور يستحثه : حسنا .

اجاب لومبارد متذمرا : هذا كل شيء .

قال ارمسترونج : لا ريب انه قال لك اكثر من هذا .

- كلا . لم استطع ان استخلص منه شيئا اخر . قال لي اما ان تقبل واما أن ترفض ، ولما كنت مفلسا فقد قبلت .

سأله بلور مشدوها : لماذا لم تخبرنا بكل هذا امس ؟..

- اي صديقي العزيز ، وكيف كان في مقدوري ان اعرف اذا لم يكن حادث الاسطوانة هو السبب في احضاري هنا ؟

وقال له الدكتور ارمسترونج في خبث : اما الان فأنت ترى الامـور بطريقة اخرى ؟..

تجهم وجه لومبارد وقال : نعم ، فانني ارى الان انني في نفس الموقف معكم جميعا ، وان المائة جنيه كانت الطعم الذي نصبه لي مستر اوين لكي اقع في الفخ مع الاخرين .

وبعد سكتة قصيرة استطرد يقول : لاننا وقعنا في الفخ حقا ، وانـي لعلى استعداد لكي أقسم على ذلك ، وان موت مسز روجرز وموت انتوني مارستون واختفاء التمثالين الصغيرين من فوق المائدة لخير دليل على ذلك. نعم .. ان يد مستر اوين ظاهرة في كل مكان ، ولكن اين يوجد مستر اوين هذا بحق الشيطان ؟..

ودق الجرس يدعو الجميع الى الغداء .

***

كان روجرز يقف على عتبة باب غرفة الطعام . وبينما كان الرجـال الثلاثة يهبطون السلم تقدم روجرز نحوهم ، وقال في شيء من القلق :

ـ ارجو إن يرضيكم طعام الغداء . يوجد جامبون بارد ولسان بـارد وبعض البطاطس ، ويوجد ايضا جبن وبسكويت وفواكه محفوظة .

قال ارمسترونج : هذه الاصناف تبدو لي مناسبة جدا . الديـك احتياطي كبير من الطعام ؟..

ـ نعم يا سيدي . وخصوصا المعلبات . ان المخزن مجهز من جميعه ، ومثل هذا الاحتياط ضروري في جزيرة يمكن ما بين يوم وآخر ان تعزلها عاصفة عن بقية العالم وقتا غير محدود .

قال لومبارد : هذا صحيح .

واستطرد يقول وهو يتبع الرجال الثلاثة داخل الغرفة : مما يؤسف له ان فريد فاراكوت لم يأت هذا الصباح . هذه كارثة .

دخلت مس برنت الغرفة ، وكانت لفيفة الصوف قد افلتت منهـا وراحت تلفها حول رسغها في عناية .

واقبل القاضي وورجريف بدوره ، وكان يتقدم في خطوات بطيئـة ثابتة . ونظر الى الرجال الثلاثة نظرات حادة ، وقال :

ـ ان يومكم كان مشحونا جدا .

وكان في صوته رنة من السخرية .

ودخلت فيرا كلايتون كالقنبلة . وكانت متقطعـــة الانفاس ، وقالت تعتذر :

ـ أرجو الا اكون قد ارغمتكم على الانتظار .. هل تأخرت ؟..

قالت اميلي برنت : انت لست الاخيرة ، فان الجنرال لم يأت بعد .

وجلس الجميع حول المائدة . وقال روجرز يخاطب مس برنت .

ـ هل اقوم بالخدمة الان حالا ام انتظر ؟

قالت فيرا : ان الجنرال ماك ارثر جالس على شاطىء البحر ، واخشى الا يكون قد سمع الجرس وهو في مكانه هذا . وعلى كل حال .

وترددت ثم قالت : يبدو انه ليس في حالته الطبيعية اليوم .

أسرع روجرز يقول : سأمضي لكي اخبره ان الغداء جاهز .

ولكن الدكتور ارمسترونج هب واقفا وقال : انا ذاهب اليه .

ولم يجد المدعوون الخمسة الذين يجلسون حول المائدة ما يتحدثـون به ، وفي الخارج ، راح الهواء يصفر بشدة ثم يعود فيهدأ ، وتنهدت فيرا وهي ترتجف ، وقالت :

ـ ها هي العاصفة قد بدأت .

ودار روجرز بالمائدة لكي يرفع الصحاف . وفجأة توقف والاطباق في يده ، وقال في صوت هلوع : انني اسمع شخصا يجري .

وفعلا ، سمع الجميع صوت خطوات مسرعة في الشرفة . وفي هذه اللحظة بالذات خمن الجميع تلقائيا ما حدث .

ونهضوا كلهم دفعة واحدة والتفتوا نحو الباب . ولم يلبث ان ظهر الدكتور ارمسترونج ، وكان مبهور الانفاس ، وتمتم يقول :

ـ الجنرال ماك ارثر ..

ـ مات ؟..

افلتت هذه الكلمة من بين شفتي فيرا .

ثم ساد صمت .. صمت طويل . وتبادل الاشخاص السبعة الموجودون في الغرفة النظر وهم لا يستطيعون النطق بكلمة واحدة .

***

وهبت العاصفة بينما كانوا يحملون جثة الجنرال داخل البيت ، وكان باقي المدعوين يقفون بالبهو .

في هذه اللحظة ، بدأ الهواء يصفر ويرعد ، ولم يلبث المطـــر ان راح

يهطل سيلا ، وبينما كان بلور وارمسترونج يصعدان السلم بحملهما تحولت فيرا فجأة ، ودخلت غرفة الطعام .

كانت الغرفة تبدو كما تركاها تماما . وكان الطعام لا يزال على المائدة لم يقربه احد .

ومضت فيرا نحو المائدة . وبعد بضع لحظات دخل روجرز خلسة ، واجفل عندما رأى الفتاة ، ثم نظر الى المائدة بعين فاحصة وهو يقول :

ـ انني اتيت لكي .. لكي ارى يا انسة .

وقالت فيرا في صوت قاس ادهشها هي بالذات : انك على حق يا روجرز .. ها انت ترى بنفسك انه لم يبق غير سبعة تماثيل .

***

القى الرجلان الجنرال ماك ارثر فوق فراشه ، وبعد ان فحص الدكتور ارمسترونج الجثة فحصا اخيرا غادر الغرفة وهبط ، ووجد الاخرين مجتمعين في الصالون .

كانت مس برنت تطرز ، اما فيرا كلايتون فقد وقفت بجوار النافذة ، وراحت تنظر الى المطر الذي يهطل كالسيل . وتربع بلور في مقعد ويداه فوق ركبتيه ، واخذ لومبارد يذرع ارض الغرفة جيئة وذهابا في انفعال في حين جلس القاضي وورجريف في اخر الغرفة وقد اطبق عينيه نصف اطباقة . ولكنه رفع جفنيه عندما دخل الدكتور ارمسترونج وقال في صوت واضح :

ـ حسنا يا دكتور ؟..

اجاب ارمسترونج وهو ممتقع اللون : ليست ازمة قلبية او اي شيء من هذا القبيل .. لقد ضرب ماك ارثر على مؤخرة راسه بآلة حادة .

ارتفعت تمتمة خفيفة . ومرة اخرى قال القاضي في وضوح :

ـ هل وجدت اداة الجريمة ؟..

ـ كلا .

ـ ولكنك تبدو واثقا مما تقول مع ذلك ؟..

ـ كل الثقة .

وقال القاضي في هدوء تام : اصبحنا الان نعرف موقفنا تماما .

لم يعد هناك شك الان . اخذ القاضي الكهل الموقف في يده . كان قد بقي في مقعده ، طوال الصباح جامدا لا يتحرك . اما الان فقد تولى دفة التحقيق بكل السلطة التي تبيحها له سنواته الطويلة ألتي قضاها في عمله ، صفوة القول بدأ يرأس المحكمة .

وتنحنح ، وبدأ الكلام قائلا : انني جلست صباح اليوم ايها السادة في الشرفة ، وتابعت تصرفاتكم وتحركاتكم . وقد فهمت نواياكم تماما ، فأنتم قد فتشتم الجزيرة بحثا عن قاتل مجهول .

قال فيليب لومبارد : هذا صحيح يا سيدي .

واستطرد القاضي يقول : لا ريب انكم تشاركونني الراي فيما يتعلق بموت انتوني مارستون ومسز روجرز ، فهما لم يموتا عرضا ، ولا يمكن القول بأنهما انتحرا . ولعلكم كونتم لانفسكم رأيا كذلك فيما يتعلق بنوايا مستر اوين باجتذابنا الى هذه الجزيرة .

صاح بلور في صوت أجش : انه مجنون .. مخبول .

سعل القاضي وقال : هذا هو الواقع ، ولكنه لا يغير شيئا من نتائج اعماله ، وعلينا ان نوحد جهودنا الان لكي ننجو بأنفسنا .

قال الدكتور ارمسترونج في صوت مضطرب : اؤكد لك انه لا يوجد احد في الجزيرة .. لا احد على الاطلاق .

داعب القاضي وجنته وقال في هدوء : لا احد بالمعنى الذي تفهمه انت . وقد توصلت ، انا نفسي ، الى هذه النتيجة صباح اليوم ، وقد كان في مقدوري ان اقول لكم انه لا جدوى من ابحاثكم ، ومع ذلك فانني مقتنع بأن مستر اوين .. ولنطلق عليه هذا الاسم الذي اختاره هو نفسه .. انني مقتنع بأنه موجود في الجزيرة ، وانني لمستعد على ان أقسم بحياتي على ما اقول . لقد صمم هذا الرجل على الاقتصاص من بعض الاشخاص الذين افلتوا من القانون ، ولا يمكن ان يملك غير وسيلة واحدة لكي ينفذ خطته ، وهي ان يختلط بضحاياه .. من رأيي ان مستر اوين واحد منا نحن .

***

ــ اوه ، كلا .. كلا .

نطقت فيرا بهذه الكلمات في احتجاج واهن ، كما لو كانت تتأوه . ورماها القاضي بنظرة ثاقبة وقال :

ــ اي ابنتي العزيزة ، ليس في مقدورنا الا ان ننحني امام الواقع . ان الوقت يمضي سراعا ونحن نتعرض لخطر داهم . واحد منا هو مستر اوين ، ولا ندري من هو . ومن الاشخاص العشرة الذين قدموا الى الجزيرة مات ثلاثة : انتوني مارستون ، ومسز روجرز ، والجنرال ماك ارثر . ولم يبق منا غير سبعة ، وواحد منا نحن السبعة هو مستر اوين كما سبق

ان قلت .

ولزم الصمت ، وردد البصر حوله . وقال الدكتور ارمسترونج :

ـ هذا غريب !.. ولكن لعلك على حق .

وقال بلور : ليس هناك اي شك في هذا . واذا اردتم الاستماع الي فانني اريد ان اقترح عليكم شيئا .

اوقفه القاضي وورجريف بحركة سريعة وقال : سوف نرى هذا حالا . اما الان فيهمني ان اعرف هل نحن متفقون في هذه النقطة ؟

قالت اميلي برنت وهي لا تزال تطرز : ان استنتاجك هذا يبدو لي منطقيا . نعم . ان واحدا منا يحركه الشيطان .

احتجت فيرا قائلة : ولكنني لا استطيع ان اصدق هذا .

قال وورجريف : وانت يا لومبارد ؟..

ـ انني اشاركك الراي يا سيدي .

اتى القاضي بايماءة من راسه في ارتياح وقال : لنستمع الان الى اقوالكم . واول كل شيء هل يجب ان نشتبه في احد على وجه الخصوص ؟.. مستر بلور ، اظن انك كنت تريد ان تقول شيئا ؟

تنفس بلور بصعوبة وقال اخيرا : ان مع لومبارد مسدسا ، وقد اخفى عنا هذه الحقيقة امس . وهو يعترف بذلك على كل حال .

ابتسم فيليب لومبارد في ازدراء وقال : اظن ان الحرص يدفعني الى ان افسر لكم موقفي مرة اخرى .

وتكلم في كلمات وجيزة ، وقال بلور عندما فرغ : وما هو الدليل الذي يمكنك ان تقدمه لنا على ما تقول ؟

سعل القاضي وقال : نحن جميعا في الهم سواء للاسف . لا يمكن لاي منا ان يؤيد ما يقول .

وانحنى الى الامام واستطرد قائلا : لا يبدو ان احدا منكم قد ادرك هذا الموقف العجيب . ومن ناحيتي انا ، لا ارى غير طريقة واحدة . هل منكم من يمكن ان نستبعده طبقا للاقوال التي لدينا .

اسرع الدكتور ارمسترونج قائلا : انا طبيب معروف جدا . ومجرد فكرة ان من الممكن ان اكون موضع اشتباه ..

اوقفه القاضي بحركة من يده وقال في صوت حاد : انا ايضا رجل مشهور جدا ، ولكن هذه النقطة لا تدل على شيء يا صديقي . لقد فقد اطباء كثيرون عقولهم ، واصيب قضاة معروفون بالجنون .

وأردف يقول وهو يتحول الى بلور : وكذلك بعض رجال البوليس .

قال لومبارد : مهما يكن فانه يطيب لي ان اعتقد ان السيدتين بعيدتين عن هذه الاتهامات .

رفع القاضي حاجبيه وقال بصوته الحاد الذي طالما سمعته قاعة المحكمة : هل يجب ان استنتج من قولك هذا ان النساء معصومة عن جنون الجريمة ؟..

اجاب لومبارد محنقا : كلا طبعا . ولكن يبدو ان من المستحيل .. وسكت . وتحول القاضي وورجريف الى الطبيب وخاطبه قائلا :

ـ أمن رايك يا دكتور ان المراة تملك من القوة البدنية ما يكفي لكي توجه الضربة التي قتلت ماك ارثر المسكين ؟..

اجاب الطبيب بكل هدوء : تماما ، اذا كانت تملك السلاح اللازم .. هراوة او مطرقة من الكاوتشوك .

ـ الا يتطلب ذلك مجهودا كبيرا من ناحيتها ؟..

ـ ابدا ..

هز القاضي راسه واستطرد يقول : ان الميتتين الاخريين حدثتا نتيجة لتناول السم ، وهذه نقطة لا يمكن مناقشتها ، وهي ان هذا العمل من الجائز ان يكون قد اقدم عليه شخص لا يتمتع بأية قوة بدنية .

صاحت فيرا في حدة : لا شك انك فقدت عقلك .

حول القاضي بصره اليها في بطء وشملها بنظرة الرجل الهادىء البارد الذي تعود على تقييم البشر . وفكرت هي تقول :

ـ ان هذا القاضي ينظر الي كما لو كنت موضع تجربة ..

وراودتها فكرة عجيبة حقا .. انه لا يحبني ابدا .

ونصحها القاضي وهو متمكن جدا من نفسه : اي آنستي العزيزة ارجوك ان تسيطري على مشاعرك . انني لا اتهمك (وانحنى نحو الانسة برنت) وارجو يا مس برنت الا يصدمك اصراري على اعتبار اننا جميعا نقع في دائرة الشبهة .

لم ترفع مس برنت راسها عن تطريزها واجابت في برود : ان مجرد فكرة اتهامي بانني تسببت في موت واحدة من بنات جنسي لتبدو سخيفة ومضحكة لكل من يعرف طبعي ، فما بالكم بموت ثلاثة اشخاص . بيد اني افهم الموقف ، وحيث ان كلا منا هنا غريب عن الاخر فلا يمكن ان ينجو احد من الشبهة ، ولا بد لكل منا ان يقدم الادلة القاطعة على براءته . وكما قلت لكم فان وحشا رهيبا يعيش بيننا .

قال القاضي : نحن اذن متفقون . سنقوم بالتحري بدون اي تحيز

لاحد ، ولن نقيم وزنا لاي واحد منا مهما كان مركزه الاجتماعي .

سأله لومبارد : وفيما يتعلق بروجرز ؟

قال القاضي دون ان يخفض عينيه : حسنا ؟..

اجاب لومبارد : من رايي اننا يجب ان نستبعد روجرز .

ـ ولماذا من فضلك ؟..

ـ لانه يفتقر اولا الى الذكاء لكي يقوم بمثل هذا العمل ، وثانيـــا لان زوجته كانت الضحية الاولى .

رفع القاضي حاجبيه الكثيفين مرة اخرى وقال : رأيت في شبابي اناسا يمثلون امامي في المحكمة متهمين بقتل زوجاتهم ، وثبتت اداناتهم بالادلة الدامغة .

ـ اوه . انني لا احاول ان أكذبك . من المحتمل ان يقتل رجل زوجته، وهذا امر طبيعي ، ولكن روجرز لا ينطبق عليه هذا الاحتمال ، واستطيع ان اسلم بأنه ربما قتل زوجته خوفا من ان تشي به او لانه كرهها او لكي يتزوج بفتاة صغيرة ، ولكنني لا استطيع ان ارى فيه مستر اوين الغامض الذي يقيم العدل على طريقته ويبدأ بأن يقتل زوجته لجريمة اشتركا في ارتكابها .

قال القاضي وورجريف : انكم كونتم رايكم هذا استنادا الى مـــا سمعتم عنهما . ولكننا لا نعرف اذا كان روجرز وزوجته قتلا سيدتهمـــا حقا . من الجائز ان تكون التهمة كاذبة ولا سبب لها الا وضع روجرز في نفس الموقف الذي وضعنا نحن فيه . وذعر مسز روجرز قد يكون مبعثه انها تحققت فجأة من جنون زوجها .

قال لومبارد : لك مطلق الحرية في ان تفكر هكذا . ولكننا معك في ان مستر اوين واحد منا دون اي استثناء .

ـ اعود فأقول انني لن استثني اي احد ، ولن اقيم اي وزن لشخصية اي احد او لمركزه الاجتماعي . والآن يهمني ان افحص حالة كل منـــا استنادا الى الحقائق ، وبمعنى اخر ، هل يوجد بيننا شخص او اكثر لم يكن باستطاعتهم دس السم لانتوني مارستون او وضع مخدر لمسز روجرز وضرب الجنرال ماك ارثر .

انبسطت اسارير بلور وانحنى الى الامام وقال :

ـ انك احسنت القول يا سيدي . لا بد لنا من تحري هذا الامر . وفيما يتعلق بأنتوني مارستون فانني لا ارى كيف نحدد الجاني . فقـــد سبق ان اثبتنا ان السم قد دسه احد من الخارج من خلال النافـــذة

المفتوحة في كاس مارستون قبل ان يصب فيها الشراب للمرة الاخيرة . وقد كان في مقدور اي شخص في الغرفة ان يدس السم في الكأس ولا اذكر هل كان روجرز موجودا داخل الغرفة في ذلك الوقت . ولكن جميع الاخرين كانوا متواجدين فيها .

واستطرد يقول بعد لحظة صمت :

ـ لننتقل الان الى مقتل مسز روجرز . هناك مشبوهان في هذه الجريمة بالذات وهما الزوج والطبيب .

نهض ارمسترونج وهو يرتجف وقال :

ـ انني احتج . هذا الايحاء غير متوقع ، واقسم انني لم اعط هذه المراة الا كمية من المخدر لكي ..

ـ دكتور ارمسترونج !

كان القاضي يدعو بصوته الضعيف الطيب الى مزيد من الاعتدال ، فسكت الطبيب في منتصف عبارته ، واستطرد القاضي يقول :

ـ ان سخطك طبيعي جدا ، ولكن لا شك انك تفهم انه لا بد لنا من مواجهة الحقائق .. كانت لديك انت وروجرز كل الامكانيات لاعطاء مسز روجرز الجرعة القاتلة . ولندرس الان موقف المدعوين الاخرين . ما هي الامكانيات التي كانت لدينا ، انا والمفتش بلور ومس برنت ومس كلايتون ومستر لومبارد لدس السم لها . هل يمكن ان نبرىء ساحة اي واحد منا. لا اظن ذلك .

صاحت فيرا غاضبة : لم اقترب من هذه المراة ، وكلكم تشهدون على ذلك .

فكر القاضي وورجريف لحظة ثم قال : اليكم ما حدث بقدر ما اذكر . وارجوكم ان تتفضلوا بتصحيح الخطأ اذا انا اخطأت . حمل انتوني مارستون ومستر لومبارد مسز روجرز الى الاريكة ، ومضى الدكتور ارمسترونج لفحصها . وارسل روجرز لكي يأتي ببعض البراندي . وعندئذ انشغلنا واردنا ان نعرف من اين اتى الصوت المتهم ومضينا الى الغرفة المجاورة فيما عدا مس برنت التي بقيت في الصالون .. وحدها مع المراة المغمي عليها .

اصطبغت وجنتا اميلي برنت والقت عنها تطريزها وقالت: هذا فظيع!

وعاد القاضي وورجريف يقول بصوته الحاد في غير رقة : وعندما عدنا الى هذه الغرفة كنت منحنية فوق المراة الممددة يا مس برنت .

اجابت اميلي برنت : اتكون الشفقة جريمة في عينيك ؟..

قال وورجريف : انما اكتفي بذكر الحقائق . وفي تلك اللحظة عاد روجرز بالبراندي ، ومن الجائز ان يكون قد دس به المخدر قبل ذلك . وشربت المراة الكأس ، وبعد ذلك بقليل ساعدها زوجها والدكتور ارمسترونج في الاستلقاء للنوم واعطاها الطبيب منوما .

قال بلور : هذا هو ما حدث . ونبقى بعد ذلك ، انا والقاضي ومستر لومبارد ومس كلايتون بعيدين عن كل شك .

نطق المفتش السابق بهذه العبارة في صوت قوي وفي لهجة الانتصار ، ونظر القاضي وورجريف اليه في برود وقال :

ـ آه ، هل تظن ذلك ؟ يجب ان نواجه اقل احتمال .

اتسعت عينا بلور وقال : انني لا افهمك .

قال القاضي وورجريف : استلقت مسز روجرز في فراشها وبدأ المنوم الذي اعطاه لها الدكتور ارمسترونج يأتي بمفعوله ، فنامت وفقدت كل ارادة لها . لنفرض ان احدا جاءها في هذه اللحظة وايقظها واعطاها قرصا او جرعة وهو يقول لها : ان الدكتور يريد ان تأخذي هذا الدواء . فهل تشكون لحظة واحدة في انها لم تزدرده بكل هدوء وبدون اي تفكير .

ساد صمت . وحرك بلور قدميه وتجهم جبينه ، وتكلم فيليب لومبارد فقال :

ـ لا استطيع ان اقبل هذه الرواية . لم يغادر احد الصالون ساعات طويلة ، بعد ان نقلت مسز روجرز الى غرفتها ، ثم حدثت بعد ذلك وفاة مارستون .

قاطعه القاضي قائلا : ربما غادر احدنا غرفة نومه فيما بعد .

تحرك الدكتور ارمسترونج في انفعال وقال : كلا . لقد هبط روجرز لكي يرفع الصحاف ويرتب المطبخ . وكان في مقدور اي احد ان يدخل غرفة مسز روجرز من غير ان يراه الباقون .

وقالت اميلي برنت : ولكن هذه المراة كانت مستغرقة في النوم من تأثير المخدر الذي اعطيته اياها يا دكتور ؟ .

ـ نعم ، طبقا لكل الاحتمالات . ولكننا لا نستطيع ان نتأكد من ذلك . اذا لم نصف الدواء للمريض فاننا لا نستطيع ان نتوقع رد الفعل الذي يحدث عنده . واحيانا يمر وقت طويل قبل ان يأتي المنوم بمفعوله . والامر كله متعلق بطبع المريض .

قال لومبارد : انك تقول لنا ما تريد ان تقول يا دكتور .

ومن جديد تجهم وجه ارمسترونج ، ومرة اخرى اوقف الصوت

الضعيف البارد الاحتجاج على شفتي الطبيب فقد قال القاضي :

ـ ان تبادل الشتائم والسباب لن يقودنا الى اية نتيجة . انما الحقائق وحدها هي التي تهم . وكل منا سيقول طواعية ان احدا منا قد استطاع ان يصعد الى غرفة مسز روجرز كما سبق ان قلت . واعترف لكم ان هذه النظرية ليست لها الا قيمة نسبية وان ظهور مس اميلي برنت او مس فيرا كلايتون امام المريضة ما كان ليثير عند هذه الاخيرة اية دهشة في حين لو ان احدا منا ، انا او لومبارد او بلور ظهر امامها لأثار ظهوره شكوك المرأة وريبتها .

سأله بلور : واين يقودنا كل هذا ؟..

داعب القاضي ورجريف شفتيه وقال في صوته البارد الهادىء : اننا درسنا الان ظروف الجريمة الثانية واثبتنا ان الشبهات تحوط بكل واحد منا .

وسكت سكتة قصيرة ثم سعل وقال : ونصل الان الى وفاة الجنرال ماك ارثر التي وقعت صباح اليوم ، وارجو كل من لديه دليل نفي منكم ان يعرضه علي في ايجاز ، وانا نفسي أعترف انني لا استطيع ان اقدم دليل نفي معقول ، فقد قضيت طوال الصباح جالسا في الشرفة افكر في الاحداث الغريبة التي مرت بنا منذ مساء امس في هذه الجزيرة .

«بقيت جالسا في الشرفة حتى سمعت رنين جرس الغداء ، ولكن كانت هناك اوقات كثيرة لم يهتم بي احد اثناءها ، وكان من السهل علي ان اهبط حتى ساحل البحر وان اقتل الجنرال ثم اعود الى مكاني ثانية . واؤكد لكم انني لم ابرح مكاني مطلقا» .

قال بلور : اما انا فقد كنت مع مستر لومبارد والدكتور ارمسترونج، وكل منهما يمكن ان يشهد بذلك .

قال الدكتور ارمسترونج : ولكنك عدت الى البيت لكي تبحث عن حبل .

قال بلور : هذا صحيح . ولكنني لم ازد عن الذهاب والاياب .

ـ بل اخذت وقتا طويلا .

احمر وجه بلور وصاح : ماذا تقصد بحق الشيطان يا دكتور .

عاد ارمسترونج يقول : اقول فقط انك اخذت وقتا طويلا في هذه المهمة .

ـ كان لا بد لي من ان ابحث عن الحبل ، فلم يكن من المعقول ان اجد الحبل الذي نريده بالذات في دقيقة واحدة .

تدخل القاضي وورجريف وقال موجها الحديث اليهما :

- هل بقيتما معا اثناء غياب المفتش بلور ؟..

- بحثت عن افضل مكان لكي ارسل اشارات شمسية الى الشاطىء، ولم اغب اكثر من دقيقة او دقيقتين لانني لم اجد مكانا مناسبا لذلك .

هز الدكتور ارمسترونج راسه موافقا وقال : هذا صحيح . لم يتغيب ما يكفي من الوقت لكي يرتكب جريمة قتل .

قال القاضي : هل نظر احدكما الى الساعة عندئذ ؟..

- اذا اردت الحق فلا .

واردف لومبارد يقول : ثم انني لا احمل ساعة ابدا .

قال القاضي في صوت رتيب : ان دقيقة او دقيقتين لامر مبهم .

ثم تحول الى مس برنت بعد ذلك ، وكانت جالسة معتدلة القامة ، وتطريزها فوق ركبتيها وقال :

- وانت يا مس برنت ؟.. ماذا فعلت صباح اليوم ؟..

- انني مضيت الى قمة الجزيرة مع مس كلايتون ، ثم جلست بعد ذلك في الشرفة لكي اتدفأ تحت اشعة الشمس .

قال القاضي : ولكنني لا اتذكر انني رايتك .

- ليس هذابالامر الغريب ، فقد جلست في الزاوية الشرقية من البيت ، بعيدا عن التيارات الهوائية .

- وهل بقيت مكانك هذا حتى دق الجرس ؟..

- نعم يا سيدي.

- وانت يا مس كلايتون ؟..

اسرعت فيرا تقول في صوت واضح : انني تنزهت صباح اليوم مع مس برنت فعلا ، ثم اخذت اتمشى في الجزيرة ، وجلست مع الجنرال ماك ارثر حيث تبادلت الحديث معه .

قاطعها القاضي قائلا : وكم كانت الساعة عندئذ ؟..

ولاول مرة تهربت فيرا من الرد اذ قالت :

- لا ادري . قبل موعد الغداء بساعة تقريبا . او قبله بقليل .

سألها بلور : اكان ذلك قبل حديثنا معه او بعده ؟..

- لا ادري . وجدت امره غريبا على كل حال .

قال القاضي : وما وجه الغرابة ؟..

اجابت فيرا في صوت خافت : قال لي اننا سنموت جميعا ، وانه ينتظر النهاية ، وقد اخافني .

هز القاضي راسه واستطرد يقول : وماذا فعلت بعد ذلك ؟..

ـ عدت الى البيت ثم خرجت على الفور قبل الغداء وذهبت خلف البيت . احسست طوال اليوم بانفعال كبير .

داعب القاضي وورجريف ذقنه وقال : لم يعد امامنا الا ان نسأل روجرز ، ولا اظن ان شهادته ستضيف شيئا .

ونودي روجرز امام هذه المحكمة الخاصة ، ولكنه لم يستطع ان يقول الكثير ، انه قضى كل الصباح في اعمال البيت واعداد الطعام . وبعد الغداء قدم الكوكتيل في الشرفة ثم صعد الى غرفته ، وجمع حوائجه ونقلها الى غرفة صغيرة بالدور الاول ولم يلق نظرة واحدة من النافذة طوال الوقت ، وبناء على ذلك لا يعرف شيئا يمكن ان يلقي الضوء على وفاة الجنرال ماك ارثر .

وعندما فرغ الخادم من اقواله خيم صمت عميق في الصالون ، وتنحنح القاضي وورجريف ثم قال : اننا تحرينا الظروف التي دارت بهذه الوفيات الثلاث . وهناك احتمالات كثيرة تدور حول البعض منا ، ولكننا لا نستطيع ان نقول مع ذلك بصفة قاطعة ان الاخرين ابرياء تماما . وانني اعود فأقول انه يوجد بيننا ، نحن السبعة ، قاتل خطر ومجنون دون اي شك . ولا نستطيع ان نعرف من هو هذا الشخص ، كما اننا لا نستطيع ، في الوقت الحالي ، الاتصال بالشاطىء لطلب النجدة ، ولكن اذا تأخرت هذه النجدة ، وحالة الطقس الحالية تدل على انها ستتأخر ، فلا بد لنا من اتخاذ الاحتياطات اللازمة لتأمين سلامتنا .

واكون شاكرا لكم لو انكم فكرتم في كل هذا واطلعتموني على اقتراحاتكم ، وفي اثناء ذلك اوصى كلا منكم ان يكون على حذر ، فان مهمة القاتل حتى الان كانت سهلة جدا لان ضحاياه لم يشكوا في شيء . ولكن الواجب يهيب بنا الان ان يشك كل منا في الاخرين . والرجل الحذر لا يمكن ان يأخذ على غرة . لا داعي للمجازفة ، وتجنبوا كل خطر . هذا ما لدي في الوقت الحاضر .

همس فيليب لومبارد يقول ساخرا : رفعت الجلسة .

- ١٠ -

قالت فيرا : هل تظن ان هذا صحيح ؟

كانت جالسة على المقعد الصغير بجوار النافذة ، في غرفة الصالون .

وكان المطر يهطل كالسيل والهواء يصفر ويرتطم بالالواح الزجاجية .

واحنى فيليب لومبارد راسه جانبا قبل ان يقول : هل تسألينني اذا كان صحيحا ما يؤكده القاضي وورجريف من ان مستر اوين لا بد ان يكون واحدا منا ؟

ــ نعم .

ــ من الصعب ان أرد عليك يا انسة . ان المنطق يقول انه على حق ، ومع ذلك ..

وانتزعت فيرا الكلمات من بين شفتيه انتزاعا فقال :

ــ ومع ذلك فان الامر يبدو بعيد الاحتمال ولا يمكن تصديقه . ان القصة كلها عجيبة ، ولكن وضحت نقطة بعد موت ماك ارثر على كل حال، وهي اننا لسنا امام حوادث قتل وقعت قضاء وقدرا او حالات انتحارية . وانما امام جرائم ، ثلاث جرائم قتل .

سرت الرعشة في بدن فيرا وقالت : يخيل لي انني اعيش كابوسا . وما زلت أعتقد ان مثل هذه الامور مستحيلة الوقوع .

ــ انني افهمك .. اننا نرى كل هذا في منام ، ولن نلبث ان نسمع طرقا على الباب ، فتدخل الخادمة وبين يديها صينية الشاي .

صاحت فيرا : آه .. ليتك تقول حقا !

واردف فيليب لومبارد يقول في خطورة : مما يؤسف له اننا مشتركون جميعا في هذا الكابوس الرهيب ، ولا بد لكل منا ان يكون في منتهى الحذر الان .

وقالت فيرا وهي تخافت من صوتها : لو .. لو انه واحد منا ، فمن تظنه يكون ؟

ضحك لومبارد في سخرية وقال : ارى انك استثنيتنا نحن الاثنين، وانني أوافقك على ذلك ، فانني أعرف تماما انني لست القاتل . اما انت يا فيرا فانني اعتقد انك سليمة العقل ، بل انك اذكى واعقل فتاة عرفتها ، واقسم على ذلك بشرفي .

اجابت وهي تبتسم ابتسامة خبيثة : اشكرك يا مستر لومبارد .

ــ ولكن الا تردين لي المجاملة يا مس فيرا كلايتون .

اجابت فيرا بعد تردد يسير : ولكنك اعترفت انت نفسك بانك لا تعلق اية اهمية على حياة البشر . ومع ذلك فلا اظن انك انت الذي سجلت تلك الاسطوانة .

ــ انك على حق ، فلو انني فكرت في ارتكاب جريمة قتل او عدة جرائم

فلن أفعل ذلك الا في سبيل المنفعة المادية ، فلست ارى اية فائدة في مثل هذا القصاص الجماعي . اتفقنا اذن . لنستبعد كلا منا من قائمة المشبوهين ولنركز اهتمامنا في زملائنا الخمسة . من منهم مستر اوين ؟.. انني لاول وهلة ، ودون اي دليل اراهن على انه هو وورجريف .

صاحت فيرا مشدوهة : اوه ..

ثم سألته بعد لحظة تفكير : لماذا ؟..

ـ لا ادري بالضبط . اول كل شيء لانه رجل مسن ، ولانــه راس المحاكم طوال سنوات . وبقول اخر انه قام بدور اله العدل والانتقام بضعة شهور من كل سنة ، وهذه السلطة المقدسة يحتمل ان تدير راس كثير من الرجال ، ولعل وورجريف حسب نفسهانه العلي القدير وان في يده حياة البشر وموتهم ، فاختل عقله واعتبر نفسه القاضي الاعلى والجلاد .

قالت فيرا : هذا جائز جدا .

ـ وما رأيك انت فيمن يكون مستر اوين ؟..

اجابت فيرا دون اي تردد : اظن انه الدكتور ارمسترونج .

اطلق لومبارد صفيرا يدل على دهشته ، وقال : الطبيب ؟.. انه اخر شخص كنت أفكر فيه .

هزت فيرا راسها وقالت : ابدا . لقد مات شخصان بالسم ، والسم يشير الى الطبيب ، ثم انك لا تستطيع ان تنكر ان الدكتور ارمسترونج هو الذي قدم المنوم لمسز روجرز .

قال لومبارد : الواقع ان هذا صحيح .

أصرت فيرا على اتهامها وقالت : وعندما يصاب الطبيب بالجنون فانه يتعذر اكتشاف ذلك . ولكن كثيرين من الاطباء يرهقون انفسهم فيختـل منهم العقل .

قال فيليب : اتفقنا . ولكنني لا أعتقد ان ارمسترونـج استطاع ان يقتل الجنرال ماك ارثر ، فانه لم يجد الوقت الكافي لذلك اثناء الفتـرة القصيرة التي تركته فيها وحده .. الا اذا كان قد راح يعدو كالارنب ثم أسرع بالعودة كذلك ، بيد ان قلة مرانه الطبيعي لا يسمح له ان يقوم بمثل هذا العمل .

ولكن فيرا قالت في اصرار : انه لم يقتله في ذلك الوقت ، وانمـا عرضت له الفرصة لذلك فيما بعد .

ـ متى ؟..

ـ عندما مضى لكي يدعوه للغداء .

راح فيليب يصغي في هـــدوء ثم قال : انت تظنين اذن انه ارتكب الجريمة عندئذ ؟.. لو ان ذلك صحيح فانه ليكون رجلا مجازفا .

قالت فيرا في فروغ صبر : وفيم المجازفة ؟.. لا احد بيننا على دراية طبية غيره ، وفي استطاعته ان يقسم ان الوفاة قد وقعت قبل ذلك بساعة دون ان يخالفه احد .

نظر فيليب الى الفتاة في تفكير وقال : اهنئك . ان تفسيرك هذا يدل على براعة كبيرة منك ، وانني لأتساءل ..

– من هو القاتل يا مستر بلور ؟.. أود لو ان اعرفه ..

كان روجرز يبدو قلقا مهموما . واجابه المفتش السابق بلور : هذا هو السؤال الذي القيه على نفسي يا صاحبي .

– لقد قال وورجريف انه واحد منا ، ولكن من هو ؟ هذا ما اريـــد معرفته .. من هو هذا الشيطان الذي على صورة البشر ؟

– اننا نود جميعا ان نعرف ذلك .

قال روجرز في اصرار : ولكن لا ريب ان لديك فكرة يا مستر بلور .. اليس كذلك ؟..

اجاب بلور : ربما . ان لدي شكوكا . ولكنني لست متأكدا ، وقـــد اكون مخطئا ، ولكن حتى اذا لم اكن كذلك فان الشخص الذي اشك فيه جريء .. جريء جراة الشيطان .

جفف روجرز العرق الذي يسيل فوق جبينه وقال في صوت أجش: كل هذا يبدو كالكابوس .

سأله بلور وهو ينظر اليه نظرة غريبة : وانت يا روجرز .. الديــك فكرة ؟..

هز الخادم رأسه وقال : لا ادري .. لا ادري ابدا .. وهذا هو مـــا يخيفني اكثر من اي شيء .. فيمن استطيع ان اشك ؟

صاح الدكتور ارمسترونج محنقا : لا بد لنا من الخروج من هنا .

نظر القاضي وورجريف من نافذة غرفة التدخين نظرة حالمة . كـــان يلهو بشريط نظارته . وقال :

– لا ازعم انني استطيع التنبؤ بالاحوال الجوية ، ولكن يبدو لي ان الاحتمال قليل في قدوم اي مركب الى الجزيرة قبل اربع وعشرين ساعة، حتى ولو عرف الاهالي الموقف المفجع الذي نعانيه ، وذلك على شرط ان تهدأ الرياح .

دفن الدكتور ارمسترونج رأسه بين يديه وقال : وفي اثناء ذلك فقد

يقتلنا مستر اوين جميعا ونحن نيام .

اجاب القاضي وورجريف : انا لست متشائما مثلك ، وسأتخذ كل الاحتياطات الممكنة لكي اتجنب هذا المصير .

فكر الدكتور ارمسترونج ان مستر وورجريف ، على الرغم من السن المتقدمة التي بلغها ، يتشبث بالحياة اكثر مما يتشبث بها من هم أصغر منه سنا . وقد لاحظ هذه الظاهرة كثيرا في حياته الطبية . وهو نفسه يصغر القاضي بنحو عشرين سنة ، ولكن غريزة البقاء عنده تبدو له أقل حدة ومضاء . وقال في صوت مسموع :

ـ وقد قتل ثلاثة منا حتى الان .

قال وورجريف : هذا صحيح . ولكن لا تنس انهم اخذوا على غرة ، بينما اصبحنا نحن على حذر .

قال ارمسترونج في مرارة : ولكن ماذا نستطيع ان نفعل ؟..

اجاب وورجريف : انني سأتخذ اجراءات كثيرة .

ـ ولكننا لا نعرف ممن ينبغي ان نكون على حذر .

داعب القاضي ذقنه وتمتم يقول : لن اقول مثل هذا القول .

حدق ارمسترونج فيه وقال : اذن فأنت تعرف من هو ؟..

قال القاضي وورجريف في حذر : اذا تكلمنا عن الادلة التي تمكن ان تعترف بها المحكمة فانني اعترف بأنني لا املك شيئا منها ، ولكنني اذا راجعت الحقائق كما يجب فانني استطيع ان اهتدي الى القاتل تماما .

صاح ارمسترونج وهو لا يزال محدقا في القاضي : انني لا افهم .

اوت مس اميلي برنت الى غرفة نومها وأخذت انجيلها وجلست بجوار النافذة ، وفتحت الكتاب ولكنها ترددت دقيقة ثم وضعته جانبا ، ومضت الى منضدة الزينة وفتحت احد أدراجها ، وأخذت منه دفترا صغيرا ذا جلدة سوداء فتحته وراحت تكتب :

«وقع الان مصاب كبير ، فقد مات الجنرال ماك ارثر ، وليس هناك اي شك في انه مات مقتولا . وبعد ان فرغنا من الطعام القى القاضي محاضرة صغيرة على جانب من الاهمية . انه مقتنع بأن الجاني واحد منا ، وبمعنى اخر ، ان واحدا منا به مس من الشيطان وانا واثقة من ذلك ... ولكن من عساه يكون ؟.. هذا هو السؤال الذي يدور في ذهن كل منا . ولكنني ، انا وحدي اعرف» ..

وبقيت لحظة لا تتحرك ، وقد غشيت عيناها سحابة ، وارتجف القلم في يدها ثم كتبت في خط كبير واضح :

«ان القاتلة تدعى بياتريس تيلور» .

واطبقت عينيها .

وفجأة افاقت وهي ترتجف ، ونظرت الى الدفتر المفتوح امامها ، واطلقت صيحة غاضبة وهي تقرأ العبارة الاخيرة ثم تمتمت تقول :

ـ هذا غير ممكن . هل انا التي كتبت هذا ، لا ريب انني سوف اجن.

***

اشتدت العاصفة حدة ، وراحت الرياح تصفر حول البيت .

وكانوا قد اجتمعوا جميعا في الصالون الصغير ، وراح كل منهم ينظر الى الاخر خلسة .

وعندما دخل روجرز وبين يديه صينية الشاي أجفل الجميع ، وقال:

ـ هل يجب ان أسدل الستائر ؟.. سوف يزداد المكان ظلمة .

واذ ردوا بالايجاب أسدل الستائر واضاء النور فأشاع البهجة في الغرفة على الفور وتلاشت الظلال . غدا سوف تهدأ العاصفة ويأتي الزورق .

قالت فيرا كلايتون : هل لك ان تصبي الشاي يا مس برنت ؟..

اجابت العانس العجوز : كلا . ارجو ان تصبيه انت يا عزيزتي .. ان الابريق ثقيل جدا .. ثم انني فقدت لفيفتين من الصوف الرمادي ، وهذا الامر وحده يثير قلقي .

اقتربت فيرا من المائدة وراحت تصب الشاي . وبدا ان كل شيء قد استعاد مجراه الطبيعي ، فان الشاي بالنسبة للانجليز عادة مقدسة . ونطق فيليب لومبارد بمزحة رد عليها بلور في مرح . وروى الدكتور ارمسترونج نادرة مضحكة وراح القاضي وورجريف يحتسي الشاي في سرور ظاهر مع انه كان يكرهه عادة .

وفي وسط هذا الجو المرح ، اقبل روجرز ، وكان مقلوب السحنة . وقال في انفعال :

ـ معذرة سيداتي ، سادتي . هل يعرف احدكم ماذا حدث لستارة غرفة الحمام .

رفع لومبارد راسه على الفور وقال : ستارة غرفة الحمام ؟.. ما هذا الذي تقول يا روجرز ؟..

ـ انها اختفت يا سيدي . لم تعد في مكانها امام النافذة . كنت أدون

بالغرف لاسدال الستائر ولم اجد ستارة غرفة الحمام .

سأله القاضي وورجريف : هل كانت موجودة صباح اليوم ؟..

ـ اوه .. نعم يا سيدي .

ـ ومن اي نوع هي ؟..

ـ من الحرير الاحمر .. كانت تنسجم مع بلاط الغرفة الاحمر .

سأله لومبارد : واختفت ؟..

ـ نعم يا سيدي .

تبادل المدعوون النظر ، وقال بلور في بطء : لا اهمية لهذا على كل حال . ان اختفاءها عجيب .. ككل شيء هنا . ولكن لا داعي للقلق . لا يمكن قتل احد بستارة من الحرير .. فلنفكر الان في شيء اخر .

قال روجرز : حسنا يا سيدي . شكرا .

وخرج ، واغلق الباب خلفه .

وفي الصالون ، خيم الخوف من جديد . ومرة اخرى ، راح المدعوون يختلسون النظر الى بعضهم البعض .

وجاءت ساعة العشاء ، وتناولوا الطعام . وكان مكونا من المعلبات . ورفعت البقايا سريعا .

وخيم في الصالون ، بعد ذلك ، جو من التوتر غير محتمل .

وفي الساعة التاسعة نهضت اميلي برنت وقالت : سأذهب لكي انام .

وقالت فيرا : وانا ايضا .

وصعدت المرأتان السلم يرافقهما لومبارد وبلور . ووقف الرجال على البسطة ينظر الى فيرا كلايتون واميلي برنت يدخلان الى غرفتيهما . وسمعا صوت المزلاجين خلف البابين ، كما سمعا صوت المفتاحين وهما يدوران من الداخل .

وقال بلور في سخرية : لم نكن بحاجة الى ان ننصحهما بايصاد بابيهما .

وقال لومبارد : انهما في امان الليلة على كل حال .

وهبط السلم ، وتبعه الاخر .

***

وأوى الرجال الى غرفهم بعد ساعة ، وصعدوا في وقت واحد . ونظر روجرز وهو واقف في غرفة الطعام حيث كان يعد المائدة لافطار الغد ، نظر

اليهم وهم يصعدون وسمعهم يتوقفون عند اول بسطة . وارتفع صوت القاضي يقول :

ـ لا داعي لان انصحكم ايها السادة بأن تغلقوا ابوابكم جيدا .

وعقب بلور يقول : ولا تنسوا ان تضعوا مقعدا تحت الاكرة ، فان في الامكان فتح الباب من الخارج .

قال لومبارد : انك ادرى منا بكثير حقا يا عزيزي بلور .

وقال القاضي في صوت خطير : طابت ليلتكم ايها السادة . أتمنى أن نكون غدا صباحا سالمين ومعافين .

***

خرج روجرز من غرفة الطعام وصعد السلم في هدوء . ورأى الرجال الاربعة يختفون خلف ابوابهم . وسمع كلا منهم يضع المزلاج ويدير المفتاح فتمتم يقول :

ـ هذا احتياط جميل .

ثم هبط الى غرفة الطعام .

لقد فرغ الان من اعداد كل شيء من اجل الصباح . وتأخرت عينه على وسط المنضدة ، واحصى التماثيل الصغيرة فاذا بها سبعة . وقطب جبينه وهو يقول :

ـ سأحرص على الا يقدم احد على اية مزحة اثناء الليل .

واجتاز الغرفة واغلق الباب المؤدي الى المطبخ بالمفتاح ثم مضى الى البهو من الباب الاخر واغلقه هو الاخر بالمفتاح ووضع المفتاح في جيبه .

واطفأ الانوار بعد ذلك ثم مضى الى غرفته في خطوات خفيفة .

لم يكن في هذه الغرفة غير مكان واحد يمكن الاختفاء فيه وهو الدولاب الكبير . واسرع بفحصه على الفور ثم اغلق الباب بالمفتاح والمزلاج ، واستلقى فوق الفراش وهو يقول :

ـ لن يلمس احد التماثيل الصغيرة الليلة ، فقد احتطت للامر .

- ١١ -

استيقظ فيليب لومبارد في ذلك الصباح في الفجر كعادته . واعتمد

على مرفقه وارهف السمع . كانت الرياح قد هدأت بعض الشيء ، ولكنها كانت لا تزال تعصف . بيد انه لم يسمع صوت هطول امطار .

وعادت الرياح فاشتد عصفها من جديد ، ولكن لومبارد كان قد غرق في النوم .

وفي الساعة التاسعة والنصف جلس على فراشه ونظر الى المنبه ثم قلب شفتيه وكشف عن اسنانه في ابتسامة اشبه بتكشيرة الذئب ، وتمتم يقول :

ـ آن الاوان لوضع حد لكل هذه الجرائم .

وفي الساعة العاشرة الا خمس وعشرين دقيقة كان يطرق باب بلور الموصد بالمفتاح .

واقبل مفتش البوليس السابق وفتح الباب في حذر . وكان شعره لا يزال مشعثا ، وجفناه وارمين من اثر النوم ، وقال له فيليب لومبارد في رفق :

ـ هل ستقضي طوال النهار نائما ؟.. هذا دليل على انك ناعم البال .

سأله بلور : ماذا حدث ؟..

ـ الم يأت روجرز لايقاظك ومعه الشاي ؟ هل تعرف كم الساعة الان ؟.

استدار بلور ونظر الى المنبه الموضوع بجوار الفراش وقال : العاشرة الا الثلث !.. ما كان يخطر ببالي انني سأظل راقدا كل هذه المدة . اين روجرز ؟.

ـ سأرد عليك بنفس السؤال .

ـ ماذا تعني ؟..

ـ اعني انني لا ادري اين هو . انه ليس في غرفته ، ولا في المطبخ ، والغلاية ليست على النار ، بل انه لم يشعل النار في المطبخ على الاطلاق .

كتم بلور غضبه وقال في صوت عال : واين هو بحق الشيطان . لا ريب انه يتمشى في الجزيرة . انتظر حتى ارتدي ثيابي . وفي هذه الاثناء ، يمكنك ان تسأل عنه الاخرين .

وسار فيليب لومبارد نحو الابواب الموصدة .

ووجد الدكتور ارمسترونج وقد فرغ من ارتداء ثيابه تقريبا .. اما القاضي وورجريف فقد انتزع من نومه كما انتزع بلور . وكانت فيرا كلايتون قد استعدت للهبوط ، اما اميلي برنت فلم تكن في غرفتها .

وقامت الجماعة الصغيرة بتفتيش البيت . كانت غرفة روجرز شاغرة، كما قال لومبارد ، وكان الفراش غير مرتب ، وموس الحلاقة والصابون

والمنشفة لم تجف بعد . وقال لومبارد :

ـ لقد صحا روجرز من نومه كالمعتاد .

وقالت فيرا في صوت خافت وهي تحاول ان تخفي انفعالها :

ـ الا تظنون انه يختبيء في مكان ما ويراقبنا ؟..

قال لومبارد : لا شيء يمكن ان يثير دهشتي بعد اليوم يا صديقتي العزيزة . من الاوفق ان نبقى جنبا الى جنب طالما لم نعثر عليه .

قال الدكتور ارمسترونج : من رأيي انه ربما تفرغ لعمل ما في الجزيرة.

وانضم بلور اليهم بعد ان ارتدى ثيابه ، ولكن دون ان يحلق لحيته وقال :

ـ اين مس برنت ؟.. أهو سر اخر ؟..

وفيما هم يهبطون الى البهو دخلت اميلي برنت من الباب العمومي ، وكانت تلبس معطفا واقيا من المطر ، وقالت :

ـ ان البحر هائج هذا الصباح ، ولا اظن ان الزورق يمكن ان يقترب من الجزيرة اليوم .

سأل بلور العانس العجوز فقال : هل خرجت الى الجزيرة وحدك ؟

اجابت اميلي برنت : اطمئن يا مستر بلور ، فقد كنت شديدة الحذر واليقظة .

ـ الم ترى روجرز في مكان ما ؟..

قطبت العانس جبينها وقالت : روجرز ؟.. كلا . لم اره هذا الصباح . لماذا ؟..

هبط القاضي وورجريف السلم في هذه اللحظة وقد استيقظ تماما. وكان قد حلق ذقنه ولبس طاقم اسنانه . وسار نحو الباب المفتوح لغرفة الطعام وقال :

ـ آه .. ان المائدة معدة للافطار .

قال لومبارد : لا ريب ان روجرز اعدها مساء امس .

ودخلوا جميعا الغرفة ، ونظروا الى الاطباق والفضيات الموضوعة فوق المائدة بنظام دقيق ، والاقداح المعدة للقهوة واللبن الساخنين .

وكانت فيرا اول من لاحظت الامر فأمسكت القاضي من ذراعه في حدة وهي تصيح :

ـ التماثيل !.. انظر .

لم يكن بأحد منها فوق المائدة غير ستة فحسب .

***

وجدوه ، بعد بحث قصير ، في غرفة الغسيل في الناحية الاخرى من الفناء . وكان قد اقتطع بعض الخشب لاشعال النار في المطبخ ، ولا يزال يمسك بالبلطة الصغيرة في يده ، وبجواره ، لصق الباب ، بلطة اكبر حجما حدها ملوث بالدم ، ولم يكن هناك اي شك في انها هي التي تسببت في الجرح الكبير الذي في راسه .

وقال الدكتور ارمسترونج : ان الامر سهل جدا . لقد تسلل القاتل خلفه ، ورفع البلطة الثقيلة وتركها تقع على رأس روجرز في اللحظة التي انحنى فيها .

فحص بلور مقبض البلطة ورش عليه بعضا من مسحوق الدقيق بحثا عن اثر لبصمات الاصابع . وقال القاضي يخاطب الدكتور ارمسترونج :

ـ هل لا بد للقاتل ان يتمتع بقوة بدنية كبيرة لكي يضرب مثل هذه الضربة ؟..

اجاب ارمسترونج بكل جد : يمكن لامراة ان توجه مثل هذه الضربة .

والقى الطبيب نظرة حوله . كانت فيرا كلايتون واميلي برنت قد ذهبتا الى المطبخ ، فاستطرد يقول :

ـ وفي مقدور الفتاة ان تفعل ذلك بكل سهولة لانها قوية العضلات ، اما مس برنت فتبدو هشة ، ولكن هذا النوع من النساء يتمتع بقوة عصبية كبيرة ، ولا تنس ان الشخص المصاب بالجنون يمكن ان يظهر قدرا من الطاقة غير متوقع .

هز القاضي راسه في تفكير ، واعتدل بلور في وقفته وقال : لا يوجد اي اثر لبصمات الاصابع . لقد حرص القاتل على ان يمسح المقبض بعد جريمته .

وارتفعت ضحكة خلفهم فالتفتوا وراوا فيرا كلايتون واقفة في وسط البهو وقد غلبتها ازمة من الضحك وراحت تصرخ في صوت حاد :

ـ هل يوجد نحل في هذه الجزيرة ؟.. قولوا لي اين نجد العسل ؟.. ها .. ها ..

نظروا اليها وهم لا يفهمون . وخيل اليهم ان هذه الفتاة العاقلة المتزنة قد أصيبت بالجنون فجأة ، وراحت تصرخ بأعلى صوتها :

ـ لماذا تنظرون الي هكذا ؟.. هل تحسبونني مجنونة ؟.. ان سؤالي عادي جدا .. نحل .. وخليات نحل .. نحل .. ألا تفهمون ؟. ألم تقرأوا اغنية الاولاد .. ولكنها موجودة في غرف نومكم مع ذلك . ولو اننا فكرنا لحظة واحدة لأتينا الى غرفة الغسيل مباشرة حيث كان روجرز يقتطع الخشب .. سبعة اطفال هنود راحوا يقتطعون الخشب بالبلطة .. والمقطع التالي .. اوه ، انني أعرف الاغنية كلها عن ظهر قلب .. ستة اطفال هنود اخذوا يلعبون حول خلية نحل .. ولهذا السبب اسألكم هل يوجد نحل في هذه الجزيرة .. اوه ، ما أغرب هذا .. يا الهي !

وارتفعت ضحكتها الجنونية من جديد ، وتقدم الدكتور ارمسترونج خطوة الى الامام ورفع يده وصفعها بها على وجهها صفعة قوية .

لهثت فيرا وأخذتها غصة ، وازدردت ريقها ، وقالت بعد لحظة من الجمود : اشكرك يا دكتور .. أشعر الان بانني على ما يرام .

وعاد صوتها الى هدوئه . واستردت فيرا كلايتون اتزانها واعتدالها كمدرسة ألعاب رياضية ، واستدارت نصف استدارة ومضت الى المطبخ وهي تقول :

ـ سأعد انا ومس برنت طعام الافطار . هل يمكنكم ان تأتوا معكم ببعض الخشب لاشعل النار .

وكانت أصابع الطبيب قد خلفت آثارا حمراء على وجنة فيرا .

وفيما هي تختفي في المطبخ قال بلور لأرمسترونج : حسنا يا دكتور .. انك عنيف في تصرفاتك .

اجاب الطبيب كما لو كان يعتذر : كان لا بد من ذلك ، فلدينا من المشاكل ما يكفينا بحيث لا يجب ان نشغل انفسنا بالازمات العصبية .

قال فيليب لومبارد : أوه ، ان مس كلايتون ليست فتاة عصبية على الاطلاق . ولكن كل هذه الانفعالات العصبية يمكن ان تقع لاي شخص .

وكان روجرز قد اقتطع كمية من الاخشاب قبل ان يلقى مصرعه فجمعوها وأخذوها معهم الى المطبخ ، حيث كانت اميلي برنت وفيرا كلايتون منهمكين في العمل . كانت مس برنت تفرغ رماد الموقد اما فيرا فكانت تمسك في يدها سكينا راحت تقطع به قطعا من اللحم .

قالت اميلي تخاطب الرجلين اللذين جاءاها بالخشب : شكرا لكما . سوف نسرع الان . بعد نصف ساعة او ثلاثة أرباع الساعة على الاكثر سيكون كل شيء معدا .

* * *

قال فيليب لومبارد يسأل المفتش السابق بلور في صوت أجش :

ـ هل تعرف فيم أفكر ؟

اجاب لومبارد ضاحكا : ما دمت ستقول لي ذلك فلا ارى داعيا لكي اقدح زناد فكري وأخمن .

كان المفتش السابق بلور رجلا رصينا لا يعرف الهزل ، واستطرد يقول دون اي قلق :

ـ هذه القضية تعيد الى ذهني قضية اخرى وقعت في امريكا ، فقد قتل رجل مسن زوجته بالبلطة ، ووقعت المأساة اثناء النهار ، ولم يكن بالبيت احد فيما عدا ابنتهما والخادمة ، وقد ثبت في التحقيق ان هذه الاخيرة لم يكن بمقدورها ارتكاب الجريمة . اما الابنة فكانت عزباء وناضجة السن وتتمتع بسمعة طيبة وبرئت ساحتها . ولم يكتشف الجاني حتى الان، وقد عادت هذه القصة الى ذهني عندما رايت البلطة والعانس العجوز هادئة هكذا في المطبخ .. انها لم تتحرك . اما الفتاة فقد كان من الطبيعي جدا ان تعتريها هذه الازمة العصبية . الا توافقونني على ذلك ؟..

اجاب فيليب لومبارد في ايجاز : ربما .

واستطرد بلور يقول : ولكن الاخرى الهادئة التي تقوم بعملها في المطبخ وهي ترتدي مئزرة مسز روجرز وتقول لنا : «ان الطعام سيكون معدا بعد نصف ساعة» .. اذا اردتم رايي فان هذه المراة مجنونة ، في غاية الجنون ، وكثيرا من العوانس ينتهين الى هذه النهاية ، ولا اريد ان اقول ان شهوة القتل تتملكهن ولكنهن يفقدن عقولهن . وانني بدات أعتقد الان ان مس برنت مصابة بنوع من الجنون الصوفي ، وتتصور انها أداة الله او شيء من ذلك ، وهي لا تفعل شيئا في غرفتها غير قراءة الانجيل .

اطلق فيليب لومبارد تنهيدة وقال : ان قراءة الانجيل ليست دليلا على اختلال العقل .

ولكن مفتش البوليس السابق قال في اصرار : وقد خرجت صباح اليوم وهي مرتدية معطفها الواقي من الماء ، وقالت لنا انها ذهبت لكي تتأمل البحر .

هز الاخر راسه وقال : لقد قتل روجرز وهو يقتطع الخشب ، اي في اولى ساعات النهار ، ولم تكن مس برنت بحاجة الى ان تتمشى في الجزيرة بعد ارتكاب الجريمة بساعات . صدقني ان قاتل روجرز قد دبر امره لكي نجده صباح اليوم يغط في نومه .

قال بلور : لاحظ يا مستر لومبارد ان هذه الفتاة لو كانت بريئة لخافت

من المشي وحدها في الجزيرة . واذا كانت قد فعلت ذلك فذلك لانها لم تعد تخشى احدا ، وهذا معناه ان مس برنت هي الجانية .

قال لومبارد : هذا الاستدلال له قيمته ولم أفكر فيه .

واردف يقول ساخرا : ويسرني انك لا تشتبه في امري .

اجاب بلور في شيء من الارتباك : انني اشتبهت فيك في بـادىء الامر .. فذلك المسدس ، والقصة الغريبة التي رويتها لنا .. او بالاحرى التي اخفيتها عنا .. ولكنني ارى الان انه ليس هناك اي شك في براءتك.

وسكت قليلا ثم اردف يقول : ارجو ان تشعر بنفس المشاعر نحوي .

اجاب فيليب في تفكير : ربما اكون مخطئا ، ولكنني لا اظن انك تتمتع بما يكفي من الخيال لكي ترتكب كل هذه الجرائم . وكل ما استطيع قوله هو انه اذا كنت انت الجاني فانني اعجب كثيرا بموهبتك العجيبة فـي التمثيل .

واستطرد يقول في صوت منخفض : وفيما بيننا يا بلور ، وحيث انه يحتمل ان نكون جثتين هامدتين في اخر النهار فهل اشتركت حقا في تلك القضية وادليت بشهادة الزور ؟..

اجاب بلور وقد ازداد ارتباكه : لم يعد للامر اهمية الان .. حسنا ، نعم . كان لاندور بريئا . ولكن عصابة المجرمين هددتني واضطررت للادلاء بتلك الشهادة متوقعا ان يصدر الحكم عليه بالسجن سنة ، ولكن هذا سر بيننا طبعا ، وما كنت لأعترف بهذا .

اكمل لومبارد الحديث ساخرا : امام شهود .. اطمئن فلن يعرف احد شيئا من ذلك. ولكن لعلك استفدت على الاقل بمبلغ كبير نظير شهادتك هذه؟

ـ لم تدر على القضية ما كنت اتوقع ، فان آل بورسل كانوا عصابة من الطماعين ، ولكنني حصلت على ترقية .

ـ وحكم على لاندور بالسجن المؤبد ، ومات في السجن .

قال بلور : وهل كان في وسعي ان اعرف انه سيموت .

ـ كلا . وهذا من سوء حظ .

ـ سوء حظي ؟.. بل من سوء حظه هو .

ـ وسوء حظك ايضا . لان حياتك سوف تنتهي نتيجة لذلك .

حدق بلور فيه بعينيه وقال : كلا . هل تتصور انني لن اقاوم ، كما فعل روجرز والاخرون ؟.. كلا . اطمئن . سوف اكون على حذر .

اجاب لومبارد : إنني لا اريد ان اراهن على كل حال ، خاصة وانك اذا مت فلن تستطيع ان تدفع لي .

ـ ما هذا الذي تقول يا مستر لومبارد ؟..

كشف لومبارد عن اسنانه من جديد وقال : اقول يا عزيزي بلور انه ليس امامك اية فرصة للافلات من مصيرك .

ـ ماذا ؟..

ـ ان افتقارك الى الخيال يجعل منك هدفا واضحا ، ان قاتلا قديرا كمستر اوين سيعرف كيف يلقي عليك شباكه في اللحظة التي تروق له .

اضطرم وجه بلور وسأله محنقا : وأنت يا مستر لومبارد ؟..

قست ملامح لومبارد واجاب : اما انا فرجل داهية ، وقد سبق ان وجدت نفسي في مواقف اشد خطرا وخرجت منها سالما . واظن انني سأنجو هذه المرة ، ولن أزيد عن ذلك كلمة واحدة .

***

كان البيض يغلي فوق النار ، وكانت فيرا تحمر بعض الخبز ففكرت تقول :

ـ لماذا تملكتني هذه الازمة العصبية ؟ انني كنت سخيفة ، وقد اخطأت بذلك . لا بد لي من ان التزم الهدوء .

كانت حتى هذه اللحظة تفتخر بأنها رابطة الجأش .

ولقد ابدت مس كلايتون رباطة جأش كبيرة والقت بنفسها في الماء دون تفكير ، واسرعت الى نجدة الغلام سيريل .

ولكن لماذا تستعيد هذه الذكرى ؟ لقد اصبح كل هذا طي الماضي .. الماضي .. كان سيريل قد اختفى قبل ان تصل الى الصخرة بوقت طويل. واحست بالتيار يغلبها ويدفعها بعيدا في البحر . وتركت الموج يسحبها وهي تسبح في بطء وتطفو فوق سطح الماء الى ان جاء زورق لانقاذها اخيرا.

وقد اشاد الجميع بشجاعتها ورباطة جأشها .

الجميع .. فيما عدا هوجو .. اكتفى هوجو بأن راح يحدق فيها بعينيه .

آه . شد ما تتعذب وهي تفكر في هوجو .. حتى بعد هذا الوقت الطويل .

اين هو الان ؟ وماذا يفعل ؟.. اتراه خطب ؟.. ام تزوج ؟..

واعادتها اميلي برنت الى دنيا الواقع . قالت لها

ـ فيرا . ان الخبز يحترق .

ـ هذا صحيح يا مس برنت .. ارجو المعذرة . ما اغباني !..

ورفعت اميلي برنت اخر بيضة من الفلاية . ووضعت فيرا كسرة اخرى من الخبز فوق الشواية وقالت :

ـ انك هادئة جدا يا مس برنت .

اجابت اميلي برنت وهي تضغط على شفتيها : انهم علموني في حداثتي ان ابقى متمالكة لاعصابي والا انزعج ابدا .

وعلى الفور فكرت في نفسها قائلة : مكبوتة منذ صغرها .. هذا يدل على الكثير .

وسألتها في صوت مسموع : انت لا تخافين من شيء اذن يا مس برنت؟

وسكتت سكتة قصيرة ثم اردفت تقول : او لعلك تخافين الموت ؟

الموت ؟.. احست اميلي برنت ان مثقابا حادا يخترق نافوخها .. الموت ؟.. ان الاخرين يموتون .. اما اميلي برنت فلا . ان هذه الفيرا لا تفهم شيئا . ان آل برنت لم يخافوا شيئا ما ابدا . ان اهلهم جميعا كانوا في خدمة الملك ، وقد واجهوا الموت بكل شجاعة . كانوا يحيون حياة مستقيمة مثلها تماما . وهي لم تفعل ما يخجل منه الجبين ، ولهذا السبب لن تموت .

ولكن سرعان ما عادت كلمات الجنرال ماك ارثر الى ذهنها «لن يخرج احد منا من هذه الجزيرة» .. انه قال لي هذه العبارة كما لو كان يتقبل الموت بكل هدوء . وهذا كفر منه طبعا . وان البعض يستخف بالموت ، ويقدمون بأنفسهم على الانتحار .. بياتريس تايلور .. انها رات بياتريس في الليلة الماضية في المنام .. راتها امام نافذتها وقد الصقت وجهها بلوحها الزجاجي ، وراحت تتوسل اليها لكي تدعها تدخل . ولكن اميلي تركتها بالخارج ، فلو انها تركتها تدخل لوقعت كارثة حتما .

ارتجفت اميلي فجأة ، واستردت وعيها ، ورات فيرا تنظر اليها نظرة غريبة فأسرعت تقول : هل اعددت كل شيء ؟ حسنا . سوف نقدم الطعام اذن .

* * *

وخرج هذا الغداء عن المألوف ، فقد بادر كل من المدعوين الى خدمة جاره .

ـ مس برنت ، هل استطيع ان اقدم لك القهوة ؟..

ـ مس كلايتون ، هل تريدين شريحة من الجامبون ؟..
ـ قطعة اخرى من اللحم ؟

كان هناك ستة اشخاص كلهم طبيعيون ، متمالكون لجأشهم ، ولكن الافكار كانت تدور في أعماق انفسهم كما يدور العصفور في القفص .

***

على من الدور ؟.. على من ؟.. وكيف ؟

هل ستفلح الضربة هذه المرة ؟.. انني اتساءل . لا بأس من المخاطرة، هذا اذا وجدت الوقت المناسب . يا الهي ! هل اجد الوقت لذلك ؟..

جنون صوفي .. هو ذلك حقا .. ولكن من ينظر اليها لا يشك فيها ابدا .. ولكنني ربما اكون مخطئا .

هذا جنون .. جنون مطبق . انا نفسي لم اعد ادري .. الصوف اختفى والستارة الحريرية الحمراء .. لا معنى لكل هذا .. لا افهم شيئا ابدا .

هذا الغبي المأفون .. انه صدق كل ما قلت له .. ولكن حذار .

ستة تماثيل من الخزف .. لم يبق غير ستة تماثيل .. كم سيتبقى منها الليلة ؟..

***

ـ لمن البيضة الاخيرة ؟..
ـ اقليل من المربى ؟.
ـ شكرا .. قطعة من البسكويت ؟..

كانوا ستة يتناولون الغداء . وقد تصرف كل منهم تصرف الانسان الطبيعي .

-١٢-

وبعد ان فرغوا من الطعام تنحنح القاضي وورجريف وقال في لهجة آمرة :

ـ اظن ان من الحكمة الان ان نجتمع لكي نناقش الموقف . ما رايكم في ان نجتمع في الصالون بعد نصف ساعة .

ابدى الجميع موافقتهم على هذا الاقتراح .

وجمعت فيرا الاطباق بعضها فوق البعض وقالت : سأمضي لاغسل الاطباق .

ونهضت اميلي برنت ولكنها عادت فجلست وهي تصيح : يا الهي !

سألها القاضي : ماذا بك يا مس برنت ؟..

اعتذرت اميلي قائلة : كنت اريد ان اساعد مس كلايتون ولكنني لا ادري ما الذي دهاني ؟.. انني اشعر بدوار .

قال الدكتور ارمسترونج وهو يقترب منها : دوار ؟.. ليس هـذا بغريب . انه رد الفعل ، سأعطيك شيئا .

ـ كلا .

وافلتت الكلمة من بين شفتيها كالقنبلة حين تنفجر :

وشده الجميع واحمر وجه الطبيب .

وكان وجه الفتاة العانس ينم عن الخوف والشك بكل وضوح .

وقال الطبيب في صوت قاطع : كما تريدين يا انسة .

ـ لا اريد ان آخذ شيئا على الاطلاق . سأبقى جالسة مكاني في هدوء حتى يزول ما بي .

وكانوا قد فرغوا من رفع الاطباق ، وقال بلور يخاطب فيرا :

ـ مس كلايتون .. انني رجل بيت ، واذا اردت فانني استطيع مساعدتك .

اجابته الفتاة : كما تشاء . شكرا لك .

وبقيت اميلي برنت وحدها في غرفة الطعام . وتناهت اليها من المطبخ همسات واصوات .

وبدا احساسها بالدوار يختفي شيئا فشيئا ، واصبحت تحس بشيء من المخدر كما لو كانت توشك على النوم .

ودوت اذناها .. او لعل هناك طنين في الغرفة .

وفكرت .. آه .. يخيل لي انه طنين نحلة .

ولم تلبث ان رات النحلة تتسلق النافذة .

الم تتكلم فيرا كلايتون عن النحل صباح اليوم بالذات ؟.

عن النحل .. والعسل .

كانت تحب العسل .. اقراص العسل الذي يستخرجونه بالضغط في

كيس من النسيج الشفاف . والذي يسقط قطرة قطرة .
كان هناك شخص في الغرفة .. شخص مبتـل الثياب .. بياتريس تيلور خارجة من النهر .
ولو انها ادارت راسها فانها سوف تراها .
ولكنها لا تستطيع ان تدير راسها .
لو ان تصرخ !
ولكنها لا تستطيع ان تصرخ كذلك .
ليس في البيت احد غيرها .. كانت وحدها تماما .
وسمعت صوت خطا .. خطا صامتة وثقيلة تتسلل خلفها .. خطـا الغريقة المترنحة .
وتصاعدت الى خياشيمها رائحة رطبة .
وعلى لوح النافذة كانت النحلة تطن .. وتطن .
وفي هذه اللحظة أحست بالوخزة .. غرزت النحلة ابرتها في عنـق مس برنت .

***

وفي الصالون كانوا ينتظرون قدوم مس برنت . وقالت فيرا كلايتون :
ـ هل تريدون ان اذهب لكي ابحث عنها ؟..
قال بلور : انتظري دقيقة .
جلست فيرا ، والقى كل من الاخرين نظرة متسائلة الى بلور فقال :
ـ اسمعوني جيدا . هذا هو رايي . لا داعي للبحث اكثر من ذلك . ان الذي ارتكب كل هذه الجرائم المتتابعة هو تلك المراة الموجودة الان في غرفة الطعام .
ـ وما دليلك على هذا الاتهام ؟..
ـ الجنون الصوفي .. ما رايك يا دكتور ؟..
ـ هذا تفسير معقول تماما . وليس لدي اعتراض عليه ، ولكن لا بد لنا من ادلة قبل كل شيء .
قالت فيرا : كان امرها غريبا اثناء اعداد الطعام .
ـ لا تحكموا عليها نتيجة لذلك . اننا جميعا لا نفكر جيدا في الوقت الحاضر .
قال باور : هناك شيء اخر . انها الوحيدة بيننا التـي رفضت ان تفسر موقفها بعد ان استمعنا الى الاسطوانة ، فلماذا ؟.. لانه لم يكـن

بمقدوها ان تقدم أي تفسير .

تململت فيرا في مقعدها وقالت : ليس هذا صحيحا تماما . فقد اطلعتني على ما حدث لها .

سألها وورجريف : وماذا قالت لك يا مس كلايتون ؟..

اعادت الفتاة على مسامعهم قصة بياتريس تايلور . وقال القاضي عندئذ :

ـ هذه القصة تبدو لي صادقة ، واني أصدقها طواعية . ولكن قولي لي يا مس كلايتون انها تشعر بتبكيت الضمير ازاء موقفها هذا .

ـ ابدا . لم أتبين عندها اي تأثر .

قال القاضي : الساعة الان الحادية عشرة الا عشر دقائق ، ومن الاوفق ان نطلب من مس برنت ان تأتي وتنضم الينا .

قال بلور : الن تتخذوا بشأنها قرارا ما ؟..

اجاب القاضي : وأي قرار يمكن ان نتخذه . اننا لا نملك في الوقت الحالي غير شكوك . ومع ذلك فسأطلب من الدكتور ارمسترونج ان يتكرم ويراقب حركاتها وتصرفاتها . من الاجدر ان نذهب الى غرفة الطعام الان .

ووجدوا اميلي برنت جالسة في المقعد الذي تركوها فيه . وكانت تولي ظهرها للباب ، ولم يروا شيئا غير عادي فيما عدا انها لم تتحرك كما لو انها لم تسمعهم يدخلون .

ثم رأوا وجهها .. المتورم وشفتيها الزرقاوين وعينيها المذعورتين .

وصاح بلور : يا الهي !.. انها ميتة .

* * *

قال القاضي وورجريف بصوته الرقيق .. شخص اخر منا ظهرت براءته ، بعد فوات الاوان .

انحنى ارمسترونج فوق الميتة وشم شفتيها وهز راسه ثم فحص جفنيها وسأله لومبارد وقد فرغ صبره .

ـ مم ماتت يا دكتور ؟ كانت في صحة جيدة عندما غادرنا غرفة الطعام .

لفتت علامة صغيرة في الناحية اليمنى من عنق المرأة اهتمام الطبيب ، وقال :

ـ هذا اثر حقنة تحت الجلد .

وسمعوا في هذه اللحظة طنينا عند النافذة وهتفت فيرا :

ـ انظروا .. نحلة .. تذكروا ما قلت لكم هذا الصباح .

قال ارمسترونج : هذه ليست وخزة نحلة .. وانما اثر حقنة .

سأله القاضي : وما هو السم الذي حقنت به ؟..

اجاب ارمسترونج : يبدو لاول وهلة انه سم السيانور .. نفس السم الذي استخدم في قتل انتوني مارستون ، ولا ريب انها ماتت على الفور نتيجة للاختناق .

قالت فيرا : ومع ذلك فان هذه النحلة لا يمكن ان يكون وجودها مصادفة .

قال لومبارد في كآبة : اوه ، كلا طبعا . ليست مصادفة . ان قاتلنا يصر على اضفاء قليل من اللون المحلي على جرائمه . انه مهزار مرح يطبق فقرات اغنية الاطفال بحذافيرها .

ولاول مرة تكلم الكابتن لومبارد في صوت مفعم بالقلق ، وبدا ان هذا الرجل الذي حفلت حياته بالمغامرات قد بدأ يفقد جأشه .

وصاح يقول في غضب : هذا محال ، محال ، اننا جميعا مجانين .

تدخل القاضي وقال بصوته الرتيب : انني اقول اننا ما زلنا نحتفظ بكل قوانا العقلية . هل جاء احدكم الى البيت بحقنة ؟..

اعتدل الدكتور ارمسترونج وقال في ارتباك : انا يا سيدي .

تحولت جميع الانظار اليه ، فقال وقد أغاظته نظراتهم المعادية :

ــ انني لا أنتقل الى اي مكان بدون الحقنة ، وكل الاطباء مثلي .

قال القاضي وورجريف وقد عاد اليه هدوؤه :

ــ هذا صحيح . هل لك ان تخبرنا اين توجد هذه الحقنة الان ؟

ــ فوق ، في حقيبتي .

ــ ربما استطعنا ان نتحقق من ذلك .

وصعد المدعوون الخمسة السلم في صمت .

وقلبت محتويات الحقيبة فوق الارض ولكنهم لم يجدوا الحقنة .

وصاح الدكتور ارمسترونج محنقا : انها سرقت مني .

وخيم الصمت في الغرفة .

كان الدكتور ارمسترونج واقفا موسيا ظهره للنافذة ، وبدا الاتهام واضحا في عيون اربعة اشخاص تحدق فيه .

تبادل بلور ولومبارد النظر ، وقال القاضي في صوت مهيب :

ــ اننا خمسة اشخاص هنا ، في هذه الغرفة ، وواحد منا قاتل . وموقفنا يزداد خطورة ، ويجب ان نبذل كل شيء للابقاء على حياة اربعة ابرياء . وارجوك يا دكتور ان تقول لي ما هي الادوية التي معك .

اجابه الطبيب : ان معي هنا عدتي الطبية ، ويمكنك ان تفحصها . ان

بها بعض المنومات وأقراص من السلفونال وكيس من البرومور وبيكربونات الصودا وبعض أقراص من الاسبيرين .

قال القاضي بدوره : وانا ايضا احضرت معي بعض الاقراص لمعالجة الارق واظن انها من السلفونال ، ولكن اظن انها اذا اخذت بكمية كبيرة تتسبب في الموت . وأنت يا مستر لومبارد ؟.. سمعت ان معك مسدساً؟.

صاح لومبارد وقد استشاط غضبا : وبعد ؟..

ـ كل ما هناك انني أقترح ان نجمع ادوية الدكتور واقراص المنومة ومسدسك يا مستر لومبارد ، وكذلك كل ما له صلة بالمنتجات الصيدلية والاسلحة النارية وأن نضعها في مكان امين . وبعد ان نفرغ من هذا نقوم بتفتيش كل منا تفتيشا دقيقا لشخصه وحوائجه .

احتد لومبارد وقال : لن اتخلى عن مسدسي الا وانا جثة هامدة .

اجاب القاضي بصوته الحاد : انت رجل قوي ومتين البناء يا مستر لومبارد ، ولكن المفتش السابق يتمتع بقوة بدنية كبيرة هو الاخر . ولا اعرف من منكما يمكن ان يقهر الاخر ، ولكنني استطيع ان اؤكد هذا . ان الدكتور ارمسترونج ومس كلايتون وانا نفسي سنقف في صف بلور وسنساعده بقدر ما نستطيع ، وبهذا ترى ان كل الفرص ستنقلب ضدك عند اول مقاومة .

طوح لومبارد براسه الى الخلف . ولكنه اعترف بهزيمته قائلا :

ـ بما انكم تقفون ضدي ..

هز القاضي راسه وقال : انك تأخذ جانب الصواب اخيرا . اين مسدسك ؟..

ـ في درج الطاولة الصغيرة بجوار فراشي .

ـ حسنا .

ـ سأمضي لكي آتيكم به .

ـ اظن ان من الاوفق ان نرافقك .

اجاب فيليب وعلى شفتيه ابتسامة بدت كما لو كانت تكشيرة :

ـ انت حريص جدا على الاقل .

اجتازوا الطرقة ، ودخلوا غرفة لومبارد ، ومضى الشاب راسا الى الطاولة التي بجوار الفراش وفتح درجها ، وما كاد يفعل حتى ارتد الى الوراء وهو يكتم سبة . فقد كان الدرج خاليا .

وقال : اظن انكم استرحتم الان .

ووقف لومبارد يشاهد الرجلين الاخرين وهما يقومان بتفتيش غرفته

وثيابه تفتيشا دقيقا ، في حين بقيت مس كلايتون تنتظر في الطرقة .

وتم التفتيش بترتيب ونظام . وخضع الدكتور ارمسترونج والقاضي وورجريف والمفتش السابق بلور للتفتيش هم الاخرون .

وخرج الرجال الاربعة من غرفة بلور وانضموا الى مس كلايتون ، وخاطبها القاضي قائلا :

ـ ارجو ان تفهمي يا مس كلايتون اننا لا نستطيع استثناء احد . يجب ان نجد هذا المسدس بكل الطرق . لا ريب ان لديك مايوها بين جوانحك؟..

واذ اومأت فيرا بالايجاب عاد يقول :

ـ ارجوك ان تذهبي الى غرفتك وأن تخلعي ثيابك وترتدي المايوه وأن تعودي الينا بعد ذلك .

دخلت فيرا غرفتها وأغلقت الباب ، وبعد بضع دقائق عادت وهي تلبس مايوها من الحرير المسرود يكشف عن مفاتنها . وقال لها القاضي في ارتياح : شكرا لك يا مس كلايتون . هل لك ان تنتظرينا هنا ريثما نفتش غرفتك .

وقفت فيرا في الطرقة صابرة حتى عاد الرجال ثم مضت بعد ذلك وارتدت ثيابها ثم انضمت اليهم . وقال القاضي :

ـ اننا تأكدنا الان من نقطة واحدة وهي انه ليس مع اي احد منا اسلحة او سموما قاتلة . وسنضع الان الادوية في مكان امين ، في المطبخ، في الدولاب الخاص بالفضيات .

قال بلور : كل هذا جميل . ولكن من الذي سيحتفظ بالمفتاح ؟

لم يجب القاضي وورجريف ، وهبط الى المطبخ يتبعه زملاؤه الاربعة. وهناك وضع الادوية المختلفة في صندوق صغير اغلقه بالمفتاح ، ثم وضع الصندوق في دولاب الفضيات وأغلق بابه بالمفتاح هو الاخر . وبعد ذلك اعطى مفتاح الصندوق للومبارد ومفتاح الدولاب لبلور وقال :

ـ انتما اقوى منا بدنيا ، ومن الصعب على اي منكما ان يأخذ المفتاح من الاخر ، ولا يمكن لاي واحد منا نحن الثلاثة ان يأخذه منكما ، ومن الجنون محاولة تحطيم باب الدولاب والصندوق عنوة لان الضجة التي ستحدث عندئذ ستثير ظنون الاخرين .

وسكت سكتة قصيرة ثم قال : وما زالت امامنا مشكلة يجب ان نجلوها وهي ماذا حدث لمسدس مستر لومبارد ؟..

قال بلور : ان لي رأيا متواضعا وهو ان صاحبه وحده هو الذي يستطيع ان يرد على هذا السؤال .

قال فيليب لومبارد وقد استشاط غضبا : ايها المأفون الاحمق ! قلت لك انه سرق مني .

سأله وورجريف : متى رأيته لآخر مرة ؟

ـ مساء امس . كان موجودا في الدرج عندما أويت الى فراشي .

قال القاضي : انه سرق اذن صباح اليوم اثناء البلبلة التي حدثت ونحن نبحث عن الخادم او بعد العثور على جثته .

قالت فيرا : لا ريب انه في البيت . فلنقم بالتفتيش مرة اخرى .

داعب القاضي ذقنه كما هي عادته وقال : لا أعتقد اننا سنصل الى نتيجة ، فلا ريب ان قاتلنا وجد ما يكفي من الوقت لكي يخفيه في مكان امين . انني اصبحت يائسا من العثور عليه الان .

قال بلور في قوة : انني لا أعرف اين اختفى هذا المسدس ، ولكني أعرف اين اجد هذه الحقنة .

وفتح الباب العمومي وتقدمهم الى الخارج .

وأمام نافذة غرفة الطعام رأوا الحقنة ، وبجوارها تمثال خزفي صغير ، وهو تمثال الهندي الخامس .

وقال بلور في زهو : ما كان يمكن للحقنة ان تكون في مكان اخر غير هذا . بعد ان قتل القاتل مس برنت فتح النافذة والقى بالحقنة ثم اخذ التمثال الخامس ورماه في الخارج هو الاخر .

ولم يجدوا اية بصمة على الحقنة ، فقد أزيل ما عليها من آثار بكل عناية . وقالت فيرا في حزم :

ـ فلنبحث عن المسدس الان .

قال القاضي : هو ذلك . ولكن فلنبق معا دائما . تذكروا اننا اذا افترقنا فاننا نقدم للقاتل المجنون كل الفرص .

وفتشوا البيت تفتيشا دقيقا للمرة الثانية ، من القبو حتى الدور العلوي ، ولكن دون اية نتيجة .

فانهم لم يعثروا على المسدس في اي مكان .

- ١٣ -

واحد منا .. واحد منا .. واحد منا .

راحت هذه الكلمات ترن في اذهانهم المحمومة دون انقطاع .

كان هناك خمسة اشخاص يعيشون في الجزيرة يعذبهم الخوف ..

خمسة اشخاص يتجسس كل منهم على الاخر دون ان يحاول اي منهم اخفاء مشاعره .

لم يكن هناك اي ضغط ولا اية مجاملة في معاملة كل منهم للاخر . لم يعد هناك غير خمسة اعداء تربط بينهم غريزة حب البقاء .

وفجأة هبطوا جميعا الى اخر درجة من الانسانية وانحطوا الى مستوى الحيوان . وبقي القاضي وورجريف محدودب الظهر كالسلحفاة المكدودة ، ثاقب العينين وعلى حذر دائما . وبدا المفتش السابق بلور ثقيل الحركة على غير عادته ، وأخذ يأتي بحركات خرقاء لم تكن تصدر منه من قبل ، واحتقنت عيناه وراح يمشي متلصصا . كان كل شيء فيه ينطق بالقسوة والغباء وبدا كالحيوان المذعور على اهبة الهجوم على مطارديه . اما فيليب لومبارد فقد بدا كما لو ان غرائزه تزداد حدة . وراح يرهف السمع عند اقل حركة. واصبحت خطوته اخف وأسرع، وازداد جسمه ليونة ورشاقة. وكان يبتسم كثيرا فيكشف عن اسنانه البيضاء الحادة .

اما فيرا فقد أصابها الاكتئاب ، وقضت معظم اليوم وهي مسترخية في مقعدها وعيناها مفتوحتان ، تنظر الى الفراغ كالعصفور الذي جاء واصطدم براسه في لوح الزجاج والتقطته يد بشرية فأصابه الذعر وشلت حركته يداخله الامل في البقاء على قيد الحياة .

وكانت أعصاب ارمسترونج في حالة يرثى لها ، وراحت عضلات وجهه تتحرك بصورة غريبة ويداه ترتجفان . وكان يشعل السيجارة تلو الاخرى ثم يلقيها بعد ان يأخذ منها بضعة أنفاس.. وكان يهذي من وقت لآخر فيقول:

– ما كان يجب ان نبقى هنا بلا عمل .. يجب ان نفعل شيئا .. وان نتصرف ، ونجد طريقة للخروج من هذا الجحيم ..

وتبنى الزملاء الخمسة خطة للعمل فجلسوا في الصالون ، ولم يكن يغادره اكثر من واحد منهم في كل مرة وينتظر الاربعة الاخرون عودته .

وقال لومبارد : ان هي الا مسألة وقت ، سوف تصحو السماء ، وعندئذ يمكننا ان نفكر في نجاتنا .

وراح ارمسترونج يقول ساخرا : مسألة وقت ! ولكننا لا نستطيع ان نسمح لانفسنا بالانتظار .. اننا جميعا محكوم علينا بالموت .

قال القاضي وورجريف بصوته الواضح المشوب بالعزم : اذا لم نأخذ حذرنا .. ولكن ما علينا الا المحافظة على حياتنا .

وتناولوا الغداء دون اية مراعاة للتقاليد ، فمضوا جميعا الى المطبخ ، وكان يوجد في الدولاب عدد كبير من المعلبات . وفتحوا علبة من لحم البقر

وعلبتين من الفاكهة المحفوظة ، وأكلوا وهم وقوف ثم عادوا الى الصالون. وجلسوا وكل منهم يراقب الاخر .

وتحولت الافكار التي راحت تدور في اذهانهم الى افكار قاتلة محمومة وغير عادية تماما .

ـ ان القاضي هو ارمسترونج . انني ضبطته وهو ينظر الي شذرا .. ان له عيني مجنون .. معتوه .. ولعله ليس طبيبا .. نعم ، هذه هي الحقيقة .. انه مجنون هارب من مستشفى المجاذيب ، ويتظاهر بأنه طبيب . هل تحب ان اقول ذلك للاخرين ؟.. كلا . سيعرف عندئذ كيف يأخذ حذره اكثر .. ثم انه يقوم تماما بدور الرجل المتمالك لكل قواه العقلية .. كم الساعة الان ؟ الثالثة والربع فقط ! يا الهي ! انني اكاد اجن ، ليس هناك شك في انه ارمسترونج .. انه يراقبني الان .

«كلا . انهم لن ينالوني فانني من القوة بحيث استطيع ان ادافع عن نفسي ، فليست هذه اول مرة اجد نفسي فيها في مثل هذا الموقف الحرج .. ولكن اين ذهب هذا المسدس بحق الشيطان !.. من الذي سرقه ؟.. ومع من يوجد الان ؟.. انه غير موجود مع اي احد لانهم فتشونا جميعا .. انه ليس موجودا مع اي احد .. ولكن احدنا يعرف اين هو .

«سوف يصاب الاخرون بالجنون .. كلهم .. فهم يخافون من الموت. اننا جميعا نخاف من الموت ، وانا نفسي اخاف منه ، ولكنني أعرف انه لا مفر منه مع ذلك .. هل تكون الفتاة هي القاتلة ؟.. سأراقبها .. نعم ، سأراقبها عن كثب .

«الساعة الرابعة الا الربع .. الرابعة الا الربع فقط !.. ولكن قد تكون هذه الساعة تالفة .. كلا ، انني لا أفهم شيئا . ان مثل هذه الامور لا يمكن ان تقع .. ومع ذلك فقد وقعت ، لماذا لا نستيقظ !.. يجب ان نستيقظ . ان اليوم يوم الحساب .. راسي !.. راسي المسكينة !.. انها ستنفجر .. ان امورا غريبة تقع ، كم الساعة الان ، يا الهي ! ما زالت الرابعة الا الربع !

يجب ان احتفظ برباطة جأشي .. ليتني لا أفقد رشدي .. ان كل هذا واضح .. دبرته يد قديرة .. ولكن لا يجب ان يشك احد .. يجب ان ننجو .. بأية طريقة . على من الدور الان ؟ هذا هو السؤال ؟ نعم .. اعتقد انه عليه هو .

ودقت الساعة تعلن الخامسة فأجفل الجميع . وقالت فيرا :

ـ هل منكم من يريد الشاي ؟

وسادت لحظة صمت ، وقال بلور اخيرا : اريد قدحا منه .

نهضت فيرا وقالت : سأمضي لاعداده . يمكنكم ان تبقوا هنا .

قال القاضي وورجريف في صوت رقيق : اي آنستي العزيزة .. اننا نفضل ان نأتي معك ونراك وأنت تعدين الشاي .

حدقت فيرا فيه ثم ضحكت وقالت : طبعا ، كنت أتوقع هذا .

ومضى الخمسة الى المطبخ ، واعدت فيرا الشاي وشربت قدحا مع بلور . اما الثلاثة الاخرون فقد شربوا ويسكي ، فتحوا زجاجة مقفلة واخرى من الصودا من صندوق مغلق لم يكن قد فتح بعد .

وقال القاضي وهو يبتسم : ان الاحتياط أسلم .

وعادوا الى الصالون ، وعلى الرغم من ان الوقت كان صيفا فقد كانت الغرفة مظلمة ، وادار لومبارد مفتاح النور ، ولكن دون جدوى فقال : هذا طبيعي ، فان المحرك لا يدور ، وروجرز لم يعد موجودا لكي يهتم به .

وقال بعد تردد يسير : يمكننا ان نذهب ونديرالمحرك .

ولكن القاضي قال : رأيت كمية كبيرة من الشموع في الدولاب . ومن الافضل ان نستخدم بعضها .

خرج لومبارد من الغرفة ، وبقي الاربعةالاخرون يراقبون بعضهم بعضا . ولم يلبث ان عاد الشاب وبين يديه صندوق من الشمع وعدد من الاطباق . واشعلوا خمس شمعات وضعوها في اماكن مختلفة من الصالون . وكانت الساعة قد بلغت السادسة الا ربعا .

وفي السادسة والدقيقة العشرين تعبت فيرا من الجلوس بلا عمل فرأت ان تصعد الى غرفتها لكي تغسل رأسها بالماء البارد .

ونهضت ، وسارت نحو الباب ، ولكنها عدلت وعادت فأخذت شمعة من الصندوق واشعلتها . وأسقطت بضع قطرات منها في صحن صغير وثبتتها فيه بعد ذلك ثم غادرت الغرفة ، وصعدت السلم وبلغت غرفتها .

وما ان فتحت الباب حتى ارتدت خطوة وتوقفت .

وارتجفت خياشيمها ، فقد اشتمت رائحة البحر ..

كانت الرائحة رائحة بحر تريدينيك حقا .. ولا يمكن ان يكون هناك اي خطأ ، فلم تكن هناك اية غرابة في ان تستنشق رائحة البحر لانها في جزيرة ، ولكنها أحست مع ذلك باحساس غريب ، فان هذه الرائحة هي نفس الرائحة التي انبعثت في ذلك اليوم في شاطىء تريدينيك ، حيث انحسر المد وكشف الصخور التي يغطيها الطحلب الذي اخذ يجف تحت اشعة الشمس .

«هل استطيع ان اسبح حتى الجزيرة يا مس كلايتون ؟
«لماذا تمنعينني من الذهاب حتى الجزيرة ؟»
يا للغلام المدلل الرهيب !.. لولاه لاصبح هوجو ثريا .. ولاستطاع ان يتزوج بمن يحب .

هوجو .. لا ريب أنه موجود هنا ، على مقربة منها .. كلا . بل انه ينتظرها في غرفتها .

وتقدمت خطوة الى الامام ، وخبا نور الشمعة بتأثير التيار الذي اندفع من النافذة المفتوحة ولم يلبث ان انطفأ .

واستولى الخوف على فيرا وهي ترى نفسها في الظلام ، وقالت تحدث نفسها : لا تكوني حمقاء هكذا . لماذا الخوف ؟.. ان الاخرين موجودون تحت .. الاربعة كلهم ، ولا يوجد احد في الغرفة طبعا .. انني أتوهم اشياء غريبة !

ولكن هذه الرائحة .. هذه الرائحة التي تعيد الى ذهنها شاطىء تريدينيك لم تكن مجرد خيال او وهم .. وانما حقيقة .

ان في غرفتها شخصا دون اي شك ، فقد سمعت حركة ، كانت مقتنعة من ذلك .

واذ هي تصيخ السمع مست عنقها يد باردة لزجة .. يد مبتلة تفوح منها رائحة البحر .

وأطلقت صرخة .. صرخة حادة طويلة ، واستولى الخوف على كيانها كله وراحت تصرخ طالبة النجدة .

ولم تسمع الضجة التي حدثت في الصالون ، فقد وقع مقعد ، وانفتح باب في عنف وصعدت اقدام السلم اربعا اربعا ، وكانت فيرا فريسة لذعر حقيقي .

ولم تلبث ان سطعت الانوار على عتبة الباب . ودخل الرجال ومعهم الشموع ، واستردت جأشها شيئا فشيئا .

ـ ماذا دهاني ؟.. يا الهي !.. ما هذا ؟..

وارتجفت ، وتهاوت على الارض .

وخيل لها كأن شخصا منحنيا فوقها يحاول ان يحني راسها حتى ركبتيها ، ثم سمعت صيحة تقول : يا الهي !.. انظروا الى هذا .. فتمالكت نفسها وفتحت عينيها ورفعت رأسها ورأت ما رآه الرجال على ضوء شموعهم .

كان يتدلى من السقف حبل طويل من حشيش البحر .. هو الذي لمس

عنقها في الظلام وحسبته يدا مبتلة لزجة .. يد غريق عائد من مملكة الاشباح ، لكي ينتزع منها الحياة .

وانفجرت تضحك وهي تتمطى وقالت : كانت قطعة من عشب البحر، حسبتها شيئا اخر .

وبعد لحظة صمت انفجر لومبارد ضاحكا وقال في لهجة المديح :

ـ اخيرا يا فيرا .. ما زلت بعقلك ، وذلك على الرغم من الذعر الذي كان يسيطر عليك منذ لحظة . سأهبط لكي آتيك بزجاجة مقفلة .

وانصرف مسرعا .

وقالت فيرا وهي لا تدري ماذا تقول : انا الان احسن بكثير ، وافضل ان اشرب ماء .

واعتمدت على الدكتور ارمسترونج ووقفت. ومضت الى الحوض وهي متعلقة بالطبيب لكي تحفظ توازنها ، وفتحت الصنبور وملأت كوبا .

وقال بلور في غيظ : ولكن هذا البراندي غير مؤذ .

سأله ارمسترونج : وكيف عرفت ذلك ؟..

صاح بلور محنقا : انني لم ادس فيه شيئا ، وانت تريد ان تحملهم على الظن بغير ذلك .

ـ انني لا اتهمك بشيء . ولكن في امكانك انت ، او في امكان اي شخص اخر ان يدس السم في هذا الشراب .

وعاد لومبارد في هذه اللحظة الى الغرفة وفي يده زجاجة وفتاحة ، ووضع الزجاجة تحت انف فيرا وهو يقول :

ـ انظري يا عزيزتي .. لن يخدعك احد هذه المرة .

ونزع السدادة المعدنية ثم فتح الزجاجة بالفتاحة وهو يقول : لحسن الحظ ان مخزون الخمر كثير ، وهذا كرم كبير من مستر اوين .

وسرت رعشة شديدة في بدن فيرا وامسك ارمسترونج بالكأس ريثما صب فيليب فيه الويسكي . وقال الطبيب :

ـ اشربي هذا يا مس كلايثون ، انك تعرضت لمحنة شديدة .

بللت فيرا شفتيها بالشراب ، وعاد اللون الى وجنتيها . وقال فيليب وهو يضحك : هذه جريمة لم تتم طبقا للبرنامج .

تمتمت فيرا تقول : هل تعتقد .. انني كنت مقصودة بالقتل ؟

اوما لومبارد براسه وقال : لقد توقع القاتل ان تموتي من الخوف : ومثل هذا الامر يحدث لأناس كثيرين ، أليس كذلك .

اجاب ارمسترونج في شيء من الدهشة دون ان يورط نفسه :

ـ آه . لا استطيع ان اجزم بذلك ، ولكن مس كلايتون في مقتبل العمر ، وتتمتع بصحة جيدة ، وهي لا تشكو من قلبها ومن ..

واخذ كأس البراندي الذي جاء به بلور وغمس اصبعه فيه ثم رفعه الى فمه في حذر ، وبقيت ملامحه كما هي وقال وفي صوته رنة من الشك: آه .. ان طعمه يبدو لي عاديا .

تقدم بلور وقال وهو يغلي : قل ان هذا الشراب مسموم فاحطم وجهك على الفور .

غيرت فيرا مجرى الحديث بعد ان استردت شيئا من قوتها بفضل البراندي ، وقالت : اين القاضي ؟..

ـ آه .. هذا غريب .. ظننت انه صعد معنا .

قال بلور : وانا كذلك . انك صعدت السلم خلفي يا دكتور .

اجاب ارمسترونج : خيل لي انه كان يتبعني . انه بطيء عنا طبعا لانه مسن جدا .

قال لومبارد : انني لا افهم شيئا .

وقال بلور مقترحا : فلنمض لكي نبحث عنه .

ومشى نحو الباب ، وتبعه الرجلان وخلفهما فيرا .

وقال ارمسترونج وهم يهبطون السلم : انه بقي في الصالون طبعا .

واجتازوا البهو وصاح الطبيب في صوت قوي : وورجريف .. وورجريف .. اين انت ؟..

ولم يسمع ردا ، وخيم صمت عميق لم يقطعه غير صوت ارتطام المطر الرتيب . واذ بلغ ارمسترونج عتبة الصالون توقف على الفور ، واسرع الاخرون خلفه ونظروا من فوق كتفه . وصرخ احدهم :

ـ فقد كان القاضي وورجريف جالسا في اخر الغرفة ، في مقعد ذي مسند عال ، وفي كل ناحية منه شمعتان مضيئتان ، ولكن الشيء الذي ادهش الجميع واثار ارتباكهم هو انه كان يرتدي الثوب الاحمر الذي يرتديه اثناء نظر القضايا ، ويضع فوق راسه باروكة .

واشار الدكتور ارمسترونج للاخرين ان يرتدوا الى الخلف ، وعبر هو الغرفة وهو يترنح كما لو كان مخمورا ، واقترب من القاضي ذي النظرة الثابتة .

وانحنى فوقه وفحص الوجه الجامد ، ثم بحركة مفاجئة رفع الباروكة، فسقطت على الارض وكشفت عن جبين القاضي العالي والاصلع . وظهر في وسطه ثقب احمر تسيل منه مادة لزجة .

ورفع الدكتور ارمسترونج يدا رخوة وجس نبضها ، ثم تحول الى الاخرين ، وقال في غير انفعال :

ـ انه قتل برصاصة من مسدس .

صاح بلور : يا الهي !.. المسدس .

واستطرد الطبيب يقول بصوته الكئيب البعيد : اصابته الرصاصة في نافوخه ، وكان الموت سريعا .

توقفت فيرا امام الباروكة وقالت في صوت يتهدج من الخوف :

ـ الصوف الرمادي الذي فقدته مس برنت .

واردف بلور يقول : والستارة الحمراء التي ضاعت من الحمام .

ـ هذا هو السبب في ان القاتل اخذ هذه الاشياء .

وفجأة انفجر لومبارد ضاحكا وقال : خمسة اطفال هنود ذهبوا لدراسة القانون .. اصبح احدهم محاميا ولم يبق منهم الا اربعة .. هذه هي نهاية וורجريف .. القاضي المتعطش للدماء .. انه لن يصدر احكاما بعد اليوم ، ولن يضع على راسه قبعته السوداء .. لقد راس المحكمة لآخر مرة ، ولن يرسل ابرياء الى المشنقة بعد الان .. لو ان ادوارد سيتون كان موجودا معنا لظل يضحك ما شاء له الضحك .. يا الهي !

صدمت هذه الغضبة شعور الاخرين . وصاحت فيرا تقول : ولكنك اتهمته صباح اليوم بالذات بأنه هو القاتل المجنون .

تغيرت ملامح لومبارد ، وقال في صوت هادىء : هذا صحيح .. انني اتهمته ، حسنا . انني اخطأت .. هذا واحد اخر منا ظهرت براءته ، بعد فوات الاوان .

- ١٤ -

نقلوا جثة القاضي וורجريف الى غرفته ، واسجوه فوق فراشه ، ثم هبطوا بعد ذلك الى البهو وراحوا يتراشقون بالنظرات .

وقال بلور : ماذا نفعل الان ؟..

اسرع لومبارد يقول : فلنفكر في تجديد قوانا اولا . لا بد من ان نأكل لكي نعيش .

ومرة اخرى مضوا الى المطبخ ، وفتحوا علبة من لحم البقر ، واكل الاربعة في حركات ميكانيكية ، ودون شهية تذكر .

وقالت فيرا : لن آكل لحم البقر بعد اليوم ابدا .

واذ فرغوا من الطعام بقوا جالسين حول المائدة ، كل منهم يحـــدق في الاخر .
وقال بلور : لم نعد الان غير اربعة ، فعلى من الدور ؟..
اتسعت عينا الدكتور ارمسترونج وقال : يجب على كل منا ان يحتاط.
قاطعه بلور قائلا : هكذا قال .. وقد مات الان .
قال ارمستروتج : انني اتساءل كيف حدث هذا ؟..
أطلق لومبارد سبة وقال : لقد دبر القاتل أمره على خير ما يكون . فان حشيش البحر الذي علقه في سقف غرفة مس كلايتون قام بالدور الذي توقعه ، فقد اسرع كل منا ، يخامره الاحساس بأنها قتلت ، وانتهز صاحبنا الارتباك الذي ساد وقتل القاضي بعد ان تخلى عن كل حذر .
سأله بلور : وكيف تفسر اننا لم نسمع صوت الرصاصة ؟..
هز لومبارد رأسه وقال : كانت مس كلايتون تصرخ ، وكانت الريـاح تعصف ، وهذا هو السبب في اننا لم نسمع شيئا . ولكننا لن نقع في مثل هذا الشرك مرة اخرى . يجب ان يكون اكثر ذكاء في المرة القادمة .
نصحه بلور قائلا : يجب ان تتوقع ذلك .
كانت رنة صوته بغيضة . وتبادل الرجلان النظر . وقال الدكتـــور ارمسترونج : نحن اربعة . ولا ندري من ..
قال بلور بلهجة اليقين : اما انا فأعرفه .
بدات فيرا تقول : ما كنت لاظن ابدا ..
وقال ارمسترونج في بطء : اظن انني اعرف في الواقع ..
قال لومبارد : اما انا فيبدو لي ان فكرتي هي الصحيحة .
وراحوا يتبادلون النظر من جديد .
ونهضت فيرا ، كانت ساقاها متخاذلتين ، وقالت : أشعر بأنني لست على ما يرام . سأذهب لكي انام . فلم أعد استطيع الاحتمال .
قال لومبارد : من الاوفق ان نفعل مثلك . فلا خير لنا في البقاء .
قال بلور : لست ارى مانعا .
وتمتم الطبيب : ان افضل ما نفعله هو ان يأوي كل منا الى غرفته وان كنا لن نستطيع النوم .
ومضوا نحو الباب . وقال بلور : وددت لو ان اعرف اين يوجد هذا المسدس الان .
وصعد الاربعة السلم .
ووقف كل منهم أمام باب غرفته ، ويده على الاكرة . وعندئذ ، وكأنما

تلبية لاشارة ما دخل كل منهم غرفته وأغلق الباب خلفه ، وتناهت الى الاسماع بعد ذلك اصوات المزاليج ، وقطع الاثاث وهي تنقل من اماكنها . وهكذا ، اوصد اربعة من البشر ، يتملكهم الذعر ، الابواب خلفهم لقضاء الليل .

***

اطلق فيليب لومبارد تنهيدة ارتياح بعد ان وضع مقعده تحت اكرة بابه ، وثبته بحيث لا يستطيع احد ان يفتحه من الخارج .

ثم مضى الى منضدة الزينة ، ونظر الى ملامحه في المرآة على ضوء الشمعة المتراقص ، وقال يحدث نفسه :

ـ انك مكرت ما استطعت الى المكر سبيلا يا صاحبي ، ولكن كل هذه المسائل قد بدات تبعث الاضطراب الى ذهنك .

وابتسم ابتسامة ذئب ، وفضا عنه ثيابه مسرعا ثم فتح درج الطاولة ، وما كاد يفعل حتى استولى عليه الذهول ، وراح ينظر الى المسدس الذي به وهو لا يصدق عينيه .

كانت فيرا كلايتون مستلقية فوق فراشها ، والشمعة لا تزال تحترق بجوارها ، فلم تواتها الشجاعة على اطفائها ..

كانت لا تنفك تقول : انني آمنة حتى صباح الغد . لم يقع شيء في الليلة الماضية ، ولن يقع شيء هذه الليلة .. لا شيء .. انني اغلقت بابي بالمفتاح والمزلاج ، ولا يمكن لاحد ان يدخل غرفتي .

ثم راحت تفكر وتقول: طبعا.. استطيع البقاء .. حبيسة في غرفتي. ومسألة الطعام مسألة ثانوية . يمكنني البقاء هنا الى ان يأتوا لنجدتنا . حتى اذا اضطررت الى البقاء سجينة في غرفتي يوما او يومين .

حسنا .. يمكنها البقاء في غرفتها اذن ؟.. ولكن هل تستطيع ذلك حقا ، هل تجد الجراة لكي تبقى وحدها في غرفتها ساعات طويلة دون ان تتحدث مع احد ودون ان تفعل شيئا .

وعادت ذكرياتها الى اقليم كورنواي والى هوجو وسيريل .. هذه الافكار الفظيعة التي تصر على ازعاجها .

«مس كلايتون .. لماذا تمنعينني من السباحة حتى تلك الصخرة ؟.. انني أعرف انني استطيع ذلك .

«هل تسمحين لي ان افعل اذن ؟..»

ـ ولكنك تفهم يا سيريل . ان امك شديدة القلق عليك . ولكن اصغ الي جيدا . تستطيع ان تسبح حتى تلك الصخرة ، وسأشغل امك بالحديث ونحن على الشاطىء لكي أحول اهتمامها عنك . وعندما تبحث عنك ستكون قد وقفت على الصخرة وتشير اليها . ستكون مفاجأة جميلة لها .

ـ آه . انت ظريفة يا مس كلايتون . سوف ألهو كثيرا .

وعدته . غدا .. كان هوجو ينوي ان يقضي نهار الغد في نيوكاي ، وعند عودته سيكون كل شيء قد انتهى .

نعم . ولكن لنفترض ان الامور تجري بصورة اخرى . لنفرض ان كل شيء يقع بخلاف ما تريد ؟ وان ينقذ احدهم سيريل في الوقت المناسب ؟ وعندئذ سيقول الغلام : «ان مس كلايتون هي التي سمحت لي بأن اذهب حتى الصخرة» . ولكن وبعد ؟ يجب ان تقوم ببعض المجازفة على كل حال ، واذا حدثت اسوأ الامور فسوف تواجه الموقف بشجاعة .

«كيف يمكن ان تنطق بمثل هذه الكذبة يا سيريل ؟ ولكنني لم اسمح لك بذلك ابدا . لن يضعوا قولها موضع الشك فان سيريل يجب ان يروي الاقاصيص ، ولا يمكن ان يصدقوه تماما . وسيفهم الغلام طبعا ، ولكن ما الاهمية ؟.. ستجري الامور كما تتوقع ، وستحاول ان تسرع الى نجدته ولكنها سوف تصل متأخرة .. لن يشك فيها احد .

«هل اشتبه هوجو فيها ؟.. ما معنى تلك النظرة الطويلة التي شملها بها ؟.. هل يعرف ؟

«ألهذا السبب أسرع بالاختفاء بعد انتهاء التحقيق ؟..

«انه لم يرد على الخطاب الذي ارسلته اليه .

راحت فيرا تتقلب فوق فراشها . كلا ، كلا . لا يجب ان تفكر في هوجو بعد الان فان ذكراه تعذبها كثيرا .. لقد انتهى كل شيء .

لماذا أحست هذه الليلة بالذات ان هوجو موجود بجوارها ؟

ورفعت عينيها الى السقف فرات الحلقة الكبيرة السوداء المثبتة فيه ، ولم تكن قد لفتت نظرها قبل ذلك .

لقد علق القاتل حشيشة البحر الطويلة في هذه الحلقة .. وسرت في بدنها رعشة وهي تتذكر اليد اللزجة التي مست عنقها .

وسحرتها تلك الحلقة الكبيرة ، وجذبت اهتمامها بصورة غريبة .



جلس مفتش البوليس السابق على حافة فراشه ، وراحت عيناه المحاومتان تتابع ظلال غرفته ، وبدا كما لو كان خنزيرا بريا يهم بالهجوم على عدوه . لم يشعر بأية رغبة في النوم .

لقد اصبح الخطر عاجلا ، وأخذ يزداد دنوا من وقت لآخر ، ولم يبق منهم ، هم العشرة غير اربعة . وراح يشخر في فرح وحشي .

ماذا قال هذا الكهل .. ليحتاط كل منا وليكن على حذر ..

هذا المنافق المسن .. كان يعتبر نفسه وهو يرأس المحكمة رسول الله في ارضه .. ولكنه لقي الان جزاءه على كل حال .

مات ستة اشخاص من العشرة الذين هبطوا الى الجزيرة .. ولم يبق غير اربعة .. فيرا ولومبارد وارمسترونج وهو نفسه .

ولكن لم يلبث ان يموت شخص سابع .. غير ان هذا الشخص لن يكون ويليام هنري بلور ، وسوف يحرص على ذلك .

ولكن اين ذلك المسدس ؟.. كانت هذه هي الناحية التي تثير القلق في المسألة .. المسدس !

وراح بلور يفكر في اختفاء المسدس مقطب الجبين . وسمع الساعة في الدور الارضي تعلن انتصاف الليل .

وارتخت أعصابه قليلا ، وتمدد فوق فراشه ، ولكن من غير ان يخلع ثيابه .

وبقي جامدا وقد غرق في افكاره ، وهو يستعيد في ذهنه الطريقة التي مرت بها الاحداث منذ قدومهم الى الجزيرة كما كان يفعل تماما حين كان يسجل تقاريره البوليسية التي كان يرسلها الى اسكوتلانديارد .

وراحت شعلة الشمعة تخبو ، فنفخ فيها واطفأها بعد ان تأكد من ان علبة الثقاب في متناول يده .

والغريب ان الظلام ضخم جزعه . ومرت بذهنه مخاوف جنونية ، وحلقت في الجو وجوه .. وجه القاضي وفوق راسه باروكة من الصوف الرمادي ، ووجه مسز روجرز البارد ووجه انتوني مارستون المتشنج .

وظهر وجه اخر أصفر بأنف تعلوه نظارة وشارب صغير .

وجه سبق ان رآه قبل ذلك .. ولكن اين ؟.. لم يره في الجزيرة .. كلا . ان هذا الوجه يعود الى وقت بعيد .. بعيد جدا .

ولكن الغريب انه لم يستطع ان يتذكر صاحب هذا الوجه المكشر المخيف .. وفجاة عادت اليه الذاكرة .. انه وجه لاندور .

كيف استطاع ان ينسى وجه لاندور بهذه الصورة ؟.. لقد حاول ،

قبل ذلك ان يستعيد قسماته عبثا .

ولكنه اصبح يرى لاندور الان في وضوح ، كما لو كان قد تحدث اليه بالامس .

كان لاندور متزوجا .. زوجة جميلة ، وكانت لها ابنة في الرابعة عشر تقريبا ، ولاول مرة تساءل بلور ماذا عساه حدث لها ؟..

المسدس .. اين المسدس ؟.. هذا هو السؤال الذي يعلو على كل الاسئلة . كلما فكر فيه كلما زاد الامر تعقيدا ..

هناك شخص يعرف اين يوجد ذلك المسدس .

ودقت الساعة في الدور الارضي تعلن الواحدة صباحا .

وتوقفت أفكار بلور على الفور ، وجلس على الفراش وقد تنبهت حواسه ، فقد سمع حركة ، حركة خافتة جدا في الناحية الاخرى من بابه .. كان هناك من يتحرك في البيت الذي يخيم عليه الظلام .

وتفصد جبينه بالعرق .. من ذلك الذي يتسلل خفية في الطرقة ؟ لا ريب انه شخص تحركه نوايا سيئة .. وانه ليقسم على ذلك .

وفي خفة ونشاط ، وعلى الرغم من بدانته ، وثب من فوق الفراش ، وفي خطوتين اثنتين كان بجوار الباب وقد ارهف اذنيه .

ولكنه لم يسمع شيئا ، ومع ذلك فان بلور كان مقتنعا بأنه لم يخطىء. لقد احتك بعضهم بباب غرفته . ووقف شعر راسه .

كان هناك شخص يمشي في الطرقة متسللا .. وأصاخ السمع من جديد ، ولكن الصمت عاد فخيم حوله .

واستولى عليه اغراء جديد .. تلهف على الخروج من غرفته لكي يرى ما يحدث في الخارج . لو يستطيع فقط ان يرى ذلك الشخص الذي يتسلل في الظلام !

ولكن من الجنون ان يفتح بابه ، لان هذا هو ما يتوقعه الاخر بلا ريب ، ولعله تعمد اصدار هذه الحركة لكي يخرج بلور من غرفته .

توتر بلور مكانه ، وتناهى الى سمعه الان صوت جديد ، صادر من كل مكان .. صوت احتكاك مصحوب بهمسات ، ولكنه لم يلبث ان ادرك ان كل ذلك انما هي أوهام من بنات افكاره .

وفجأة ، سمع صوتا .. ولكنه لم يكن واهما هذه المرة .. خطوات متلصصة حذرة ، ولكنها على الرغم من ذلك لم تفلت من اذن بلور المرهفة.

وعبرت الخطوات الطرقة في بطء ، وكانت غرفتا لومبارد وارمسترونج تقعان في اخره ، ومرت امام بابه هو بالذات .

اتخذ بلور قراره في نفس هذه اللحظة ، فقد اراد ان يعرف من ذلك المتسلل الليلي ، وكانت الخطوات تهبط الدرج حينئذ، وتساءل اين يمضي صاحبها ؟..

وعندما صمم على العمل تحرك بسرعة وبخفة لرجل في مثل بدانتـه فعاد الى فراشه ووضع علبة الكبريت في جيبه ثم رفع البريزة الكهربيـة الخاصة بالأباجورة الموجودة فوق الطاولة ، بجوار فراشه ، ولف السلك حول عمودها المعدني . وخطر له ان الاباجورة نفسها سلاح له وزنه فـي ساعة الخطر ، خاصة وان قاعدتها من الصلب .

ورفع المقعد من تحت أكرة الباب في حرص كبير ، ورفع المـــزلاج وفتحه . وتقدم في الطرقة . وجاء من البهو صوت خافت ، ومشى بلور بالجورب حتى درابزين السلم .

ومن هذه اللحظة ادرك لماذا سمع خطوات المجهول بكل وضوح ، فقد هدات الرياح ، وصفت صفحة السماء ، ومن نافذة البسطة دخل شعاع باهت للقمر اضاء البهو أسفل السلم .

ولمح بلور في لمحة خاطفة شبحا اندفع من الباب العمومي الى الخارج، فهبط السلم اربعا اربعا لكي يلحق به ، ولكنه لم يلبث ان توقف على الفور.

ذلك انه أوشك ان يتصرف تصرفا أحمق مرة اخرى . اليس هذا فخا نصبه له الهارب لكي يستدرجه خارج البيت ؟..

ولكن الشيء الذي لم يفهمه الاخر هو انه هو نفسه أقدم على حماقة واوقع نفسه في يدي بلور ، لان غرفة من غرف زملائه الثلاثة لا بد ان تكون شاغرة الان ، ولا بد له أن يعرف غرفة من هي .

وعاد بلور الى الطرقة مسرعا ، وطرق باب الدكتور ارمسترونج ولكن لم يجبه احد .

وانتظر دقيقة ثم مضى الى غرفة فيليب لومبارد . وهناك جاءه الرد على الفور : من الطارق ؟..

ــ انا بلور . يبدو ان ارمسترونج ليس في غرفته .. انتظر لحظة .

وطرق بابا اخر وهو يقول : مس كلايتون .. مس كلايتون .

وردت فيرا عليه قائلة في اضطراب : من ؟.. ما الخبر ؟..

ــ لا شيء يا مس كلايتون . انتظري لحظة فسوف اعود .

واسرع عائدا الى غرفة لومبارد . وكان هذا الاخير قد فتح البـــاب ووقف على عتبته والشمعة في يده اليسرى ، في حين كانت يده اليمنى في جيب بيجامته . وقال :

ـ ما الذي خدث بحق الشيطان ؟..
اخبره بلور بالموقف في بضع لحظات ، واتسعت عينا لومبارد وقال :
ـ ارمسترونج ؟.. هو مستر اوين اذن ؟..
ومضى الى غرفة الطبيب وهو يقول : معذرة ، ولكنني لا استطيع ان اصدق الان الا ما اراه .
وطرق الباب وهو يقول : ارمسترونج .. ارمسترونج ..
وجثا على ركبتيه ونظر من ثقب الباب ثم قال : ان المفتاح ليس بالباب.
ـ لا ريب انه اخذه معه .
قال لومبارد : هذا احتياط طبيعي تماما .. سوف نلحق به يا بلور . انه لن يفلت منا هذه المرة . ولكن دقيقة واحدة ..
وجرى نحو غرفة فيرا وقال : فيرا !..
ـ نعم .
ـ اننا سنبحث عن ارمسترونج ، فهو ليس في غرفته ، فلا تفتحي الباب لاحد ، هل تسمعين ؟..
ـ نعم .
ـ اذا جاء ارمسترونج وقال لك ان احدنا ؛ انا او بلور قد اصابه شيء فلا تصدقيه ولا تفتحي الباب الا اذا تكلمت انا او بلور . هل فهمت ؟
ـ نعم . انني لست غبية تماما .
وعاد الى بلور وقال له : فلنطارده الان .
قال بلور : ولكن لنبق على حذر . لا تنس ان المسدس معه .
قال فيليب وهما يهبطان السلم سريعا : انت مخطىء في هذه النقطة فان المسدس معي انا .
واخرج نصفه تقريبا من جيبه واستطرد : وجدته هذه الليلة في الدرج .. اعاده اليه من اخذه منه قبل ذلك .
توقف بلور على عتبة الباب على الفور ، ولاحظ فيليب ان وجهه امتقع فجاة ، فقال له محنقا :
ـ لا تكن غبيا يا بلور . انني لن اقتلك . عد الى غرفتك واوصد بابها عليك اذا اردت . اما انا فساذهب لمطاردة ارمسترونج .
وانصرف تحت ضوء القمر . وتردد بلور لحظة ثم تبعه وهو يقول :
ـ يخيل لي انني اسعى لحتفي ، ومهما يكن ..
مهما يكن فلم تكن هذه اول مرة يواجه فيها مجرمين مسلحين .
وكانت فيرا تنتظر نتيجة المطاردة . ولكنها جلست اثناء ذلك امام

طاولة الزينة وراحت تتجمل .

والقت نظرة الى الباب مرة او مرتين . كان بابا سميكا ومتينا . وكان مغلقا بالمفتاح والمزلاج . وكانت فيرا قد ثبتت تحت اكرته مقعدا بحيث لا يمكن تحريكها من الخارج .

كان لا بد من رجل اقوى بكثير من ارمسترونج لتحطيم هذا الباب .

وفكرت فيرا .. انها لو كانت مكان ارمسترونج للجأت الى الحيلة بدلا من القوة لتحطيم الباب .

وراق لها ان تفكر في الطريقة التي يمكن ان يلجأ ارمسترونج اليها .

في مقدوره ، كما ذكر لومبارد ، ان يزعم لها ان احد الرجلين قد قتل، ولعله يزعم انه هو نفسه أصيب اصابة قاتلة ويزحف بجوار الباب وهو يئن ويتألم .

ومرت بذهنها احتمالات اخرى ، قد يقول لها مثلا ان البيت يحترق ، وقد يشعل هو نفسه حريقا . ويمكنه ، بعد ان استدرج الرجلين الى الخارج ان يلقي عود ثقاب على سحابة من البنزين يكون قد سكبها من قبل، وتبقى هي ، كالغبية ، حبيسة في غرفتها .

ومضت الى النافذة ، لم يكن ارتفاعها عن الارض مخيفا ، واذا ما اعوزتها الضرورة فان في استطاعتها ان تهرب منها . والمسافة الى الارض عالية بعض الشيء ولكن كانت هناك روضة من الزهور تحت النافذة ستخفف من وقع الوثبة .

وجلست امام منضدتها واخذت تكتب مذكراتها في خط واضح ، فقد كان لا بد لها من ان تفعل شيئا لكي تقتل الوقت .

وتوترت في جلستها فجأة وارهفت السمع ، فقد سمعت صوتا .. خيل لها انه صوت أطباق انكسرت في الدور الارضي ، وظلت تنصت .

ولم تلبث ان سمعت ، او خيل لها انها تسمع وقع اقدام متلصصة ، وصريرا على السلم ، ولكنها لم تستطع ان تحدد كنه الشيء الذي سمعته واقتنعت اخيرا ، كما سبق ان فعل بلور ، بأنها كانت واهمة .

ولكنها سرعان ما سمعت اصواتا اخرى .. كانت واضحة جدا هذه المرة ، فقد سمعت اشخاصا تسير في الدور الارضي ، وهمسات ثم صعد بعضهم السلم ، وفتحت ابواب ثم أغلقت . وصعدت الاقدام الى غرفة الخدم حيث تضخمت الاصوات .

واخيرا ، اجتازت الاقدام الطرقة ، وسمعت صوت لومبارد يقول :

ـ فيرا .. أما زلت هنا ؟..

ـ نعم . ما الخبر ؟..

ـ هل لك ان تفتحي لنا ؟..

سارت الفتاة الى الباب ، ورفعت الكرسي وادارت المفتاح ، ثم رفعت المزلاج ، وفتحت الباب . ورات الرجلين امامها ، وكانا يلهثان ، وقد ابتلت قدماهما واسفل ثيابهما ، وقالت : ما الذي حدث ؟..

اجاب لومبارد : اختفى ارمسترونج .

اجفلت فيرا وصاحت : ماذا ؟

ـ انه اختفى من الجزيرة .. كما لو ان الارض قد ابتلعته .

قالت في امتعاض : ولكن هذا سخف ، لا ريب انه مختبىء .

اجاب بلور : ابدا . لا يوجد بالجزيرة اي مكان يصلح للاختباء .

قالت : لعله عاد الى البيت .

اجاب بلور : خطر لنا ذلك ، وفتشنا البيت من اسفله الى اعلاه ، ولا ريب انك سمعتنا . كلا . انه ليس هنا . واؤكد لك انه اختفى .

ـ لا اصدق ذلك .

قال لومبارد : انها الحقيقة مع ذلك .

وسكت برهة ثم قال : واريد ان اقول لك شيئا اخر . لقد تحطم لوح من الزجاج بغرفة الطعام .. ولم يبق فوق المائدة غير ثلاثة تماثيل .

- ١٥ -

جلس ثلاثة اشخاص في المطبخ يتناولون افطارهم .

وكانت الشمس تسطع في الخارج ، وبدا اليوم جميلا رائعا ، وهدأت العاصفة واصبحت في خبر كان .

واحدث تغير الجو تغيرا في طباع اسرى الجزيرة .

بدا لهم انهم يخرجون من كابوس فظيع. كان الخطر لا يزال قائما طبعا، ولكنهم يواجهونه الان في وضح النهار ، فقد تلاشى جو الخوف الرهيب الذي شل حركاتهم طوال الليل والذي طواهم كالكفن بينما كانت الرياح تصفر وتهدر في الخارج .

وقال لومبارد يقترح على زميليه : ما رايكما في ان نرسل اشارات شمسية بواسطة مرآة ، ونحن وقوف على اعلا قمة في الجزيرة . قد يكون هناك ، على الشاطىء صياد ذكي وشجاع فيرى هذه الاشارات ويفهم انها طلب استغاثة ، وقد نستطيع ان نشعل نارا كبيرة بالليل ، ولكن لسوء

الحظ لا يوجد خشب كثير ، ومن ناحية اخرى ، فمن المحتمل ان يسيء الاهالي الظن ويحسبون اننا نقيم حفلة راقصة .

قالت فيرا . لا ريب ان هناك من يعرف المورس فيسرع الى نجدتنا.. قبل هبوط الليل .

قال بلور : لقد راقت السماء ، ولكن البحر لا يزال هائجا ، والامواج عنيفة ، ولا يمكن ان تقترب اية سفينة من الشاطىء قبل صباح الغد .

صاحت فيرا : معنى هذا اننا سنقضي ليلة اخرى هنا .

هز لومبارد كتفيه وقال : من الاوفق ان نستسلم للواقع . ومهما يكن فلن يزيد الامر عن اربع وعشرين ساعة اخرى ، واذا استطعنا ان نصمد حتى اخرها فستكتب لنا النجاة .

تنحنح بلور وقال : من الاوفق ان ندرس الموقف عن كثب . ماذا حدث لارمسترونج ؟..

قال لومبارد : مهما يكن فلدينا دليل اثبات فلم يبق في غرفة الطعام غير ثلاثة تماثيل ، وهذا معناه ان ارمسترونج قد لقي حتفه .

اجابت فيرا : كيف لم تعثرا على جثته اذن ؟..

قال بلور : انك على حق .

هز لومبارد راسه وقال : نعم . هذا غريب . اننا لم نستطع العثور عليها .

وقال بلور : ربما القيت في البحر .

صاح لومبارد محنقا : ومن الذي القاها ؟.. انت ؟.. او انا ؟ انك رايته يخرج من الباب العمومي واتيت الى غرفتي لكي تخبرني بذلك . وفتشنا الجزيرة والبيت معا ، فمتى استطعت بحق الشيطان ان اقتله وأن انقل جثته الى اخر الجزيرة .

قال بلور : لا أعلم . ومهما يكن فانني أعلم شيئا .

سأله لومبارد : وما هو ؟..

ــ بخصوص ذلك المسدس .. انه مسدسك ، وهو معك الان ، ولا شيء يثبت انه فارقك ابدا .

ــ ما هذا الذي تقول يا بلور ؟ انك تعلم جيدا ان كلا منا فتش تفتيشا دقيقا .

ــ هذا صحيح . ولكن لا ريب انك اخفيته قبل التفتيش ، ثم استعدته بعد ذلك .

ــ انك غبي كالحمار . أقسم لك ان الذي سرقه من درجي أعاده اليه،

وقد كدت أصعق لفرط الدهشة التي انتابتني عندما رأيته .

صاح بلور : ولكن من تحسبني ؟.. ولماذا اعاده ارمسترونـج او اي شخص اخر اليك ؟..

هز لومبارد كتفيه يائسا وقال : ليست لدي اية فكرة . ولكن كل هذا يبدو لي عملا جنونيا . ان هذه القصة ليس لها اول ولا اخر .

قال بلور موافقا: هذا صحيح. كان في مقدورك انتختلق قصةافضل.

ـ وهذا اصدق دليل على انني اقول لك الحقيقة .

ـ ليس هذا رأيي .

ـ كنت اتوقع هذا .

ولم تشترك فيرا في هذا الحديث ، ولكنها تدخلت اخيرا وقالت :

ـ انكما تتصرفان كالاغبياء .

قال لومبارد وهو ينظر اليها : وكيف هذا ؟..

ـ انسيتما الاغنية ؟..

وراحت تقول في لهجة لها مغزاها :

اربعة اطفال هنود ركبوا البحر .

ابتلع سمك القرش واحدا فلم يبق الا ثلاثة .

واستطردت تقول : ان ارمسترونج لم يمت . انه اخذ التمثال الخزفي لكي تعتقدا انه مات . ولكما ان تقولا ما تشاءان .. اما انا فأقــول ان ارمسترونج ما زال موجودا في الجزيرة ، وان اختفاءه حيلة لخداعكما .

قال لومبارد وهو يجلس : لعلك على حق على كل حال .

ولكن بلور اعترض قائلا : ان قولك هذا يدل على ذكاء كبير . ولكن اين يختفي صاحبنا اذن ؟.. اننا فتشنا الجزيرة كلها .

قالت فيرا في ازدراء : ومع ذلك فقد فتشنا عن المسدس في كـل مكان ، اليس كذلك ؟.. وضاعت كل ابحاثنا سدى ، مع آن المسدس لم يغادر الجزيرة .

تمتم لومبارد : ولكن هناك اختلاف في الحجـم بين المسدس وبين الرجل على كل حال .

قالت فيرا : ليست هناك اية اهمية . انني واثقة انني غير مخطئة .

تمتم بلور : ان مستر اوين قد فضح نفسه بهذه الاغنية . كان فـي مقدوره ان يغيرها شيئا ما .

ـ الا تفهمان اننا نواجه مجنونا ؟ من الجنون ارتكاب جرائم قتل طبقا لفقرات احدى اغاني الاطفال . وان الباس القاضي ذلك المعطف الاحمـر

وقتل روجرز وهو يقتطع الخشب ، ودس المخدر في شراب مسز روجرز لكي لا تستيقظ ، واطلاق نحلة في الغرفة في الوقت الذي ماتت فيه مس برنت .. كل هذه اعمال صبيانية قاسية . ولكن يجب ان يسير كل شيء حسب الاغنية .

قال بلور : هذا صحيح .

وفكر لحظة ثم استطرد : مهما يكن فلا توجد حديقة حيوانات في الجزيرة ، وسيجد صعوبة كبيرة لكي يطبق هذه الفقرة من الاغنية .

صاحت الفتاة : الا تفهمان ؟.. حديقة الحيوانات ؟.. حديقة الحيوانات .. انما الحيوانات هي نحن . لقد فقدنا سمة البشر منذ مساء امس ، واؤكد لكما اننا الان لسنا اكثر من حيوانات .

***

قضوا الصبيحة جالسين فوق الصخرة يرسلون ، كل بدوره ، اشارات شمسية بواسطة مرآة الى القرية .

ولكن يبدو ان احدا لم ير هذه الاشارات ، فلم تأتهم اشارة ردا على اشاراتهم على كل حال ، كان الوقت جميلا وقد انتشرت في الجو سحابة خفيفة من الضباب ، وتحت اقدامهم كان البحر يرسل امواجه العنيفة العاتية فتتكسر على صخور الشاطىء .

ولم تظهر في الافق اية سفينة .

وكانوا قد قاموا بتفتيش الجزيرة مرة اخرى ولم يجدوا اي اثر للطبيب المختفي .

ورفعت فيرا عينيها ونظرت الى البيت ، من المكان الذي يجلسون فيه وقالت :

ـ انني اشعر بأنني ، هنا ، في الهواء الطلق ، احسن . لا يجب ان نعود الى البيت .

قال لومبارد : ان فكرتك هذه رائعة ، فاننا هنا في امان . واذا اراد احد ان يهاجمنا فسوف نراه وهو قادم .

قالت فيرا : حسنا . فلنبق هنا اذن .

وقال بلور : ولكن لا بد لنا من العودة الى البيت لقضاء الليل على كل حال .

ارتجفت فيرا وقالت : ان هذه الفكرة نخيفني . لن اطيق قضاء ليلة

اخرى كتلك التي انقضت .

قال فيليب مواسيا : ومع ذلك فليس هناك ما تخشينه .. بعد ان تغلقي عليك باب غرفتك .

تمتمت فيرا وهي لا تشعر باطمئنان كبير : ربما .

وبسطت يدها واردفت تقول : انه لجميل ان يرى المرء الشمس من جديد .

وفكرت تقول : ما اغرب هذا . انني اكاد اكون سعيدة . ومع ذلك فان ايامي في خطر ، ومهما يكن فلا شيء يزعجني اثناء النهار ، فانني اشعر بانني قوية جدا ، وانني في مناعة ضد الموت .

نظر بلور الى ساعة يده وقال : الساعة الثانية ؟.. والفداء ؟

ـ اقول لك انني لن اعود الى البيت .. اريد ان ابقى هنا ، في الهواء الطلق .

ـ ولكن ليس هذا من الحكمة في شيء يا مس كلايتون . لا بد لنا من ان نقتات على كل حال .

ـ ان مجرد رؤية علبة من لحم البقر سيصيبني بالغثيان . لا اريد اي طعام . ان بعض الناس يتبعون رجيما خاصا ويبقون بغير طعام اياما طويلة .

قال بلور : اما انا فلا استطيع ان استغني عن وجباتي الثلاث اليومية يا مستر لومبارد .

ـ انني لا احب لحم البقر كثيرا انا الاخر ، وسأبقى برفقة الانسة كلايتون .

تردد بلور . وقالت له فيرا :

ـ اوه ، لا تشغل بالك بي . لا اظن انه سيقتلني بمجرد ان تولينا ظهرك .. اذا كان هذا ما تخشاه فيمكنك ان تتصرف دون خوف .

قال بلور : اذا كان هذا رايك فأنت وشأنك . ولكن لا تنسى اننا اتفقنا على الا يفترق احدنا عن الاخر .

قال لومبارد : هل تصر على الذهاب الى عرين الاسد ؟.. سآتي معك، اذا اردت .

اسرع بلور يقول : كلا . لست بحاجة اليك . فلتبق مكانك .

انفجر فيليب ضاحكا وقال : االى هذا الحد ؟ ولكن لو انني كنت اريد ان اقتلكما لاطلقت عليكما الرصاص الان .

قال بلور : هذا صحيح . ولكنك ستغير برنامجك اذا فعلت ذلك ، فيجب ان نختفي واحدا واحدا وبطريقة معينة .

قال لومبارد : يبدو انك تعرف الكثير عن هذه المسألة .

ـ الواقع انني لا اشعر بالاطمئنان لمجرد فكرة ذهابي وحدي الى هذا البيت .

اختتم فيليب الحديث فقال ساخرا : واظنك تريد ان أعيرك المسدس. اليس كذلك ؟.. حسنا . انني لن أعيرك اياه ..

هز بلور كتفيه وهبط المنحدر المؤدي الى البيت مسرعا . وقال لومبارد في خبث :

ـ طعام الحيوانات المتوحشة الموجودة في جنينة الحيوانات .. ان الحيوانات تحب ان تتناول طعامها في اوقات محددة .

سألته فيرا في قلق : هل يتعرض بلور الى خطر كبير بذهابه الى البيت وحده ؟..

ـ كلا . ليس بالمعنى الذي تتصورينه . ان ارمسترونج ليس مسلحا . ومن الناحية البدنية ، فان بلور اقوى منه بكثير ، وفوق ذلك فانه على حذر ، ومن رايي ان ارمسترونج ليس في البيت ، فانني أعلم انه ليس فيه.

ـ اذا لم يكن ارمسترونج هو القاتل فمن يكون ؟..

اجاب فيليب : انه بلور دون اي شك .

ـ حقا ؟.. هل تعتقد ذلك ؟..

ـ اسمعي يا صديقتي العزيزة ، انك سمعت رواية بلور ، واذا كنت تعتبرينها صحيحة فانني بريء تماما من اختفاء ارمسترونج ، فان اقواله تبرئني ، فهو يقول انه سمع اصواتا اثناء الليل ، ورأى رجلا يهرب من الباب العمومي ، ولكن ربما كان قوله هذا كله كذبا .. وربما تخلص من ارمسترونج قبل ذلك بساعتين .

ـ بأية طريقة ؟..

هز لومبارد كتفيه وقال: اننا نجهل ذلك. ولكن اذا اردت ان تصدقيني فليس هناك من نخشاه غير شخص واحد ، وهو بلور . ماذا نعرف عنه ؟.. انه لم ينتم ابدا الى رجال البوليس دون اي شك ، وفي المقدور ان يكون كل ما نريد .. مليونير مخبول .. او رجل اعمال مجنون .. او مجنون هارب من مستشفى المجاذيب . ولكن هناك حقيقة مؤكدة ، وهي انه استطاع ارتكاب كل هذه الجرائم .

امتقعت فيرا وهي تسمع هذا القول وتمتمت تقول في همس :

ـ واذا خطر له الان .. اذا هاجمنا الان ؟..

اجاب لومبارد في هدوء وهو يداعب قبضة مسدسه : ان عيني

مفتوحتان ، فاطمئني .

ثم نظر الى الفتاة نظرة غريبة وقال : انك تضعين في ثقة مطلقة يـــا فيرا ، وانني اشكرك على ذلك ، ولكن لماذا تثقين هكذا في انني لن اقتلك؟.

اجابت : يجب ان يثق المرء في شخص ما ، واظن انك تخطىء اذ تتهم بلور . اما انا فانني اشك في ارمسترونج .

وفجأة تحولت نحو زميلها وقالت : الا تشعر ذلك الشعور الدائم بأن هناك من يراقبك ؟..

ـ انها مجرد مسأله عصبية .

قالت فيرا في اصرار : انت ايضا احسست بهذا الاحساس اذن .

وانحنت نحو الشاب وهي تنتفض وقالت : قل لي .. الا تظن .

ثم امسكت عن الكلام .

وسألها لومبارد يقول بعد صمت وجيز : انك تركت ذلك الطفل يغرق، اليس كذلك ؟..

اجابت فيرا ساخطة : كلا ، كلا . انـــي امنعك من التلميح بمثـــل هذا الشيء .

راح يضحك وقال : بل هذه هي الحقيقة يا عزيزتي . انني لا اعرف السبب ، ولكنني أخمن ان هناك رجلا وراء ذلك .

استولى على الفتاة اعياء مفاجىء وتعب شديد وتمتمت تقول في سأم: نعم .. كان هناك رجل .

قال لومبارد : شكرا .. هذا ما اردت ان اعرف .

واعتدلت فيرا في جلستها فجأة وهتفت : ما هذا الذي اسمع ؟.. يخيل لي ان الارض زلزلت .

قال لومبارد : كلا .. كلا .. ولكن هذا غريب . يبدو انه صـــوت ارتطام شيء ، ويخيل لي انني سمعت شخصا يصرخ . ألم تسمعيه انت؟.

ونظر كل منهما الى البيت .

ـ ان الصوت جاء من هذه الناحية . هلمي بنا لكي نرى ما هناك .

قالت الفتاة : كلا ، كلا ، لن اذهب .

ـ كما تشائين . سأسرع انا لكي استطلع الامر على كل حال .

وقالت فيرا على مضض : حسنا ، انني آتية معك .

وعادا الى البيت معا ، وبدت الشرفة تحت اشعة الشمس ساكنة ، يخيم عليها الهدوء . وترددا لحظة قبل ان يدخلا من الباب العمومي ، ودار بالبيت وهما يتوخيان الحذر .

واكتشفا بلور ممددا على الارض ، وذراعاه مبسوطتان كالصليب فوق الشرفة الصخرية من الناحية الشرقية من البيت وقد شجت راسه من تأثير ضربة أصابته بقاعدة من الرخام الابيض .

ورفع فيليب عينيه وقال : من الذي كان يشغل هذه الغرفة ؟

اجابت فيرا في صوت خافت مضطرب : انا ، وانني أعرف الساعة الرخامية التي كانت فوق المدفأة .. انها مصنوعة في هيئة دب .

وكررت وهي ترتجف لفرط اضطرابها : انها في هيئة دب .

* * *

امسكها فيليب من كتفيها وقال في صوت كئيب : لقد وضح الامر ، ان ارمسترونج يختفي في مكان ما من هذا البيت . لن يفلت مني هذه المرة .

ولكن فيرا احتجزته قائلة : توخ الحذر . ان الدور علينا الان ، وهو يريد ان نمضي لكي نبحث عنه .

غير لومبارد رأيه وقال : لعلك على حق .

صاحت الفتاة : يمكنك ان تعترف هذه المرة انني لم اخطىء .

ـ تماما . كنت على صواب . ان ارمسترونج هو الجاني تماما . ولكن اين يختبىء بحق الشيطان ؟.. انني فتشت انا وبلور الجزيرة والبيت بكل دقة .

قالت فيرا : اذا كنت لم تجده هذه الليلة فان الفرصة قليلة في ان تجده الان .

ـ نعم . ولكن ..

ـ لا ريب انه دبر لنفسه مخبأ امينا قبل قدومنا الى الجزيرة ، ولا شك ان بالبيت مخبأ سريا لم تهتديا اليه .

هز لومبارد راسه وقال : هذا محال . ان هذا البيت حديث البناء ، وليس به اية مخابىء سرية من تلك التي كان يتفنن اصحاب البيوت في اقامتها في العصور القديمة . وقد فتشنا كل غرفة وكل ركن فيه ، ولم نجد شيئا .

قالت فيرا : لا ريب انكم اخطأتم .

ـ اود ان اتأكد ..

ـ تود ان تتأكد .. هذا هو ما يرجوه تماما . انه يختبىء في مكان ما وينتظرك .

اخرج لومبارد المسدس من جيبه وقال : لا تنس ان معي سلاحا .

ـ ولكنك كنت تقول عن بلور انه ليس هناك ما يخشاه ، وانه يمكن ان يواجه ارمسترونج . انه كان اقوى منه بدنيا ، غير ان الاخر كان على حذر. ولكن الشيء الذي لا نحسب له حسابا هو ان ارمسترونج مجنون ، والمجنون يتميز دائما على غيره لانه يبدي من الذكاء ما يفوق ذكاء الرجل الطبيعي .

اعاد لومبارد المسدس الى جيبه وقال : سأبقى هنا .

***

سأل لومبارد زميلته فقال : ماذا سنفعل عندما يهبط الليل ؟.. .

لم تنطق فيرا فعاد يقول محنقا : الم تفكري في هذا ؟..

كررت قوله في يأس : ماذا سنفعل ؟.. أواه ، يا الهي ، انني خائفة .

قال لومبارد : ان الطقس جميل والقمر بدر ، فلنبحث عن مكان في اعلا الصخرة ، ونجلس فيه وننتظر طلوع النهار . ولكن لا يجب ان يغلبنا النوم . ولنتول الحراسة بالمناوبة طوال الليل ، واذا اقبل احد نحونا فسوف اقتله .

وقال بعد صوت قصير : ربما تصابين بالبرد بمثل هذا الثوب الرقيق.

ضحكت ضحكة مغتصبة وقالت : اصاب بالبرد ؟.. بل انني سأتعرض للاصابة به اكثر اذا انا مت .

ـ هذا صحيح .

نهضت فيرا ومشت بضع خطوات وهي ترتجف وقالت : سوف اجن اذا بقيت هنا من غير ان اتحرك . فلنمش قليلا .

قال لومبارد : كما تشائين .

واخذا يتمشيان بطول الصخور التي تشرف على البحر . وكانت السماء تنحدر نحو الغرب ، واخذت اشعتها تتحول الى الوان غاية في الرقة وتشملهما بضوء ذهبي .

وضحكت ضحكة صغيرة عصبية وقالت تخاطب لومبارد : مما يؤسف له اننا لا نستطيع ان نستحم .

وتحول فيليب بعينيه الى البحر وصاح يقول فجأة : ما هذا الذي هناك ؟.. هناك بجوار الصخرة الكبيرة ؟.. كلا .. ابعد قليلا ، نحو اليمين .

حدقت فيرا في المكان الذي اشار اليه وقالت : يخيل لي انها كتلة من الثياب .

قهقه لومبارد وقال : هو شخص يستحم اذن .. غريب !.. بل اظن بالاحرى انه كتلة من حشيش البحر .

قالت فيرا : فلنمض اليه لكي نتحقق .

قال لومبارد وهما يقتربان : انها ثياب .. وهذا حذاء .. تعالى من هنا .

وتقدما فوق الصخور وهما يمشيان على اربع . وقالت فيرا فجأة :

ـ انها ليست ثياب ، انما هو رجل ..

كانت الجثة محشورة بين صخرتين حيث دفعتها الامواج قبل ذلك بساعات .

وبمجهود اخير وصل لومبارد وفيرا بجوار الغريق ، وانحنيا فوق الوجه الذي غاض منه اللون واصفر .. وتورم .. وصاح لومبارد :

ـ يا الهي !.. انه ارمسترونج ..!

- ١٦ -

خيل لهما انه مرت دهور .. وان دنا تدور وتختفي في العدم ، وان الوقت لا يمر ، وان آلافا من الاجيال تتعاقب .

ومع ذلك ، فلم تمر بهما غير دقيقة واحدة .

ووقفا امام الجثة ولم يفارقاها بعينيهما .

وفي بطء .. في بطء شديد ، رفعت فيرا كلايتون راسها ، وكذلك فعل فيليب لومبارد ، وتلاقت نظراتهما .

انفجر لومبارد ضاحكا وقال : حسنا . ما رايك الان يا فيرا ؟..

اجابت في صوت خافت جدا حتى بدا كالهمس : لا يوجد احد في الجزيرة .. لا يوجد احد غيرنا نحن الاثنان .

ـ تماما . وقد اصبحنا الان على بينة من الامر .

ـ كيف وقعت القاعدة الرخامية من النافذة في اللحظة المناسبة ؟

هز لومبارد كتفيه فقال : لا ريب ان في الامر سحرا .

والتقت عيناهما من جديد ، وفكرت فيرا : كيف حدث انني لم الحظ وجهه ابدا ؟.. انه يبدو كوجه الذئب بأسنانه الطويلة الحادة .

قال لومبارد بصوت اشبه بزمجرة حافلة بالتهديد : هذه هي النهاية.

انا نقف الان امام الحقيقة .. هذه هي النهاية ..

اجابت فيرا بكل هدوء : نعم . انني افهم .

وجال بصرها بالمحيط . لقد تأمل الجنرال ماك ارثر البحر هو الاخر ، وتأمله طويلا . ولكن ، متى كان ذلك ؟ امس ؟.. او لعل ذلك كان اول امس .. وقد نطق هو ايضا بهذه العبارة : «هذه هي النهاية» . قالها في استسلام ، وسرور تقريبا .

ولكن فيرا استولى عليها الغضب لهذه الذكرى .

ـ كلا ، كلا . هذه ليست النهاية .

انحنت الفتاة فوق الجثة من جديد وقالت : يجب ان نحمله من هنا وان ننقله الى البيت .

قال متهكما : لكي يكون برفقة الجثث الاخرى ؟.. وبهذا ينتظم كل شيء .. فيما يتعلق بي فانني لن المسه .

قالت فيرا : ان اقل ما نستطيع عمله هو ان نرفعه قليلا فوق الصخور لكي يكون في منأى من الامواج .

عاد لومبارد يضحك وقال : فليكن .

وانحنى ، وجر الجثة نحوه ، واعتمدت فيرا عليه لكي تساعده ، وبذلت كل قواها . وراح لومبارد يلهث وقال : انها مهمة شاقة .

واخيرا ، افلحا في جر الجثة الى مكان بعيد عن الأمواج ، واعتدل الشاب في وقفته وقال لزميلته :

ـ هل انت راضية الان ؟..

ـ نعم . تماما .

وادهشته لهجتها ، فتحول اليها فجأة . وفي اللحظة التي رفع يده فيها الى جيبه عرف انه اصبح خاليا .

وكانت فيرا قد ارتدت خطوتين الى الخلف ، ووقفت تواجهه والمسدس في يدها .

وقال ساخرا : اذن فهذا سبب اهتمامك النسوي . اردت ان تسرقي مني المسدس .

اومأت براسها بالايجاب، وامسكت بالمسدس بيد ثابتة .

وراح الموت يحوم حول فيليب لومبارد الان ، ولم يشعر ابدا بأنه كان اقرب منه كما شعر في تلك اللحظة .

ولكنه مع ذلك ، لم يقر بالهزيمة .

وراحت فيرا تضحك بدورها ، وقال لومبارد في اصرار : كفى ..

اعطني هذا المسدس .
وراح ذهنه يعمل في وضوح . كيف يفعل لكي يسترد المسدس ؟ هل يحدثها في رفق ويهدىء مخاوفها او يأخذه منها على غرة ؟..
كان لومبارد مجازفا طوال حياته . وقد اتخذ هذه المرة ايضا طريقته المفضلة ، فقال متمهلا وقد صمم على استخدام الحجج المقنعة :
ـ اسمعي يا صديقتي العزيزة .. اصغي الي جيدا .
واندفع نحوها في هذه اللحظة بالذات .. بأسرع من الفهد .
ولكن فيرا كانت اسرع منه فضغطت على الزناد .
واصابته الرصاصة في وثبته وردته الى الخلف ووقع فوق الصخرة.
واقتربت فيرا منه والمسدس في يدها على استعداد لاطلاق الرصاص مرة اخرى . ولكن لم يكن هناك اي داع لذلك ، فقد مات لومبارد برصاصة أصابته في قلبه .
احست فيرا بارتياح لذيذ ، فقد انقشع الكابوس ولم يعد هناك ما تخشاه ، ويمكن لاعصابها ان تسترخي كما تريد .
فقد اصبحت وحدها في الجزيرة . وحدها مع تسع جثث .
ولكن ما المهم الان ؟.. الم تبق على قيد الحياة ؟
وجلست فوق الصخرة وراحت تتذوق سعادة غامرة ، وهدوءا تاما. فلم يعد هناك ما تخشاه .
وكانت الشمس توشك على المغيب عندما قررت اخيرا العودة الى البيت ، فقد شل رد الفعل حركاتها حتى ذلك الوقت .
كانت افكارها كلها قد تركزت حول ذلك الاحساس المريح بالامان .
اما الان فقد احست بحاجتها الى الاكل والنوم ، ولم تعد تبغي شيئا ، غير الاستلقاء فوق الفراش والاستغراق في النوم .
ربما يأتون لنجدتها غدا ، ولكنها لم تعد تشعر بأي انزعاج ، وقد طاب لها البقاء في الجزيرة الان بعد ان اصبحت وحدها .
أوه ، شد ما تستمتع بهذا السلام الذي طالما اشتاقت اليه .
ونهضت واقفة وحولت بصرها نحو البيت .
لم تعد تخاف شيئا ، وهذا البيت الحديث الجميل لم يعد يوحي اليها بأي ذعر ، ومع ذلك فمنذ ساعات فقط لم تكن تستطيع ان تنظر اليه من غير ان ترتعد . الخوف .. ما اغربه من شيء !
لقد تغلبت على مخاوفها الان ، وبفضل ذكائها وسرعة بديهتها قلبت الامور وحطمت ذلك الذي كان يريد ان يقتلها .

ومضت فيرا نحو البيت .
وفي الغرب ، كانت الشمس ترسل خيوطا حمراء برتقالية اللون ، كان السلام والامان يخيمان على الجزيرة كلها .
وفكرت فيرا قائلة : لعله لم يكن غير حلم فظيع .
شد ما تشعر بالتعب .. وبالتعب الشديد .. ان اعضاءها تؤلمها جفنيها ينطبقان .. ليس هناك ما تخشاه بعد .. ولكنها تتمنى ان تنام ي هدوء ، وقد اصبحت الان وحدها في الجزيرة .
طفل هندي الفى نفسه وحيدا ..
ودخلت البيت من الباب الامامي .. كان كل شيء فيه ساكنا .
وفكرت فيرا : العادة ان المرء يخاف ان ينام في بيت في كل غرفة منه تقريبا جثة .
ومرت امام باب غرفة الطعام ، ورات انه لا يزال هناك ثلاثة تماثيل صغيرة فوق المائدة فانفجرت ضاحكة وقالت في صوت عال :
– يبدو لي انكم لا تسايرون الاحداث يا اصدقائي .
واخذت اثنين منهما وطوحت بهما من النافذة فتحطما فوق السرير ثم التقطت الثالث وحدثته قائلة :
– تعال معي يا صغيري . اننا كسبنا المعركة .. كسبناها بحق .
ولم يكن ينير البهو غير ضوء الشفق الضعيف .
وضغطت فيرا على التمثال الصغير في يدها ، وصعدت السلم في بطء فقد كان التعب شديدا بحيث راحت تجر قدميها .
طفل هندي الفي نفسه وحيدا .
ولكن كيف تنتهي هذه القصة ؟.. آه .. انني أتذكر .
تزوج ولم يبق منهم احد .
تزوج .. ما اغرب هذا .. ومن جديد خامرها احساس بأن هوجو موجود في البيت . نعم .. هوجو موجود فوق وينتظرها .
وقالت تحدث نفسها : لا تكوني حمقاء ، انك متعبة وتتولد في ذهنك اغرب الاشياء .
واذ بلغت اعلا السلم تركت شيئا يفلت من يدها خففت السجادة السميكة من وقع اسقطته . ولم تلحظ عندئذ ان المسدس وقع من يدها لانها لم تكن تفكر الا في تمثال الهندي الذي تضغط عليه .
وقفت الان امام باب غرفتها . كان هوجو ينتظرها في الداخل ... كانت واثقة من ذلك .

وفتحت الباب ، وأطلقت صرخة تنم عن الدهشة .

ما هذا الذي يتدلى من الحلقة التي في السقف .. حبل وفي طرفه أنشوطة جاهزة ، وكرسي لكي تصعد عليه .. كرسي تقلبه بعد ذلك بركلة من قدمها . هذا هو ما يريده هوجو .

وهذا ما يقوله المقطع الاخير من الاغنية طبعا .

فشنق نفسه ولم يبق منهم احد .

وأفلت التمثال الصغير من يدها ، ولم تهتم به ، وتدحرج واصطدم بحافة المدفأة وانكسر .

وتقدمت فيرا في حركات آلية . سينتهي كل شيء في هذا المكان ، حيث لمست عنقها يد رطبة باردة .. يد سيريل طبعا .

ولكن شد ما عذبها تبكيت الضمير بعد ذلك .

وصعدت فوق الكرسي ، وعيناها ثابتتان ومفتوحتان كما يفعل الشخص الذي يمشي وهو نائم .. ووضعت الانشوطة حول عنقها .

لقد كان هوجو موجودا وهو يحرص على ان تفعل ما يريد .

وبركلة من قدمها قلبت الكرسي .

خاتمة

قال سير توماس ليج مساعد مدير البوليس بادارة اسكوتلانديارد في لهجة محنقة :

ــ ولكن هذه قصة لا يمكن تصديقها .

اجابه مفتش البوليس مين في احترام : اترف هذا ايها الرئيس .

واستطرد مساعد مدير البوليس يقول : عشرة من الموتى وما من احد على قيد الحياة في الجزيرة .. ان هذا غير معقول .

اجاب المفتش في هدوء : ولكن هذا ما تحققنا منه ايها الرئيس .

ــ عجبا . لا بد ان احدا قد قتلهم يا مين .

ــ وهذا ما يثير حيرتنا ايها الرئيس .

ــ اليس هناك اي دليل في تقرير الطبيب الشرعي ؟..

ــ كلا ايها الرئيس . قتل كل من وورجريف ولومبارد برصاصة من مسدس . الاول في رأسه والاخر في قلبه . وماتت مس برنز ومارستون من تأثير جرعة كبيرة من الكورال . وشجت راس روجرز ببلطة . وتحطمت راس بلور بقاعدة ثقيلة من الرخام ، ومات ارمسترونج غريقا . ومات ماك

ارثر متأثرا من ضربة شديدة اصابته على نافوخه . اما فيرا كلايتون فقد ماتت شنقا .

قطب مساعد مدير البوليس جبينه وقال : قصة قذرة جداً .

وفكر بضع لحظات ثم قال محتدا : ألم تستطع الحصول على اية معلومات من اهالي ستيكلهافن ؟.. هذا غريب .. ومع ذلك فلا بد انهم يعرفون شيئا .

هز المفتش كتفيه وقال : انهم من الصيادين البواسل ، وكل ما يعرفونه هو ان الجزيرة اشتراها رجل يدعى مستر اوين .

- ومن الذي كان يهتم بشراء التموين ويحرص على راحة القوم ؟

- رجل يدعى موريس .. اسحق موريس .

- وماذا يقول عن كل ذلك ؟..

- انه لا يستطيع ان يقول شيئا ايها الرئيس ، فقد مات .

تجهم وجه الرئيس وقال : وهل لدينا معلومات عن هذا المدعو موريس ؟..

- نعم ايها الرئيس . معلومات لا بأس بها . انه لم يكن رجلا محترما ابدا ، فقد اتهم في قضية التهريب الكبرى التي كان يتزعمها بنيتو منذ ثلاث سنوات .. ولكننا لم نستطع ان نجمع ما يكفي من الادلة لادانته ، وقد اشترك كذلك في فضيحة المخدرات ، وافتقرنا الى الادلة في هذه القضية ايضا .. لقد كان موريس هذا رجلا حريصا جدا .

- وهل هو الذي قام باجراءات شراء الجزيرة ؟..

- نعم ايها الرئيس ، ولكنه اكد انه يشتريها لحساب عميل مجهول .

- قد نستطيع ان نهتدي الى سر هذه الجريمة اذا نحن فحصنا سجلات حساباته .

ابتسم المفتش وقال : ارى انك لا تعرف موريس هذا . انه كان بارعا في تزييف الارقام بحيث ان أقدر الخبراء لا يمكن ان يكتشف شيئا ، وقد تأكدنا من ذلك في قضية بنيتو . تأكد انه عقد اموره بحيث لا نهتدي الى اي اثر .

تنهد مساعد مدير البوليس واستطرد مين : قام موريس بكل الاجراءات . واتفق مع موردي ستيكلهافن بصفته مندوبا لمستر اوين ، وهو الذي روى للاهالي ان هناك تجربة في الجزيرة وان بعض اصدقاء مستر اوين راهنوا على ان في استطاعتهم الاقامة ثمانية ايام في جزيرة مهجورة ، وأوصى الاهالي الا يهتموا بأي نداء قد يصدر من الجزيرة في

هذه الاثناء .

تململ مساعد مدير البوليس في مقعده متضايقا وقال : هل تريد مني ان اصدق ان هؤلاء الناس لم يداخلهم الشك بعد ذلك ؟..

اجاب مين : انك تنسى ايها الرئيس ان الجزيرة كانت ملكا قبل ذلك للشاب المر روبسون ، المليونير الامريكي ، وانه كان يقيم فيها حفلات صاخبة . لقد اثار دهشة الاهالي في البداية ، ولكنهم لم يلبثوا ان اعتادوا ذلك وقبلوا فكرة انه لا يمكن ان يمر بهم يوم الا ويروا الغرائب والعجائب في الجزيرة ، وهذا تصرف طبيعي من الاهالي اذا اردت رأيي .

وافقه سير توماس ليج على مضض ، وأردف مين فقال : وقد ابدى فريد فاراكوت ، الذي نقل المدعوين الى الجزيرة ملاحظة لها معناها ، فقد ادهشه نوع هؤلاء المدعوين لانهم كانوا يختلفون كل الاختلاف عن مدعوي مستر روبسون . وذلك لانه رآهم هادئين وطبيعيين بحيث انه ، على الرغم من تحذيرات مستر موريس مضى الى الجزيرة بمجرد ان سمع عن اشارات الاستغاثة التي صدرت منها .

– ومتى ذهب فاراكوت ورجاله اليها ؟..

– شاهد بعض الصبية الكشافة الاشارات صباح يوم ١١ ، ولكن كان من المتعذر بلوغ الجزيرة في ذلك اليوم لان البحر كان شديد الهيجان ، ولم يستطع الزورق الاقتراب منها الا بعد ظهر يوم ١٢ ، والجميع يؤكدون ان ما من احد قد تمكن من مغادرة الجزيرة قبل وصولهم ، فقد ظل البحر هائجا بعد العاصفة .

– هل انت متأكد ان احدا لم يبلغ الشاطىء سباحة ؟..

– ان المسافة بين الجزيرة والشاطىء لا تقل عن الف وخمسمائة متر. وكانت الامواج تأتي وتتكسر على الصخور في عنف ، ثم ان جماعة من الصبية الكشافة والصيادين ظلوا رابضين فوق الصخور ، ينظرون الى الجزيرة ويراقبون الارباض .

تنهد مساعد مدير البوليس وقال : وبهذه المناسبة ، الم تستفد من تلك الاسطوانة في التحقيق .

اجاب المفتش مين : انها اثارت حيرتي ، وقد ثبت ان محلا من محلات معدات المسرح والسينما هو الذي قام باعدادها وانه ارسلها الى ا.ن. اوين، طرف مستر اسحاق موريس لاستخدامها في مسرحية يقوم بها بعض الهواة لاول مرة . وقد اعيد المخطوط اليدوي مع الاسطوانة .

قال ليج : وماذا جاء بهذه الاسطوانة ؟..

تنحنح المفتش مين ثم قال : تحريت البيانات التي جاءت بتلك الاسطوانة بكل دقة . وابدا بمستر روجرز وزوجته ، وهما اول من هبطا الى الجزيرة . كانا يقومان بخدمة امراة عجوز تدعى مس برادي ، ماتت فجأة . ولم استطع ان أعرف شيئا محددا من الطبيب الذي كان يعالجها . ومن رايه انهما لم يقتلا مس برادي ، ولكنه يميل الى الظن بأن المرأة العجوز ماتت نتيجة لاهمال خادميها ، بل انه اردف وقال : ان هذا شيء لا يمكن اثباته .

وننتقل بعد ذلك الى القاضي ورجريف .. لا يمكن ان نلومه على شيء ابدا . صحيح انه هو الذي اصدر حكم الاعدام على سيتون ، ولكن هذا الاخير كان مذنبا حقا ، وقد حصلنا على الدليل القاطع بادانته بعد وقت طويل من تنفيذ الحكم . ولكن اثناء نظر القضية ، كانت الاغلبية العظمى من الجمهور تؤمن بأنه بريء وتتهم القاضي بأنه اشبع رغبة خاصة في الانتقام.

«وثبت من تحرياتنا ان مس كلايتون كانت تعمل مربية اطفال لدى اسرة غرق ابنها الصغير ، وليس هناك ما يشير الى انها مسؤولة عن هذا الحادث . والواقع انها حاولت ان تنقذ الطفل بأن القت بنفسها في الماء لكي تلحق به ، ولكن التيار جرفها نحو البحر واعادها الى البر في الوقت المناسب .

قال مساعد البوليس : استمر .

اخذ مين نفسا طويلا ثم استطرد يقول : سأحدثك الان عن الدكتور ارمسترونج ، وهو طبيب مشهور جدا ، معروف بنزاهته ومقدرته ، ولا يمكن ان نوجه اليه اي لوم من الناحية العملية . ومع ذلك ففي اثناء المدة التي عمل بها في مستشفى ليتمور في سنة ١٩٢٥ اجرى عملية التهاب البريتون لامرأة تدعى جليس . وماتت هذه المرأة على مائدة العمليات ، ولعل ذلك الطبيب لم يكن قد اكتسب بعد ما يكفي من خبرة ، ومهما يكن فلا يمكن ان نصف مثل هذا الخطأ بأنه جريمة قتل .

«وتأتي بعد ذلك مس اميلي برنت .. وكانت تعمل بخدمتها فتاة تدعى بياتريس تايلور . واذ رات اميلي ان هذه الفتاة اصبحت حاملا طردتها من خدمتها ، وانتحرت الفتاة المسكينة بدافع اليأس ، وهذا عمل غير كريم من الانسة برنت ولكن لا يمكن ان نصفه هو الاخر بأنه جريمة قتل .

قال مساعد مدير البوليس : هذه هي السمة الجوهرية المشتركة بين كل الضحايا . كان مستر اوين مهتما بالمجرمين الذين تفلت اخطاؤهم من طائلة القانون العادي .

استأنف مين حديثه فقال في هدوء : وكان مارستون سائقا أرعن من اسوأ الانواع . وأوشك ان يحرم من رخصة القيادة مرتين . وقد صدم الطفلين جون ولوسي كومبس على مقربة من كمبريدج ، وشهد بعض اصدقائه في صالحه وأفلت من العاقبة بمخالفة عادية .

اما الجنرال ماك ارثر فليس هناك ما يلام عليه بصفة خاصة ، انه ابلى بلاء حسنا اثناء الحرب العالمية . وكان كل شيء في صالحه . وكان ارثر ريتشموند يشترك في الحرب في فرنسا ويعمل تحت قيادته وقتل في احدى المعارك . ولم يكن هناك اي خلاف بينه وبين الجنرال ، بل انهما كانا صديقين حميمين . وقد ارتكبت في ذلك الوقت اخطاء مؤسفة ، ولقي ضباط وجنود كثيرين مصرعهم بغير داع ، ولا ريب ان مقتل ارثر ريتشموند كان من بين هذه الاخطاء .

قال مساعد الرئيس : هذا جائز .

ـ وننتقل الان الى فيليب لومبارد . اشترك هذا الرجل في عدد من الفضائح في الخارج ، وأوشك ان يسجن مرة او مرتين . وقد اشتهر بأنه مغامر معدوم الضمير لا يحجم عن ارتكاب مئات الجرائم على شرط الا يقع تحت طائلة القانون .

«ونصل الان الى بلور .

وتردد مفتش البوليس قليلا ثم قال : ان هذا الرجل ينتمي الى هيئتنا.

تململ رئيس البوليس وقال : كان بلور هذا وغدا .

ـ هل تعتقد ذلك ايها الرئيس ؟..

طالما اعتقدت عنه ذلك . ولكنه كان داهية ، ويعرف كيف يتخلص من مشاكله . ولكنني اعتقد اعتقادا جازما بأنه ارتكب شهادة الزور في قضية لاندور . وقد خيب تصرفه هذا ظني كثيرا ، ولكنني لم استطع العثور على ادلة ضده ، وقد كلفت هاريس بالتحقيق ولكنه لم يجد شيئا هو الاخر ، الا انني لم اغير رأيي فيه على الرغم من ذلك . لقد كان بلور رجلا غير شريف .

واستطرد سير توماس يقول بعد فترة : اذن فأنت تقول ان اسحاق موريس مات ؟.. ولكن متى حدث ذلك ؟..

ـ كنت اتوقع هذا السؤال ايها الرئيس . لقد مات موريس في مساء يوم ٨ اغسطس . اخذ مجموعة كبيرة من المنوم ، وليس هناك ما يدل على اذا كان موته قد وقع قضاء ، او اذا كان قد انتحر .

ساله الرئيس : هل تريد ان تعرف رأيي يا مين ؟..

ـ انني اخمنه شيئا ما ايها الرئيس .

– لقد وقع موت اسحاق في لحظة مناسبة جدا .
اومأ المفتش مين براسه وقال : انني اشاركك هذا الراي يا سيدي .
هوى سير توماس ليج بيده على المكتب في قوة وقال : ان كل هـذه القصة عجيبة .. لا تصدق .. لا يعقل ان يجد عشرة اشخاص حتفهم قتلا فوق صخرة جرداء في عرض البحر ، ولا نعرف شيئا عن هذه الجرائـم ولا عن ظروفها او اسبابها .
سعل مين وقال : انني أختلف معك في هذه النقطة ايها الرئيس ، فاننا نعرف لماذا قتل ذلك الرجل . انه رجل مجنون بدون شك ، تسيطر عليه فكرة معينة ، وهي العدالة التامة . وقد عني بالبحث عن المجرمين الذين لا تستطيع العدالة النيل منهم ، واختار منهم عشرة ، ولا يهمنا ان كانـوا مذنبين او غير مذنبين .
تحرك الرئيس في انفعال وقال : لا يهمنا .. يبدو لي ..
وامسك عن الكلام ، وانتظر المفتش مين في احترام ، ولكن ليج تنهـد وهز راسه وقال :
– استمر . خيل لي لحظة انني احدس شيئا . ظننت انني اهتديت الى اثر .. ولكنه افلت مني ، تابع تقريرك يا مين .
– جمع هذا الرجل المجنون عشرة اشخاص في الجزيرة .. ولنقل انه اصدر حكمه عليهم بالاعدام ، ونفذ أحكامه . واذ فرغ من عمله اختفى من الجزيرة كما تختفي سحابة من الدخان .
قال رئيس البوليس : لو ان هذا هو الذي حدث فانه ليكون سحـرا عجيبا يا مين . ولكن لا ريب ان هناك تفسيراً آخر .
قال مين : لو ان هذا الرجل كان موجودا في الجزيرة ايها الرئيس لما استطاع مغادرتها حقا . وطبقا للمذكرات التي كتبها الضحايا فان مستر اوين هذا لم يهبط الى الجزيرة ابدا . وعلى ذلك فان الحل الوحيـد المعقول هو ان مستر اوين كان واحدا من هؤلاء العشرة .
اومأ الرئيس باشارة من راسه تدل على موافقته على هذا الراي ، في حين استطرد مين يقول :
– وقد خطرت لنا هذه الفكرة ، وفحصنا الموقف من كل الوجوه ، ونحن نعرف ما حدث تقريبا ، فان كلا من فيرا كلايتون واميلي برنت كانت تكتب مذكراتها ، كما ان القاضي وورجريف سطر بضع ملاحظات ، وهي ملاحظات وجيزة في مجملها ومكتوبة بأسلوب قضائي واضح ، وكذلك ترك بلور بضع ملاحظات اخرى وكلها بتطابق بعضها مع البعض . وقد وقعت الوفيـات

بالتوالي هكذا .. مارستون ، ثم مسز روجرز فماك ارثر ، فروجرز، فمس برنت ثم وورجريف . وبعد موت القاضي كتبت مس كلايتون في يومياتها تقول ان ارمسترونج غادر البيت خلال الليل وان بلور ولومبارد خرجا للبحث عنه ، وكتب بلور في مفكرته هذه العبارة : اختفى ارمسترونج .

«والآن ، يبدو ايها الرئيس اننا نستطيع ان نهتدي ، طبقا لكل هذه النقاط الى الحل الذي يرضينا تماما . لقد غرق ارمسترونج ، وأرجو الا تنسى ذلك ، لنفترض الان ان ارمسترونج قد جن فما الذي يمنعه بعد ان قتل تسعة من زملائه من ان ينتحر بأن يلقي بنفسه من فوق الصخور ! او لعله لقي حتفه وهو يحاول الوصول الى الساحل سباحة .

«هذا الحل يبدو رائعا ، ولكنه لا يلبث ان ينهار بسبب نقطة بالذات ، فيجب قبل كل شيء ان نحسب حساب تقرير الطبيب الشرعي ، فانه هبط الى الجزيرة في وقت مبكر من صباح ١٣ اغسطس . ولم تقدمنا استنتاجاته خطوة واحدة في تحرياتنا ، وكل ما استطاع ان يخبرنا به هو ان هؤلاء القوم ماتوا منذ ستة وثلاثين ساعة على الاقل . وفيما يتعلق بأرمسترونج فقد صرح بأن الجثة بقيت في الماء من ثماني الى عشر ساعات، قبل ان تقذفها الامواج الى الصخور ، وهذا معناه انارمسترونج غرق في عشية اليوم الحادي عشر من اغسطس ، وسأذكر لك الاسباب ، اننا عثرنا على المكان الذي قذفت الامواج الجثة اليه ، فقد انحشرت بين صخرتين، وعثرنا هناك على قطع من ثيابه ، وبعض شعره . وقد القى المد بالجثة يوم ١١ .. في نحو الساعة الحادية عشرة ، وبعد ذلك هدات العاصفة ، والاثار التي تخلفت عن المد والجزر بعد ذلك ، تدل على ان الامواج لم تصل الى الصخور .

«وقد تفترض ان ارمسترونج تخلص من الثلاثة الاخرين قبل ان يلقي بنفسه في البحر ، ولكن هنا ايضا يجب ان نستند على نقطة بالذات ، فان جثة ارمسترونج جرت جرا فوق الصخور ، الى ما بعد العلامة التي خلفها المد ، فقد وجدناها في مكان لا تستطيع الامواج ان تصل اليه ، وكان ممددا فوق ظهره على الصخر ، كما كانت ثيابه منسقة .

واستطرد يقول بعد صمت قصير : واليك الان الموقف كما كان في صباح يوم ١١ .. اختفى ارمسترونج بأن غرق ، وبقي لدينا ثلاثة اشخاص: لومبارد وبلور وفيرا كلايتون . وقتل لومبارد برصاصة من مسدس ، وقد وجدنا جثته فوق الصخور بجوار جثة ارمسترونج . ووجدنا فيرا كلايتون مشنوقة في غرفتها ، وجثة بلور في الخارج ، وكل الشواهد تدل على ان

القاعدة الرخامية القيت ، من احدى النوافذ فوق راسه وهشمتها .

قال رئيس البوليس : اية نافذة ؟..

ــ نافذة فيرا كلايتون ، لندرس الان كل حالة من هذه الحالات على حدة ، ولنأخذ حالة فيليب لومبارد اولا . لنفرض انه اوقع القاعدة الرخامية فوق راس بلور ، ثم اعطى الفتاة جرعة مخدرة وشنقها بعد ذلك ، ثم ذهب الى الشاطىء وانتحر بطلقة من المسدس .

«ولكن ، لو ان هذا هو الذي حدث ، من الذي نقل المسدس بعد ذلك، ذلك لاننا عثرنا عليه في البيت ، في اعلا السلم ، امام باب وورجريف .

سأله رئيس البوليس : هل وجدتم عليه بصمات ؟..

ــ نعم .

ــ اذن ؟..

ــ انني أخمن ما تريد ان تقوله يا سيدي الرئيس . ان فيرا كلايتون هي الجانية ، وانها قتلت لومبارد واعادت المسدس الى البيت ، وأوقعت القاعدة الرخامية فوق راس بلور ثم شنقت نفسها بعد ذلك .

«هذا الافتراض مقبول حتى نقطة معينة ، فاننا وجدنا في غرفتها ، وعلى احد المقاعد نفس حشيش البحر الذي وجدناه في حذائها ، وهذا يحملنا على الاعتقاد بأنها صعدت فوق المقعد ، ووضعت الانشوطة حول عنقها ثم ركلت المقعد بعد ذلك بقدمها .

«ولكننا لم نجد المقعد مقلوبا كما كان مفروضا ان يكون ، وانما كان موضوعا بجوار الحائط ، كغيره من المقاعد الاخرى .. انه عيد الى مكانه بعد موت فيرا .. وأعاده شخص اخر غيرها .

«باق بلور . اذا قلتلي انه بعد ان قتل لومبارد ، دفع فيرا الى ان تشنق نفسها ثم خرج ووقع القاعدة الرخامية فوق راسه بواسطة قطعة من الدبارة او بواسطة اي شيء اخر فانني لن أصدقك . فان الرجل لا ينتحر بهذه الطريقة . ولم يكن بلور متعطشا الى العدالة الى هذا الحد ، ونحن نعرفه جيدا لكي اؤكد ذلك .

قال سيرليج : هذا صحيح .

واستأنف المفتش حديثه فقال : والنتيجة ايها الرئيس هي انه كان هناك شخص اخر في الجزيرة ، وهذا الشخص رتب كل شيء بعد ان انتهت مهمته المشئومة . ولكن اين كان يختبىء طوال الوقت ، واين ذهب ؟.. ان اهالي ستريكلهافن متأكدين تماما ان احدا ما كان ليستطيع مغادرة الجزيرة قبل قدوم زورق الانقاذ ولكن ، في هذه الحالة .

وامسك عن الحديث ، فقال مساعد رئيس البوليس: في هذه الحالة؟.

تنهد المفتش وهز راسه وانحنى الى الامام وقال : في هذه الحالة ، من الذي قتلهم ؟..

مخطوط عثر عليه ربان سفينة الصيد ايماجين وأرسلـــه الى ادارة اسكوتلنديارد ..

انا رجل معقد ، واتمتع بخيال كبير ، وكنت ألتهم وانا طفل روايــات المغامرات ، كما كنت مشغوفا جداً بحكايــات البحر التي تدور حـــول المخطوطات الهامة التي توضع في زجاجات مختومة ويلقى بها في عـرض المحيط .

وما زالت هذه الطريقة عالقة في ذهني لما فيها من خيال ورومانسية . وهذا هو السبب في انني اطبقها اليوم بالذات. وهناك فرصة واحد في المليون ، لكي يكشف هذا الاعتراف الذي أدونه الان بخطي والذي سأضعه في زجاجة ألقي بها في عرض البحر سر الجثث العشر التي وجدت فـــي جزيرة الهندي ، وهو سر بقي مستغلقا حتى اليوم (ولعلني أغبط نفسـي على ذلك) .

منذ حداثتي الاولى وانا استمتع برؤية الموت ، وبتوقيعه على الغــير بنفسي ، وكنت ابحث عن الدبابير والحشرات الضارة في حديقة اهلي لكي اقتلها ، وكنت اشعر بسرور لا يوصف وأنا أقتل .

ومن ناحية اخرى ، كان هناك تناقض عجيب في حالتي ، فقد كنت احب العدالة كل الحب ، ومجرد فكرة ان يتعذب رجل بريء او ان يموت نتيجة لخطأ يصدر مني كانت تؤرقني كل الارق . وتمنيت طوال حياتي ان ينتصر القانون .

وكان يجب ان ترشدني هذه العقلية في اختيار المهنة التي اتخذهـــا بطبيعة الحال ، فلا عجب اذن اذا كنت قد اخترت مهنة القضاء ، وقـــد اطلقت العنان لميولي القضائية ، وطبقت العقوبة على الجريمة بكل دقة .

وفي اثناء اضطلاعي بعملي ، وعندما كنت اراس المحكمة لم اكن أشعر حين ارى بريئا في قفص الاتهام . واعترف طواعية انه بفضل براعـــة واخلاص رجال البوليس ، كان اغلب المتهمين الذين يمثلون امامي مذنبين حقــا .

وكانت هذه هي حالة ادوار سيتون بالذات . ولكن موقفه وتصرفاتـه احدثت اثرا طيبا في نفوس المحافين . ومع ذلك فان الادلة التي جمعهـا البوليس اثناء تحرياتهم لم تكن تترك اي شك في اجرامه ، فقد وثقت به

امراة عجوز ، وكان ان كافأها على ثقتها بأن قتلها .

وقد قيل عني انني اجد لذة كبيرة في الحكم على الناس بالاعدام شنقا، وهذا غير صحيح اطلاقا ، فانني بذلت جهدي دائما في مراعاة الحقيقة التامة حين أصدر بياني الاخير الذي يسبق مداولات هيئة المحلفين.

كان لا بد لي من ارتكاب جريمة قتل ، على ان تكون جريمة قتل مثيرة، وعجيبة .

وعلى الرغم من غرابة هذه النقطة فان حبي الفريزي للعدالة تدخل في اختيار ضحيتي لأن البريء لم يكن ينبغي ان يتعذب .

وانبثقت فكرة غريبة في ذهني اثناء حديث تبادلته صدفة مع احد الاطباء ، فقد قال لي ان كثيرا من جرائم القتل تفلت من العدالة وتظل بمنأى عن العقاب .

وذكر لي ، على سبيل المثال ، موت عانس عجوز ، كان يتولى علاجها، وكان يقوم على خدمتها خادم وزوجته ، ويبدو انهما حرصا على الا يعطياها جرعة الدواء التي كان يجب ان تتعاطاها ، وتسببا بذلك في وفاتها . وقد ورث الخادمان مبلغا لا بأس به .

فتح لي هذا التصريح آفاقا لم اكن اشك فيها ، وعقدت العزم فجأة على الا ارتكب جريمة واحدة وانما عدة جرائم .

وعادت الى ذهني اغنية للاطفال كنت قد تعلمتها في حداثتي .. اغنية الهنود العشرة ، فما كدت ابلغ الثانية من عمري حتى اذهلني ذلك المصير الذي لقيه هؤلاء الهنود الذين راح عددهم يتناقص في كل مقطوعة . وهكذا رحت ابحث عن ضحاياي .

وكنت قد اقمت بضعة ايام في احدى المصحات لاجراء عملية ، وهناك عنيت بي ممرضة من انصار جمعيات مكافحة الخمور .

وتأييدا للنتائج السيئة للمشروبات الروحية روت لي حالة وقعت منذ سنوات عدة في احدى مستشفيات لندن ، فقالت ان طبيبا معروفا اجرى عملية لامراة وهو مخمور ، فتسبب في موتها . وسألتها عن اسم تلك المستشفى التي وقع فيها الحادث ، واستطعت ان اقوم بتحرياتي عندئذ ، وعرفت ان ذلك الطبيب يدعى ارمسترونج .

وجرى حديث بين ضابطين في الاستيداع ، في النادي الذي انتمي اليه ، عرفت فيه ما نسب الى الجنرال ارثر .

واخبرني رجل عاد اخيرا من افريقيا بما يعزى للمدعو فيليب لومبارد. اما قصة اميلي برنت التقية الورعة ، هي وخادمتها ، فقد اطلعني عليها

رجل من اهالي جزيرة مايوركا اغضبته قسوة الفتاة العانس ، ورأيت اسم انتوني مارستون في الصحف عندما نشرت نبأ الحادث الذي تسبب في وقوعه ، اما المفتش بلور فقد سمعت به طبعا ذات يوم ، حين تحدث بعض زملائه عن قضية لاندور امامي .

وعرفت ، اخيرا ، بحادث فيرا كلايتون اثناء رحلة بحرية كنت اقوم بها في الاطلنطي ، فقد وجدت نفسي ، في ذات ليلة ، في غرفة التدخين ، مع شاب وسيم مشهور يدعى هوجو هاملتون .

وكان لا بد لي من ضحية عاشرة فوجدتها في شخص المدعو موريس ، وهو رجل باهت الشخصية كان يقوم بتجارة المخدرات بين غيرها من التجارات غير المشروعة ، وكنت أعرف انه مجرم لانه حرض ابنة احد اصدقائي على تناول المخدرات ، وقد انتحرت الفتاة المسكينة وهي في الحادية والعشرين من عمرها .

وفي اثناء ذلك كانت الفكرة قد نضجت في ذهني ، وتشكلت على اثر حديث دار بيني وبين طبيب بشارع هارلي . وكما سبق ان قلت فقد سبق ان اضطررت الى اجراء عملية لاستئصال ورم خبيث ، وقد اكد لي ذلك الطبيب ان اية عملية اخرى لن تأتي بأية نتيجة .

وعقدت العزم على الفور على الا اطيل حياة معرضة للمرض لم يكن هناك مفر من ان تنتهي بميتة بطيئة مؤلمة . ومن غير ان اذكر شيئا من مشروعي لذلك الطبيب قررت ان اعيش حياتي وان استمتع بها قبل الساعة المحتومة .

واشتريت جزيرة الهندي عن طريق موريس وباسم مستعار ، واستعنت بالمعلومات التي جمعتها عن ضحاياي المقبلة ، وارسلت لكل منهم الطعم المناسب ، وطبقا لتوقعاتي هبطوا جميعا في الجزيرة يوم ٨ اغسطس ، واختلطت بهم بصفتي احد المدعوين .

«وكنت قد حددت مصير موريس من قبل . ولما كان يعاني من سوء الهضم فقد اعطيته قبل رحيلي من لندن قرصا ونصحته بأن يأخذه ليلا قبل النوم ، واكدت له ان هذا القرص سيخفف من آلام معدته كثيرا فأخذه دون ان يرتاب في شيء . وكنت اعرف الرجل بما فيه الكفاية لكي اطمئن بأنه لن يترك بعده اي مستند يورطه او يورط غيره .

وقمت بتنفيذ خطتي بكل دقة . وكنت قد عزمت على ان يختفي اقل المجرمين ذنبا قبل غيرهم ، وبهذا اخفف عنهم الآلام العقلية الطويلة التي ادخرها لاكثرهم ذنبا .

ومات انتوني مارستون ومسز روجرز قبل غيرهما ، فقد كنت واثقا من ان مسز روجرز خضعت لاغراء زوجها ، وانه هو المسؤول الرئيسي عن جريمتها .

«ومن السهولة الحصول على سم السيانور وذلك بحجة القضاء على الحشرات الضارة ، وقد حصلت على كمية منه وانتهزت فرصة استماعنا للاسطوانة ودسست بعضا منه في كأس مارستون ، وكان قد جرع نصفه تقريبا .

«ولا داعي لان اقول انني كنت أنظر اثناء ذلك الى وجوه ضيوفي ، وقد تأكدت ، بفضل خبرتي الطويلة التي اكتسبتها في المحكمة ، من ان الجريمة كانت تثقل على ضمير كل منهم .

«وكنت اثناء احدى زياراتي الاخيرة والمؤلمة جدا قد اشار علي طبيبي ان اتناول جرعة صغيرة من الكورال لكي تساعدني على النوم . ولكنني قضيت بضعة ايام وأنا اتحامل على نفسي ولا اتناول هذه الجرعة بحيث وجدت معي كمية كافية لكي تسبب الموت .

«وعندما جاء روجرز بالبراندي لاجل زوجته وضع الكأس فوق المائدة، ولم يكن الشك قد انتاب جماعتنا بعد حتى هذه اللحظة ، وكان من السهل علي ان أدس السم في الكأس عندما اقتربت من المائدة .

«اما الجنرال ماك ارثر فقد مات من غير ان يتألم ، فقد اخترت اللحظة المناسبة لكي أغادر الشرفة ، وتسللت خلفه في سكون ، وكان غارقا في احلامه فلم يسمعني وأنا أقترب منه .

«وفتشوا الجزيرة تفتيشا دقيقا كما توقعت ، واقتنع الجميع بأنه لا يوجد احد اخر غيرنا نحن السبعة ، وبهذا تولد الشك بين المدعوين .

«وكانت خطتي تقوم على ان اجد لي شريكا عندما اصل الى هذه المرحلة ، ووقع اختياري على الدكتور ارمسترونج لكي يقوم بهذا الدور. كانت شكوكه كلها تتجه الى لومبارد . وزعمت انني اشاركه رأيه ، وعرضت عليه خطة لكي نوقع القاتل في الشرك. ولم يدرك ارمسترونج الحقيقةطبعا.

***

قتلت روجرز في صباح العاشر من اغسطس . كان يقطع الخشب لكي يشعل النار . وضربته بالبلطة من الخلف ثم فتشت جيوبه واخذت منه مفتاح غرفة الطعام ، وكان قد حرص على اغلاق بابها بالامس .

وانتهزت فرصة الانفعال الذي اصاب الجميع عقب اكتشاف جثته ، وتسللت الى غرفة لومبارد واخذت المسدس . وكنت أعرف ان معه مسدسا لان موريس كان قد اوحى اليه ، بناء على تعليماتي ، بأن يأتي بالمسدس معه.

«وفي اثناء تناولي طعام الافطار ، وانا أصب القهوة في قدح مس برنت ، وضعت فيه الكمية المتبقية من الكورال ، وغادرنا غرفة الطعام ، فيما عدا الفتاة العانس . وبعد قليل تسللت اليها على طرفي قدمي ، وكانت العانس قد بدأت تفقد الشعور ، واستطعت بكل سهولة ان أحقنها بحقنة من السيانور . وكانت مسألة ادخال النحلة في الغرفة مسألة صبيانية حقا ، ولكن هذه الفكرة اطربتني كثيرا وقد حاولت ، بقدر المستطاع ان امتثل لمقاطع اغنية الهنود العشرة .

«وبعد موت اميلي برنت تعرضنا جميعا لتفتيش دقيق . والواقع انني انا الذي اوحيت بذلك ، وكنت قد حرصت على اخفاء المسدس في مكان خفي ، كما انني كنت قد تخلصت من الكورال والسيانور .

«وعرضت على الدكتور ارمسترونج بعد ذلك ان نقوم بتنفيذ مشروعنا. وكان المشروع يقوم على الادعاء بأنني لقيت حتفي ، فقد كان يجب ان يعتقد الجميع بأنني رحت ضحية القاتل ، وأوعزت الى الدكتور بأن القاتل سوف ينزعج عندما يعلم بذلك ، وانني سأستطيع في نفس الوقت ان اتحرك بكل حرية للتجسس على القاتل المجهول .

«وراقت هذه الفكرة لارمسترونج ، وما ان حل المساء حتى كنا قد اعددنا كل شيء ، فوضعت لزقة من الطين الاحمر فوق جبيني ، وساعدت الستارة الحمراء ولفيفة الصوف الرمادي التي فقدتها اميلي برنت في اتمام المنظر ، كما ساعدت اضواء الشموع الباهتة في احداث الاثر المطلوب ، ثم ان الدكتور ارمسترونج كان الوحيد الذي سيراني عن كثب.

وسار كل شيء على احسن ما يرام ، فقد راحت مس كلايتون تصرخ صراخا هستيريا عندما لمسها شريط حشيش البحر الذي كنت قد علقته في سقف غرفتها . واندفع الجميع نحو السلم ، وانتهزت الفرصة لكي أتخذ وضع القاضي المقتول .

وفاق الاثر الذي حدث كل الامال ، وقام ارمسترونج بدوره خير قيام ، وحملوني الى غرفتي وارقدوني في فراشي . وبعد ذلك لم يعد يهتم بي احد ، فقد أحس كل منهم بخوف من زملائه ، مستطير .

وكنت قد تواعدت مع الدكتور ارمسترونج على اللقاء في الخارج في الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، واصطحبته حتى قمة الصخور ، خلف

البيت بمسافة قصيرة ، بعيدا عن عيون المتطفلين ، لان نوافذ غرف النوم تشربت على واجهة البيت ، وزعمت له اننا ، في مكاننا هذا سنرى من يأتي للقائنا .

«وفجأة اطلقت صيحة دهشة وقلت لارمسترونج ان يقترب من الشاطىء ويتأكد اذا لم يكن ذلك الذي اراه فتحة مغارة . وانحنى دون اي حذر ، وعندئذ دفعته على غرة والقيت به بين الامواج الهادرة التي تأتي وتتكسر أسفل الصخور .

وعدت الى البيت ، ووقع اقدامي هي التي سمعها بلور دون اي شك، ودخلت غرفة ارمسترونج ثم غادرتها محدثا هذه المرة صوتا كافيا لكي يصل الى الاسماع ، وانفتح باب فهبطت السلم ، ولا ريب ان الذي فتح الباب رآني في نفس اللحظة التي تسللت فيها خارج الباب العمومي .

ومرت دقيقة او دقيقتان قبل ان يبدأ الاخرون بمطاردتي ، فدرت بالبيت ودخلت من نافذة غرفة الطعام ، وكنت قد تركتها مفتوحة . وبعد ان اغلقتها كسرت لوحها الزجاجي ثم صعدت واستلقيت في فراشي ، واتخذت هيئة الميت .

وكنت اعرف انهم سيفتشون البيت من جديد وانهم سيفحصوا الجثث فحصا غير دقيق .. لا لشيء الا لكي يتأكدوا ان ارمسترونج لا يمكر بهم وانه لم يحل محل احداها .

وهذا ما حدث بالذات .

نسيت ان اقول انني كنت قد اعدت المسدس الى غرفة لومبارد ، ولعلكم تريدون الان ان تعرفوا اين اخفيته اثناء عملية التفتيش .. في دولاب المطبخ حيث توجد كمية من المعلبات . وقد فتحت العلبة الموجودة اسفل العلب ، وهي علبة بسكويت ، ووضعت المسدس فيها ، ثم اعدت الشريط اللاصق مكانه من العلبة ، ووضعتها اسفل العلب من جديد .

ووقع ما حسبت ، فلم يخطر لاحد ان يفحص العلب اذ كانت تبدو سليمة في الظاهر ، خاصة وان العلب التي فوق القمة كانت ملتحمة .

وكنت قد اخفيت الستارة الحمراء تحت مفرش احد المقاعد الموجودة بغرفة الصالون ، وذلك بعد ان طويتها عدة طيات بحيث لم يظهر منها شيء تحت المفرش . اما لفيفة الصوف فأخفيتها داخل مسند احد المقاعد بعد ان اعددت فيه ثقبا مناسبا لذلك .



وجاءت عندئذ اللحظة التي كنت انتظرها في فروغ صبر ، فقد بقي في الجزيرة ثلاثة اشخاص سيطر عليهم الخوف وراح كل منهم يتوقع اسوأ الامور .. وواحد منهم يملك مسدسا .

واخذت اراقبهم من نوافذ البيت ، وعندما رايت بلور يقترب وحده ، وضعت القاعدة الرخامية على حافة النافذة ، وما هي الا لحظات حتى انتهت حياة مفتش البوليس السابق .

ومن مكاني ، رايت فيرا كلايتون تطلق النار على لومبارد . وكنت اعرف ان هذه الفتاة الجريئة سوف تكون ندا للومبارد .

واعددت المشهد الختامي في غرفة فيرا على الفور ، وانتظرت في قلق نتيجة هذه التجربة النفسية .

فهل كان يكفي للتوتر العصبي المتتابع للجريمة التي ارتكبتها لتوها وللقوة الايحائية لجو الغرفة ، ووخز الضمير الذي تعاني منه بسبب جريمتها السابقة ، هل كان يكفي كل ذلك لحملها على الانتحار كما كنت ارجو ؟..

ولم اخطىء ابدا ، فقد شنقت فيرا كلايتون نفسها تحت بصري . كنت مختبئا بداخل الدولاب وتابعت كل حركاتها .

وآتي الان الى الفصل الاخير من المأساة .

فقد غادرت مختبئي وأخذت الكرسي ووضعته بجوار الحائط . وكان المسدس قد وقع من الفتاة في اعلا السلم فالتقطته وانا احرص على الا ازيل بصمات فيرا منه .

وهنا تنتهي قصتي ، وسأضع هذه الصفحات في زجاجة ثم أختمها والقي بها في عرض البحر ، فهل تعرفون لماذا ؟

كنت أطمح دائما لارتكاب جريمة غامضة يظل مرتكبها مجهولا الى الابد . ولكن الفن وحده لا يمكن ان يشبع رغباتي ، فان كل فنان يتعطش الى المجد . واني أعترف بكل تواضع انني اشعر بتلك الرغبة التي يشعر بها كل انسان يحس ويشعر واود لو ان يعرف الجميع الى اي حد بلغ دهائي وذكائي .

واكتب هذا الاعتراف وانا أعلل النفس بالامل في ان يبقى سر جزيرة الهندي مستغلقا . ولكن من يدري ؟.. ربما يكون البوليس اذكى مما اظن .

ومهما يكن فانهم يعرفون جرم ادوارد سيتون ، وسوف يستنتجون اذن ان احد الاشخاص العشرة الموجودين في الجزيرة لم يكن قاتلا بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة ، وانه على النقيض من ذلك بريء ، وان هذا البريء

لا بد ان يكون طبقا للمنطق السليم هو القاتل المنتقم .

***

لا يبقى امامي الكثير . فانني بعد ان القي الى الامواج بالاجابة التي وضعت فيها رسالتي هذه سأصعد الى غرفتي واستلقي في فراشي . وان بنظارتي شريطا رفيعا اسود هو في الواقع خيط طويل مطاط . وسأضع النظارة تحتي واثقل عليها بكل جسدي .. وسأثبت المسدس في نهاية الخيط بعد ان الفه بأكرة الباب ، واليكم الان ما سوف يقع ، كما أتوقع .

سآخذ منديلي وأمسك به المسدس واضغط على الزناد . وستسقط يدي جنبي ، اما المسدس فسوف يرتد ثانية بقوة انجذاب الخيط الرفيع المطاط ، ويقع على الارض ، وسيرتخي الخيط نفسه بعد ذلك ويتعلق ببراءة نظارتي التي ستبقى تحت جسمي . اما منظر المنديل فوق الارض فلن يحتاج الى اي تفسير .

سيجدونني ممددا في فراشي ، وقد أصابتني رصاصة في رأسي طبقا لمذكرات زملائي . وعندما تكتشف الجثث فسوف يتعذر تحديد الوقت الذي مات فيه كل منا .

وعندما تهدأ الامواج ويأتي الصيادون بالسفينة لنجدتنا فسوف يجدون في الجزيرة عشر جثث وسرا مستغلقا يستعصي على الافهام .

تمت